[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير

في

آداب اللغة العربية

إعداد الطالب: [illegible]

إشراف الدكتور: [illegible]

ديسمبر 2006م

المُقَدِّمـــة

لك الحمد ربي على ما أنعمت وأعطيت، ولك الشكر على ما يسرت وهديت ونعوذ بك من أهواء النفوس وشرورها ، وسوء القصد والمآل ، والصلاة والسّلام على سيدنا محمد بن عبد الله ، رحمة الله المهداة ، ونعمته المسداة ، وسراجه المنير وعلى آله وصحبه وسلم تسيماً كثيرا.؛

وبعـــد :

هذا البحث محاولة لدراسة الجوانب الفنيّة لشعر إبراهيم بن هَـرْمَة ، والتوثيق لحياته وتقصّي أغراضه الشعريَّة ، ومعانيه التـي دارت فـي شعره ، وصوره الفنيَّة ولغة شعره أهي جزلة الألفاظ أم سهلة، وأسلوبه ، أهـو جزل أم مولـّـد .

ومن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع إنَّ الأدب العربي يزخر بتراث أدبيّ غزير المادة ، وأشكال شعريَّة لفتت انتباه النقاد الذين شجعوا على دراستها ، فقد وقع اختياري لإبراهيم بن هرمة أحد شعراء القرن الثاني الهجري، وذلك للاتي :

1/ الكشف عن حياته التي يحيط بها الغموض ، والتوثيق له.

2/ يمثل حقبة زمنية أثرت في جوانب الحياة المختلفة ، فالعصر الذي عاش فيه كان مسرحاً لأحداث سياسيّة واجتماعيّة ؛ كان لها أكبر الأثر في تغيير تاريخ الدولة الإسلاميّة ، فقد امتدت حياته إلى ما يقارب القرن من الزمن احتوت الدولة الأمويّة وجزءاً من الدولة العباسيّة ، وقد اشتهر بالتشيع وانقطاعه للطالبـيـين واستطاع أن يتصل بالأمويين والعباسيين وينجو من بطش السفاح والمنصور .

3/ يعدَّه النقاد آخر الذين يحتج بشعرهم على الرغم من أنه من المولـّدين ، وأول من فتق أكمام البديع .

4/ الكشف عن أثر البيئة على شعره وحياته في المدينة،فقد عاش في تلك البيئة التي جمعت بين الجدّ واللهو في تلك الحقبة وتردد على الأندية ومجالس الغناء.

ولعلّ من المناسب الإشارة إلى كتاب الدكتورة رجاء السيد الجوهري وكان تحت عنوان (فنان البديع إبراهيم بن هرمة الشاعر القرشي) نشر في منشأة المعارف بالإسكندرية 1988م وله أهميته في هذا المجال ، فقد تحدثت الدكتورة عن البديع في شعر ابن هرمة إلاّ إنَّها لم تفصل في خصائص شعرة الفنيّة

أما منهج الدراسة فقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي فيما يتعلق بتتبع الأجزاء التاريخيّة في البحث ، أما بقية الموضوع فقد اعتمدت فيه على المنهج الوصفي و التحليلي إذ قامت الدراسة على تحليل النصوص وقراءتها، بدأت بمقدمة وأربعة فصول هي :

الفصل الأول خصص لحياة الشاعر وعصره ، واشتمل على مبحثين تناولا عصر الشاعر وبيئته ، وحياته وأخباره ، واسمه، ونسبه ، وميلاده ، وميوله وتشيعه، ووفاته .

أمّا الفصل الثاني فكان لأغراضه ومعانيه الشعريَّة ، وفيه مبحثان ، حيث سعت الدراسة في المبحث الأول إلى دراسة الأغراض التي نظم فيها شعره ، أما المبحث الثاني فقد خصص للمعاني التي تغنى بها في شعره ، من فضائل معنويّة وحسيّة .

أمّا الفصل الثالث فقد خصص للبناء الفني ، ودار في ثلاثة مباحث حاولت الدراسة في المبحث الأول الوقوف فيها على البناء الفني للقصيدة عنده ، وفي المبحث الثاني على الموسيقا والأوزان في شعره ، وفي المبحث الثالث على الصور الفنيّة التي حفل بها شعره من تشبيهات وكنايات واستعارات .

أمّا الفصل الرابع فقد جاء تحت عنوان البناء اللغوي حيث تناولت لغة شعر ابن هرمة ، وأسلوبه ، وقضيّة الاحتجاج بشعره ، وآراء النقاد في شعره وختمت الدراسة بخاتمة سجلت فيها أبرز ما خرجت به الدراسة، وثبت للمصادر والمراجع.

اتكأت الدراسة على مصادر عديدة ومتنوعة أساسها ديوان الشاعر المسمى (ديوان إبراهيم بن هرمة) و كتب التاريخ ، كالكامل لابن الأثير ، ومروج الذهب للمسعودي ، وتاريخ اليعقوبي ، وكذلك كتب التراجم ، وطبقات الشعراء ، والى غير ذلك مما يتطلبه البحث من كتب الأدب ، والنقد ، والبلاغة ، ودواوين الشعر ، بالإضافة إلى كتب المحدثين التي أشارت لابن هرمة من بعيد أو قريب .

هذا وقد وجدت عناء كبيراً في الحصول على كثير من هذه المراجع حتى تم إخراج هذا البحث بهذه الصورة التي أرجو أن تنال الرضا والقبول .

وهذا بإيجاز عناصر مقدمة البحث الذي لا ندعي فيه السبق ولا الابتكار ، وإنّما نسأل المولى عز وجل أن يجعله في ميزان حسناتنا إن أصبنا ، ونعتذر عن كل زلة أو هفوة أو تقصير وجد فيه .

الفصل الأول
عصر الشاعر وأخباره

المبحث الأول: عصر الشاعر وبيئته
المبحث الثاني: حــياته وأخـــــــباره

المبحث الأول

عصر الشاعر وبيئته

عصر الشاعر:

دراسة تاريخ الأمة مهم من الناحية السياسيّة والاجتماعيّة ؛ لفهم آدابها ، ودراسة آدابها ضرورية لتصديق تاريخها ، فالأدب صورة العصر بما فيه من جمال وقبح ، فما يستعمل في عصر من الألفاظ قد لا يستعمل في عصر آخر؛ وذلك لأن اللغة اكتسابية خاضعة للنمو ؛ ولذلك كان لزاماً علينا دراسة العصر الذي عاش فيه شاعرنا ابن هرمة ؛ حتى يتسنى لنا فهم أسلوبه ولغته التي كتب بها شعره .

فقد عاش ابن هرمة في أوائل القرن الثاني الهجري إبّان الدولة الأمويّة التي آل إليها الأمر بعد مقتل سيدنا علي بن أبي طالب ، وتنازل الحسن بن علي ، حيث بُويع معاوية بن أبي سفيان ببيت المقدس سنة (40هـ) وكان يُدعى بالأمير في بلاد الشام ، ولمّا قُتل سيدنا علي دُعِيَ بأمير المؤمنين ، وكان سيدنا علي يتجهز لقتال معاوية ولكنه قتل فبايع الناس ابنه الحسن ، وخرج الحسن إلى المدائن ، وجعل قيس ابن سعد في اثني عشر ألف على مقدمة الجيش ، ولما نزل في المدائن نادى منادٍ إنَّ قيساً قتل فنفروا بسرداق الحسن فنهبوه ، ولمّا رأى الحسن تفرق الأمر عنه كتب إلى معاوية وذكر شروطاً وقال له :" إن أعطيتني هذا فأنا سامعٌ مطيعٌ وعليك أن تفي لي به " (1) وبهذا الصلح دان الأمر لمعاوية بن أبي سفيان وكان ذلك في سنة (41هـ) ، فأخذ معاوية يبعث الأمراء إلى الأمصار فجعل عمرو بن العاص على مصر، وابنه عبد الله علي الكوفة ثم عزله وولي المغيرة بن شعبة على الكوفة، وجعل عبد الله بن عامر علي البصرة (2)، وولي مروان بن الحكم على المدينة ، وولي خالد بن العاص بن هشام مكة في سنه (42هـ) (3) ، وقد ألحق

---

1) ابن الأثير " الكامل في التاريخ " دار صادر بيروت ، دون ط 1399هـ ، 1979م ج3،ص 405
2) الكامل ص 416
3) نفسه ص 420

معاوية زياد بن أبيه بنسبته إلى أبي سفيان وذلك في سنة (44هـ) وشهد عنده زياد بن أسماء الحرمازي ، ومالك بن ربيعة السلولي ، والمنذر بن الزبير بن العوام أن أبا سفيان أخبر الناس أنَّه ابنه، ثم زاد يقيننا إلى ذلك شهادة أبي مريم السلولي ، وقد اخبر الناس أنَّه قد جمع بين أبي سفيان وسمّية أم يزيد في الجاهليّة على زنا [1] وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن أم الحكم [2] :

ألا أبلغ معــاوية بن حَــرْب مُغَلـْغَلَـةً عَن الرجل اليماني

أتغضب أن يقــال: أبُوكَ عَفٌ وترضى أن يقال: أبُوكَ زاني

فأشهـد أن رحْمَك مـن زياد كـَرحْم الـفيل من ولـد الأتان

ثم ولاه البصرة ، ولمّا هلك المغيرة ضم معاوية الكوفة إلى زياد ، فكان أول من جمع له ولاية العراقين البصرة والكوفة [3] .

وبايع معاوية لابنه يزيد بولاية العهد، ولم يتخلف عن البيعة إلا أربعة نفر هم الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن الزبير [4] وقد سنّ معاوية الترحم على عثمان و لعن علي على المنابر ، وتبعه حكام بني أمية في ذلك ، فقد جمع زياد الناس بالكوفة بباب قصره حرضهم على لعن علي ، فمن أبى عرضه للسيف [5] .

وكان معاوية ذا حلم ودهاء ، وجود بالمال ، وقال سعيد بن العاص سمعت معاوية يوماً يقول : " لا أضع سيفي حتى يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حتى يكفيني لساني ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، إذا مدوها خليتها ، وإذا خلوها مددتها "[6] .

1) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي " مروج الذهب ومعادن الجواهر " تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد دار الفكر بيروت دون ط ج3 ص 15
2) المصدر السابق ص 17
3) المصدر السابق ص 34
4) أحمد بن أبي يعقوب " تاريخ اليعقوبي " دار الفكر بيروت دون ط 1367هـ ، 1956م ج 2ص 165
5) مروج الذهب 35/3
6) تاريخ اليعقوبي 172/2

كان إذا بلغه عن رجل ما يكره قطع لسانه بالإعطاء ، وربما أحتال عليه وبعثه إلى الحرب وكان أكثر فعله المكر والحيلة .

وبعد معاوية تولى يزيد السلطة سنة (60هـ) ، وبذلك أنتقل الحكم من نظام الشورى إلى نظام الملك ، وكانت مدة حكمه ثلاثة سنين وثمانية أشهر إلا ثماني ليالٍ [1] ولما آل الأمر إلى يزيد ، بعث إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو عامل المدينة " إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير ، وخذهما فإن امتنعا فأضرب عنقيهما وأبعث إليّ برأسيهما ، وخذ الناس بالبيعة فمن أمتنع فأنفذ فيه الحكم وفي الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ، والسلام " [2] وكان يزيد صاحب طرب وشراب ، وجلس ذات يوم على شراب وعن يمينه ابن زياد ، وذلك بعد قتل الحسين ، فأقبل عليه ساقيه فقال[3] :

اسْقِنِي شَرْبَةً تُرَوِّي مُشَاشِي   ثم مِلْ فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السرّ والأمانة عِنْدِي   ولتسديد مغنمي وجهادي

وأتسم حكم يزيد بالظلم والجور ، فقد بلغ جوره أنَّه بعد قتل الحسين بن علي ، وحُمل رأسه إليه ، ووضع بين يديه فجعل يزيد ينكت بقضيب في فيه[4] وعمّ ظلمه وشمل الناس ، فقد أخاف أهل المدينة وبايعوه على إنهم عبيد ، وسمّاها نتنة ، وقد سمّاها الرسول طيبة ، وهدّم الكعبة وأحرقها ، وسفك الدماء[5] 0

وملك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه، وكانت أيامه أربعين يوما إلى أن مات وقيل شهرين ، وكان يكنى بأبي يزيد[6] ، وبويع مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وكان ذلك بالأردن وكان أول من بايعه أهلها وتمت بيعته ، وكان

---

1) مروج الذهب 2/ 63
2) اليعقوبي 175/2
3) مروج الذهب 77/3
4) اليعقوبي 2/ 177 ؛ مروج الذهب 3 / 70
5) أنظر اليعقوبي 2/ 181 ؛ ومروج الذهب 3 /81
6) مروج الذهب 82/3

مروان أول من أخذها بالسيف كرهاً على ما قيل [1] ، وقام روح بن زنباع فخطب في الناس فقال : " يا أهل الشام هذا مروان بن الحكم شيخ قريش والطالب بدم عثمان ، والمقاتل لعلي بن أبي طالب يوم الجمل ، ويوم صفين ؛ فبايعوا الكبير واستنيبوا الصغير ثم لعمرو بن سعيد " فبايعوا لمروان ثم لخالد بن يزيد ثم لعمروبن سعيد [2] وبذلك انتقلت السلطة من بيت معاوية إلى بيت مروان بن الحكم ، وبعده آل الأمر إلى ابنه عبد الملك بن مروان ، وخلع عبد الملك أخاه عبد العزيز ثم عهد بولاية العهد لابنه الوليد ثم سليمان بن عبد الملك .

ومن أبرز سمات الحكم الأموي نظام البيعة الذي جعلوه حكراً لأولادهم ، فقد جعل مروان بن الحكم البيعة لاثنين من بنيه ؛ وبذلك فتح باب الانتقام فكلّ من تولى نكّل بالآخر ، كما إنَّه حصر الحكم في البيت الأموي ، وأثار سخط العامة ، وسخط غيرهم ممن يرون أنفسهم أهلاً لقيادة هذه الأمة 0

من سماته أيضا الثورات والفتن الداخليّة من خوارج وشيعة وزبيريين ، فالخوارج بدأت بعد رفع أصحاب معاوية المصاحف على أسنة الرماح ، فقد خرج فروة بن نوفل سنه (40هـ) ، وكان معتزلاً بشهر زور في جماعة من الخوارج ، ولما بلغه مقتل علي وغلبة معاوية ، قدم النخيلة في ألف وخمسمائة ، فأخذ معاوية أهل الكوفة بالخروج إليهم [3]

حركة الشيعة وهم الذين تشيعوا لعلي بن أبي طالب ، فقد بدأت في صورة اعتراض غير ذي أثر بعد تولي الخليفة الأول أبو بكر الصديق ، وربما كانت جذوتها في الصدور منذ ذلك الحين ، وبدأ أوارها في الاشتعال بعد اختيار الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وأشتد نشاطها بعد وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب ، وبايعوا الحسين بن علي ، وكتب إليه أهل الكوفة يدعونه بالخروج إليهم بعد مقتل

1) مروج الذهب 3/ 94
2) تاريخ اليعقوبي 3/ 4
3) نفسه 2/ 157

معاوية " أنا قد حبسنا أنفسنا علـى بيعتك ، ونحن نموت من دونك ، ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك " [1] .

حركة الزبيرين بقيادة عبد الله بن الزبير بن العوّام ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وسمي نفسه بأمير المؤمنين وسيطر على مكة ، وأقام عبد الله بن الزبير خالعاً يزيد بن معاوية ، ودعا إلى نفسه ، وأخرج عامل يزيد، وبعث إليه يزيد عضاة الأشعري ، وكتب إليه أن يعطيه الأمان وكان ابن الزبير شديد العزة فجاوب عضاة جواباً غليظاً [2] ، وقتل أيام عبد الملك بن مروان بالحرم سنة (73هـ) ، وأمر به الحجاج فصلب بمكة [3] 0

هذا وبينما كان الأمويون يصارعون العوامل السياسيّة المختلفة طوال القرن الأول وفي أوائل القرن الثاني ، بينما كانوا يغالبون الأحزاب السياسيّة التي كثرت كثرة هائلة واختلفت نزعاتها ومذاهبها إلاّ على العداء والكيد للأمويين ، وفي هذه الأثناء كانت الدعوة العباسية تأخذ سبيلها في دعة ويسر [4] ، تنسب الخلافة العباسية إلى العباس عمّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ومؤسس دولة بني العباس هو عبد الله السّفاح محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ويعتبر قيامها انتصاراً للفكرة التي نادى بها ينو هاشم عقب وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم- بإسناد الخلافة إلى أهل الرسول وذويه، وقد هزمت هذه الفكرة في مطلع الإسلام ، وأنتصر التفكير الإسلامي الصحيح ؛ إنَّ الخلافة حق للمسلمين يولون على أنفسهم من يشاءون [5] ، وتولى أبو العباس السفاح الحكم في سنة (132هـ) ، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما ، ومات بالأنبار سنة (136هـ) [6]

---

1) مروج الذهب 64/3
2) تاريخ اليعقوبي 178/2
3) مروج الذهب 3 / 122
4) الكامل ابن الأثير ص 356-362
5) د احمد شلبي "موسعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية "مكتبة النهضة المصرية ، القاهر ، ط 8 ، دون ت ، ج3ص 89
6) مروج الذهب 3/ 266

وتولى بعده أبو جعفر المنصور ، وكانت ولايته اثنين وعشرين سنة إلا تسعة أيام ، وتوفي سنة (158هـ) [1] ، ثم تولى المهدي وكانت ولايته عشر سنين ، وشهرا وخمسة عشر يوما [2] ، وتولى بعده الهادي ، وكان قاسي القلب ، شرس الأخلاق صعب المرام كثير الأدب محباً له ، وكان شديداً شجاعاً جواداً سخيا ، وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر [3] ، وتولى بعده هـارون الرشيد سنة (170هـ) ، وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهـر [4] وقد عاش ابن هرمة في هذا العصر الذي أوضحناه .

بيئة الشاعر:

إنَّ النظام القبلي كان أساس المجتمع العربي ، وكانت الحالة الاجتماعيّة في غاية االسهولة ، فلم يكن هناك فرق بين الخليفة والرعيّة في المآكل والمشرب والملبس ، وقد بدأ هذا النظام قي الاندثار في زمن الخلافة الأمويّة ، فقد أقام معاوية الحرس والشرط والبوابين ، وأرخى الستور واستكتب النصارى ، ومشى بين يديه بالحراب ، وأخذ الزكاة من الأعطية ، وجلس على السرير والناس تحته ، وبنى وشيد البناء وسخّر الناس في بنائه [5] .

ودخل عمرو بن العاص على معاوية يوماً بعد ما كبر ودق ، فقال عمرو: " يا أمير المؤمنين ، ما بقي ما تستلذه ؟ فقال : أمّا النساء فلا أربَ ليّ فيهن ، و أمّا الثياب فقد لبست من لينها وجيّدها حتى وهي بها جلدي فما أدري أيها ألين ، و أمّا الطعام فقد أكلت من لينه وطيبه حتى ما أدري أيها ألذ وأطيب ، و أمّا الطّيب فقد دخل خياشيمي منه حتّى ما أدري أيها طيب ، فما شيء ألذ عندي من شراب بارد في يوم صائف " [6] .

---

1) مروج الذهب 3/ 294
2) نفسه 3/319
3) نفسه 3/ 334
4) نفسه 3/347
5) تاريخ اليعقوبي 2/ 168
6) مروج الذهب 3/31

إشتهر حكام بني أمية بحبهم للهو انغماسهم في الملذات ، فيزيد كان صاحب منادمة ولهو ، وفي عهده ظهر الغناء بمكة والمدينة ، وشاعت الملاهي ، وأظهر الناس الشّراب ، وبلغ من عبثه واستهتاره إنَّه كان له قرد يكنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته ، يلبسه الحرير الأحمر والأصفر، ويضع على رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق، ويُحمله على أتان وحشية ويسابق بها الخيل يوم الحلبة ، عليها سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمع بأنواع من الألوان [1] .

وفي عهد عمر بن عبد العزيز أبطل كثيراً من السنن التي دأب عليها بنو أميّة[2] فأبدل سبّ علي على المنابر بقوله تعالى :" إنَّ اللهَ يَأمُرُ بالعَدْلِ والإحْسَانِ وَإيتَآى ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ والبَغْي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ"[3] ، ثم أعقبه عهد كالح السواد ، فيزيد بن عبد الملك أشتهر بحبّه للخمر والنساء وكان له جارية يقال لها سلامة القسِّ كانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، فاشتراها يزيد بثلاثة ألف دينار، وغلبت على أمره ، وفيها يقول الشاعـــــر :

لَقَدْ فَتن الدنيا وَسَلاَّمَةُ القسا   فلم يتركا للقسِّ عقلا ولا نَفْسَا

فاحتالت جدته أم سعيد العثمانيّة بشراء جارية يقال لها حبابة ، وقد كان في نفس يزيد بن عبد الملك قديماً منها شيء ، فغلبت عليه ووهب سلامة لام سعيد [4] 0

وتلاه الوليد بن يزيد ، وقد فاق أباه مجوناً وخلاعة ، وكان صاحب شراب ، ولهو،وطرب، ومن مجونه أنَّه أحضر المغنين من البلدان إليه ، وجالس الملهين ، وأظهر الشّراب والملاهي ، والعزف ، وفي أيامه كان ابن سريج المغني ، ومعبد ، والقريض ، وابن عائشة ، وابن محرز ، وطويس ، ودحمان ، وقد ورث الوليد

1) مروج الذهب 3/ 77
2) نفسه 3/ 193
3) سورة النحل الآية 90
4) مروج الذهب 207/3

الخلاعة من أبيه يزيد وكان يدعي خليع بني مروان [1] ، وشلّت يده عندما قرأ ذات يوم قوله تعالى : " واسْتَـفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ *مِن وَرَائـهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ " [2] فنصب المصحف عرضه للنشاب وأقبل يقول[3] :

أتُوعِدُ كلَّ جـبار عَنيدٍ فـها أنَا ذاك جـَبَّار عـنـيـد

إذا ما جِئْتَ ربك يوم حَشْرٍ فَقُـلْ يا رب خَرَّقَنِي الوليد

وفي أخر بني أمية تولى خلفاء يدمنون الشرب ، وسماع الغناء ، ومعاشرة النساء ، وعاش المجتمع حياة بذخ وترف وكانت أثاره واضحة في ملبسهم و مأكلهم ومشربهم ، وقد عاش شاعرنا في هذا المجتمع وهذه البيئة ، و ا بن هرمة شاعر حجازيّ مدنيّ ولد في قرية صغيرة يفصلها عن المدينة جبلا عبود وصفر تسمى"السيّالة "[4] ، وهي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة 0

وبيئة الحجاز بيئة جبلية ، ومن جبال الحجاز التي تقع في منطقة الطائف والمدينة ومكة وتهامة جبل " تضارع " و "رضوى " الذي أتخذه الشاعر مثلاً للعزة والرسوخ واصفاً رجاحة عقول قومه قائلا :

وَلَوْ وُزِنَتْ رضوى بِبَعْضِ حُلُومِهِمْ لَشَالَتْ وَلَوْ زِيْدَتْ عَلَيْهِ تُضَارِعُ[5]

وفي الحجاز جبال وأودية كثيرة مثل وادي العقيق،و ملحاء ،و مثعر، وجبل رضوى وجبل عبود وجبل عاقل وجبل صفر جميع هذه الأماكن ذكرها ابن هرمة في شعره ، وسنتطرق إليها لاحقا 0

ولمّا كان الحجاز هو الموطن الأول للدعوة الإسلاميّة فقد تحول من منطقة عربيّة إلي منطقة إسلاميّة محتفظاً باستقلاله التام و أصالته العربيّة ، وكان ذلك لحرص العرب علي استقلال الأماكن المقدسة عندهم ، فقويت الحركة الفنيّة

---

1) مروج الذهب 228/3
2) سورة إبراهيم الآيتين 15و16
3) مروج الذهب 229/3
4) ويذكر ياقوت إن سبب تسميتها بالسيالة أنّ تبع بعد رجوعه من قتال أهل المدينة مر بها وواديها يسيل فسماها السيّالة 0 ياقوت الحموي "معجم البلدان" ، طبعة دار الكتاب العربي بيروت، بدون تاريخ ،ج3، ص84
5) رضوى:جبل بالمدينة ،تضارع:بضم الراء جبل بتهامة لبني كنانة ، (ياقوت)

التي لا تزدهر إلاّ في ظل الحرية ، وهذا يفسر تبرم الحجازيين من الحكم الأموي ، فلم يكن في الحجاز سلطان الدولة الأكبر، فقد ثأر ابن الزبير بعد مقتل الحسين رضي الله عنه وبُويع سنة (65هـ) وامتد سلطانه علي مكة زمناً يقارب الثلاثة عشرة سنة وقدحكم ابن الزبير الحجاز مستقلاً به في أغلب الأحيان[1]0

وكانت مكة بعيدة عن الصراع الدولي من فرس وروم ، وكانت صلتها بهذه الدول لا تتعدى النطاق التجاري ، وذلك ساعدها علي الاحتفاظ بطابعها ولغتها ، ولعلّ موقع الحجاز الجغرافي جعله بمأمن من أن يناله الاضطراب الذي تعرّضت له الأطراف المجاورة للفرس والروم ، وظل بعيداً عن الحكم الأجنبي وتقلب السلطان، ولم ينله ما نال اليمن والعراق والشام من سطوة الفرس [2]، فاحتفظت باستقلال عتيد وقد جعلت هذه العوامل مجتمعة من الحجاز ملجأ لكل مضطهد ، ولجأ إليها اليهود بعد أن كاد أن يعصف بهم جبروت الدولة الرومانية ولجأت إليها أجناس أخري ، فكان في الحجاز الفارسي والرومي والحبشي ، وغيرها من الأجناس التي كانت تنزل الحجاز فارة من ظلم أو طالبة لمغنم أو حاجة إلي بيت الله المقدس [3] ، كل هذا جعل من بيئة الحجاز بيئة صالحة لنهضة أدبية جديدة في المدينة ومكة والطائف أثرت في الفن العربي كله شعرا وموسيقا وغناء .

أمَّا من الناحية الأدبية فقد ازدهر الشعر في هذا العصر بسبب تشجيع الخلفاء ، واهتمامهم به ، وتشجيع الشعراء بالجوائز والصلات ، وجعلوا الشعر وسيلة لإذاعة محامدهم وتأيد سلطانهم، وتأثرت لغة الشعر بالقرآن والحديث ، وأتصل الشعراء بالمدن الأخرى ، وغيرهم من الشعوب مما كان له الأثر على لغة

---

1) أنظر تاريخ اليعقوبي 178/2

2) نجيب محمد البهبيتي "تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري" ، طبعة الخانجي القاهرة ، 1967 م دون ط ، ص380

3) البهبيتي ، ص119

الشعر ، واحيوا نار العصبية واحيوا التهاجي بين القبائل ، وصارت القبيلة تحتاج إلى شاعر ليذود عنها [1]0

وسنّ حكام بني أمية سنة عابها عليهم كلّ ورع ، وهو فرض عطيّة للشعراء من بيت المال حتى أبطلها عمر بن عبد العزيز ، وقد أصاب الشعر في هذا العصر بعض مظاهر التجديد تمثلت في الشعر السياسي الذي تناول جور الحكام واغتصابهم الخلافة [2] .

وكذلك أمتاز أهل الحجاز بالظرف والملاحة ، وكتاب الأغاني يعج بإخبار أولئك المتظرفين من أهل الدين والدنيا ، وهذا صاحب زهر الآداب يبدي رأيه في أهل المدينة قائلا : " وأهل المدينة أكثر الناس ظرفا ، وأكثرهم طيبا وأحلاهم مزاحا وأشدهم اهتزازا للسماع وحسن أدب عند الاستماع" [3].

وفي الأغاني نجد أبا الفرج الأصفهاني قد ترجم لكثرة غامرة من شعراء المدينة لهذا العصر، ومن شعراء قريش الذين ترجم لهم أبو الفرج شاعرنا إبراهيم ابن هرمة فهو شاعر حجازيّ مدنيّ ، عاش في هذه البيئة المرحة التي جمعت بين اللهو والجدّ وبعد سنعرض سردا لحياة هذا الشاعر.

1) مروج الذهب 3/ 245
2) أبو الفرج الاصفهاني "الأغاني " دار الثقافة ، 1959م ج16 ص 3
3) أبو إسحاق الحصري "زهر الآداب وثمر الألباب " تحقيق زكي مبارك ، طبعة الرحمانية ، بدون ط ، ت ج1 ص 150

المبحث الثاني

حياته وأخباره

اسمـه ونـسـبه :

يتردد الخلاف في سلسلة نسب ابن هَرْمَة في المصادر المتقدمة والمتأخرة، وغالباً ما يكون هذا الخلاف بسقوط اسم أو زيادة اسم ، وهذه سلسلة نسبه كما ذكرتها المصادر هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة [1] بن عامر[2] بن هَرْمَة[3] بن هذيل بن ربيع [4] ابن عامر بن صبح [5] بن كنانة [6] بن عدي بن قيس بن الحارث ابن فهر ، وفهر أصل قريش ؛ ومن لم يكن من ولده لم يعد من قريش ، وقد اختلف الرواة في حقيقة نسبه ، إذ التبس على بعض الناسبين اسم قيس بن الحارث بن فهر، فذكر بعضهم إن بني قيس هذا يعرفون بالخُلُج؛ والخُلُج من قيس عدوان ثم انتقلوا إلى بني النضر بن معاوية بن بكر بن هوا زن؛ ولذلك أنكر عمر بن الخطاب نسبهم في قريش وأبى أن يفرض لهم عطاءً، فلما استُخلف عثمان بن عفان أتوه فأثبتهم في بني الحارث بن فهر وجعل لهم معهم ديواناً، وسموا الخلج؛لأنهم نزلوا المدينة على خلج (وأحدها خليج) فسموا بذلك [7]، أما ابن دريد[8] فيشك أن يكون الخلج من قريش فيقول :"والخلج بطن يزعمون أنهم من قريش ، وفيهم ابن هرمة الشاعر " ، أما ابن قتيبة فينفرد بقوله [9] : هو من الخلج والحلج من قيس غيلان ، ويقال إنهم من قريش ، فسموا الخلج ؛لأنهم

---

1) يزيد السيوطي في "شواهد المغني "، ص682 والزبيدي في" تاج العروس مادة سبا" محمد بعد سلمة
2) ويسقط ابن السكيت عامرا من نسبه في الأغاني ، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية بيروت1992م ،تحقيق سمير جابر ج4 ص361
3) يذكر المرصفي في رغبة الآمل ج1 ص139 إن هرمة أمه
4) يسميه الزبيدي في التاج هرم :ربيعة
5) ويسميه الأصفهاني صبيحاً 361/4 ويسقطه الزبيدي من نسبه
6) إنفرد به صاحب الأغاني نقلاً عن هشام الكلبي
7) أنظر الأغاني 361/4
8) ابن دريد "الاشتقاق "، تحقيق ،عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت ، 1991م ص410
9) ابن قتيبة " الشعر والشعراء" الطبعة الثانية ، دار الثقافة ،بيروت ،ج2، ص639

اختلجوا منهم ، أما ابن حزم فيقول [1] : " إن بني الحارث بن فهر وديعة ، وضبة ، والظّرب ، وضباب، وقيس ، وبنوه خاصة يسمون الخلج ، ويقال إنهم من بقايا العماليق ؛ ادعوا إلي الظَّرب عبد الله بن الحارث بن فهر؛ ومن بني الخلج ، وهو قيس بن الحارث بن فهر : إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهذيل بن الربيع بن عامر بن صبح بن عدي بن قيس ، وهو الخلج بن الحارث بن فهر وهو الشاعر ابن هرمة " ويبدو إن قيس وبنيه (الخلج) عرب أدعياء في قريش ومنهم ابن هرمة، ومع ذلك نفوا أن يكون ابن هرمة منهم فجعل يقول :

أحَارِ بنَ فِهْرٍ كَيْفَ تَطَّرِحُونَنِي   وَجَاءَ العِداَ مِن غَيْرِكُمْ تَبْتَغي نَصْرِي [2]

" فصار من ولد فهر في ساعته "[3] ومعني ذلك إنه دعي في الخلج أدعياء قريش وقد صرح ابن هرمة بذلك قائلا : " أنا الأم العرب ؛ دعي أدعياء هرمة دعي في الخلج ، والخلج أدعياء قريش " [4] والعرب كثيرا ما يضيقون ذرعاً بالأدعياء ؛ ويحقرونهم ، بالرغم من إجلالهم لقريش وتقديرهم لها ، فقد كان ابن هرمة ذليلا - لم يرفعه إلا قول الشعر- والدليل على ذلك قصته مع الأسلمي [5] ، وقد رواها ابن هرمة بنفسه لعبد الله بن حسن إثناء وجود الاسلمي بمجلسه فقال : " خرجت – أصلحك الله - أبغي ذوداً لي فأوحشت فضفت هذا ا الأسلمي ؛ فذبح لي شاة، وخبز لي خبزاً وأكرمني ، ثم غدوت من عنده فأقمت ما شاء الله ، ثم خرجت أيضا في بغاء ذودٍ لي ، فأوحشت فضفته؛ فقراني بلبن وتمر ، ثم غدوت من عنده فأقمت ما شاء الله ، ثم خرجت فقلت : لو ضفت الأسلمي ! فاللبن والتمر خيرٌ من الطوى فضفته؛ فجاءني بلبن حامض ، وهنا طلب الاسلمي من عبد الله بن الحسن أن يستأذن له ابن هرمة ؛ ليخبرهم لما فعل ذلك، فلما أذن له قال الأسلمي : ضافني

---

1) ابن حزم الأندلسي "جمهرة انساب العرب "، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة دار المعارف ، مصر ، ط3،1971م ، ص176

2) محمد جبار المعيبد "ديوان ابن هرمة " ، مطبعة الأدب في النجف الأشر ف ، 1969م ص126

3) الأغاني ج4 ص362

4) نفس المصدر 362/4

5) الاسلمي :رجل من قبيلة اسلم

ـأصلحك الله ـ فسألته من هو؟ فقـال : رجل من قريش ؛ فذبحت له الشاة التـي ذكـر ، والله لو كان عندي غيرها لذبحتها له حين ذكر إنـه من قريش ، ثم غد ا من عندي وغدا علـي الحـي فقالوا : من ضيفك البارحـة ؟ قلت : رجلٌ من قريش ؛ فقالوا لا والله مـا هـو مـن قـريش ، ولكنـه دعـي فيهـا ، ثـم ضـافني الثانيـة علـي إنـه دعـي فـي قريش؛ فجئتـه بلـبن وتمـر وقلت : دعـي قريش خيـر مـن غيـره ، ثـم غدا مـن عنـدي وغدا علي الحي فقالوا : من كان ضـيفك البارحة ؟ قلت : الرجل الذي زعمتم إنـه من قريش ،فقالوا لا والله ما هـو بدعي فـي قـريش ؛ ولكنـه دعـي أدعيـاء قـريش ، ثـم جاءني الثالثـة؛ فقـريته لبـناً حامضا ، والله لـو كـان عنـدي شرّمنه لقـريته إيـاه ؛ فأنخذل ابـن هرمـة "[1] ويبـدو إن هـذه البطن التـي ينتسب إليهـا ابـن هرمـة كانـت ضعيفة الشأن عند العرب هينة بين القبائل ، ولعل هذا هو الدافع الذي أغرى ابن هرمة بالأدعـاء فـي الخلـج ، وقد يكون اسم هرمـة هذا لقبـاً لهذه البطن الوضيعة ، ولعـل الأصـل اللغـوي لكلمـة (هرمـة) يوضـح لنـا فهـم الوضـع الاجتمـاعي لهـذه القـبيـلة ؛ فذكر الزمخشرى[2] فـي مـادة (هـرم) وأذل من الهرمـة واحدة الهرم وهو يبس الشبرق ، وأذل الحمض وأشده اسلنطاحاً ، قال زهير :

ووطئتنا وطأة علي حنق وطء المقيد يابس الهرم [3]

والى ذلك ذهب ابن منظـور قـائلا: " والهَرْمُ ضـرب مـن الحمض فـيه ملوحـة وهـو أذلـه وأشـّده انبـساطا علـي الأرض واسـتبطاحا 000 وفـي المثـل: أذل مـن هَرْمَةَ"[4] ويبدو إنّ ابن هَرْمَة كان من أصل ذليل وقد يكون قد أطلق هذا الاسم علي جده كناية علي الذل والمهانة ؛ ثم أصبح كنية لقبيلته، وعلى كلٍ فـإن ابـن هرمـة من أصل عربي كما يـبدو من أخباره .

---

1) الأغاني ج4 ص363
2) جار الله الزمخشرى "أساس البلاغة "، الطبعة الثانية ، دار الكتب مصر 1973م، مادة هرمة ص543
3) ديوان زهير ص 150 شرح الشيباني القاهره 1944م
4) ابن منظور" لسان العرب "، طبعة دار المعارف ، مادة هرم ج6،ص4657

مـــولـــده :

اختلف الرواة في تحديد سنة ميلاده فمنهم من يذهب إلى إنـه ولـد سنة (70هـ) [1] ومنهم من يري إنه ولد سنة (90هـ) [2] ، وأصحاب الرأي الثاني يستندون إلى قول الشاعر في قصيده مدح بها الخليفة المنصور سنة (140هـ) :

إنَّ الـغَـوانَـي قَـدْ أعْـرَضْنَ مَقْلِيَةً لَـمَا رَمَـي هَـدفَ الخَـمسِين مِيْلادِي [3]

ويذكر محمد جبار المعبيد [4] إنّ في الأغاني أخباراً ونصوصا تشير إلي إن مولده كان قبل سنة(60هـ) منها :

مـدحه لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي توفي سنة(80هـ) وتعرضه للحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد توفي سنة(90هـ) ، وهذا بعيد وربما أراد إنه مدح عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، الذي خرج علي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالكوفة سنة (127هـ) وقتل بعد ذلك ولعلّ الاسم ورد في الأغاني مختصرا ، وكذالك تعرضه لحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب والصحيح أنه تعرض لحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وقد جاء في الأغاني إن ابن هرمة كان علي صلة بأبناء الحسن بن الحسن الأربعة وهم عبد الله ، والحسن، وإبراهيم ، وعباس ، ولم يذكر صلته بأبيهم ، ثم توطدت ، صلته بأحفاد الحسن بن الحسن من ولده عبد الله وهما إبراهيم ومحمد[5] وبري محمد جبار المعيبد (محقق الديوان) إنه ولد في سنة(80هـ) ويستدل علي ذلك بالاتي :

---

1) عبد القادر البغدادي " خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب "، تحقيق عبد السلام هارون ،الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1979م ج1 ،ص425

2) الأغاني ج4 ، ص389 نقلا عن البلاذري

3) الديوان ص 107

4) ديوان الشاعر ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، ص14

5) أنظر ترجمته في الأغاني ج368/4 / ابن المعتز "طبقات الشعراء" ، تحقيق عبد الستار فرج ، ط4 دار المعارف القاهرة ،1956م ص20

إنه أنشد جريراً شيئا من شعره حين قدم المدينة ، وجرير توفي سنة (110هـ) [1] ولا يظن إن ابن هرمة وصل درجة رفيعة في الشعر وهو دون العشرين تجعل جريراً يعجب بشعره 0

وهناك قصيدة يعرض فيها بمعاوية بن عبد الله بن جعفر ، وقد توفي سنة (110هـ) ، وكلام المحقق هذا فيه نظر، إذ إن ذلك ليس كافياً في التشكيك في سنة ولادته ، لماذا يستبعد المحقق إجادة ابن هرمة الشعر وهو دون العشرين " مادام هو شاعراً مفلقاً فصيح مذهباً مجيداً حسن القول سائر الشعر" [2] كما قيل عنه كم من شعراء قالوا الشعر في سن مبكرة [3]؛ فهذه عبقرية لا تجعلنا نرفض كلام علماء ثقات كالبلاذري لمجرد افتراض أو توّهم ، ويبدو لي إنه ولد سنة (90هـ) استناداً علي بيت الشاعر في مدح المنصور ، ورأي البلاذري 0

نشأته :

ليس من السهل الحديث عن نشأة ابن هرمة الأولي وعن طفولته ؛ لأن المصادر سكتت عنها وطوت الصفحات الأولي من حياته عابرة إلي أيام شبابه ونضجه ، فقد أشار ثعلب في مجالسه [4] إلى إنه " ربي في بني تميم " وقد أخذ عنهم لغة العنعنة وهي إبدال الهمزة عينا فقال :

أعَن تَغَنّت عَلَي سَاق مُطّوقَة وَرْقَاءُ تَدعُو هَدِيْلاً فَوق أعْوادِ [5]

1) جرير توفي في الأغلب سنة (114ه) بعد وفاة الفرزدق بنحو (40) يوم ديوان الشاعر طبعة دار الجيل بيروت دون تاريخ ، وكذلك طبعة دار صادر بيروت

2) الخطيب البغدادي " تاريخ بغداد " تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى 1997م ،ج6 ، ص126

3) منهم طرفة بن العبد قديماً ، والتيجاني يوسف بشير ، وأبو القاسم الشابي حديثاً

4) أحمد بن يحي ثعلب "مجالس ثعلب "، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط2 دار المعارف مصر، 1948م القسم الأول ص81

5) أنشد هذا البيت أمام هارون الرشيد وهو من قصيدة طويلة لم يبقي منها إلا أبيات متفرقة / اعن : أأن بإبدال الهمزة عينا الديوان ص107

وقد يكون الدافع وراء تربيته في ديار تميم ؛ أخذ اللغة عنهم والاستفادة منهم ؛ وقد يكون للخدمة أو الرعي حتى يكسب قوته ؛ وأما فيما بعد نجده يسكن المدينة ، وقد أشار إلي ذلك ابن المعتز فقال [1] : " ابن هرمة القرشي أحد بني قيس بن الحارث ابن فهر ، ويقال لهم : الخلج ، حجازي سكن المدينة ويكنى أبا إسحاق " وهذه الإشارة تدل دلالة واضحة على إنه لم يولد بالمدينة ، ولم ينشأ فيها إنما سكنها في مرحلة أخرى من مراحل حياته ، وقد تكون قبل زواجه أو بعده ؛ لأن المصادر حتى هذه الفترة لم تتطرق إلي ذكر شيء عن أسرته ، وكل ما نعرفه إنه تزوج وأنجب ، أما علاقته بولاة المدينة قد اتصل بـ(عبد الواحد بن سليمان) ومدحه واتصل بكبار العلويين وأشرافهم وقد أتصل بالعباسين ومن أشهرهم إبراهيم الإمام وأبو جعفر المنصور وقد مدحهم 0

صفاته :

وصف الأصفهاني ابن هرمة قائلا: " كان ابن هرمة قصيراً ، دميماً ، أُريْمصْ ، *وكان ابن ربيح [2] (راويته) طويلاً، جسيماً ، نقي الثياب " [3] ويبدو من هذا الوصف الموجز إنّ صورة ابن هرمة لم تكن تسر الناظرين ، ويبدو إن ذلك كان سببا لاصطحاب راوية معه يرافقه ويروي أشعاره أمام الخلفاء ، والولاة ، والأمراء مع وجود الشاعر في صحبته ، ويذكر أبو الفرج إن عين الشاعر كانت دائمة الإفراز حتى أصبح ذلك صفة ملازمة له فقيل عنه (أُرَيْمصْ) أضف إلي ذلك الدمامة والقصر ؛ ولاشك أن تأثير الشعر على السامعين يتوقف على حسن الأداء وحسن المظهر معا ، ولما كان ابن هرمة

---

1) طبقات ابن المعتز ص20

*) ُاريمصْ : تصغير ارمص وهو تجمع وسخ ابيض جامد في موق عينه " اللسان مادة رمص "

2) راوية شعره اسمه ابن زنبج ؛ هكذا ورد الاسم في مجالس ثعلب ص21 وتاج العروس مادة زنبج وذكره كذلك في الديوان القطع (41) ص77 ، وقد تصحف الاسم إلي ابن ربيح في الأغاني

3) الأغاني ج4 ص376

يتكسب بشعره فلا مناص من أن يحتاط لهذا الأمر ، ويتخذ راوية جميل المنظر حسن الهيئة ، كابن ربيح ؛ حتى يؤثر في الممدوح عند الإنشاد .

أخـــلاقــه :

اتفق معظم الذين ترجموا لابن هرمة بأنه اشتهر بحبه لشرب الخمر؛ وإدمانه شربه ، وحينما ، يعجز عن شرائها فيطلبها من ممد وحيه ، وأصدقائه ، صراحة أو ضمنا ، وقد بلغ به الاستهتار إنه طلب من رجل فاضل تمراً جاءه من صدقة عمر ليعمل منه نبيذاً فأعطاه الرجل خوفا من لسانه، فلقيه بعد ذلك فقال : " ما في الدنيا أجود من نبيذ يجيء من صدقة عمر فأخجله " [1] .

وبلغ ابن هرمة في حبه للخمر حداً، وبلغت به الجرأة وهو بين يدي الخليفة المنصور يسأله أن يبيح له شراب الخمر بعد أن مدحه واستحسن الخليفة مدحه ، ووصله بعشرة الألف درهم ، ويقول للخليفة : " إن أردت أن تهنئني ، فأبح لي الشراب فإنِّي مغرم به ، واستنكر الخليفة هذا منه ، ولكن ابن هرمة قال : احتل لي يا أمير المؤمنين ، فكتب إلي عامله بالمدينة: "من أتاك بان هرمة وهو سكران فأجلده مائة جلدة وأجلد ابن هرمة ثمانين ؛ فكان العون * يمر به وهو سكران فيقول : من يشتري ثمانين بمائة " [2] ولقد كثرت الروايات التي توضح حبه للخمر 0

ولم يشتهر ابن هـرمة بالمجون فقط ، إنما وصفه الجاحظ بالشح والبخل قائلا : [3] "000وأمنع من كثير ، وأشح من ابن هرمة ؟ 000 ومن كان أكثر نحراً لجازرة- أي ناقة - لم تخلق من ابن هرمة " ويبدو إن بناته قد تطبعن بطباعه في أدعاء الفقر، فعن الأصمعي ، قال : قال : ليّ رجل من أهل الشام ، قدمت المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فإذا بنية له صغيرة ، فقلت لها : ما فعل أبوك ؟ قالت :

---

1) الأغاني 4/ 385
*) العون : الشرطي
2) الأغاني 361/4 ؛ الشعر والشعراء ج2/ ص640
3) الجاحظ " البخلاء" ، تحقيق طه الحاجري ، طبعة دار المعارف مصر بدون ط ،1963م ، ص181

وفـد إلي بعض الأجواد ، فما لنـا به علم منذ مدة ، فقلت : انحري لي ناقة فإنا أضيافك ، قالت : والله مـا عندنا، فقلـت : فـشاة ، قالت : والله مـا عندنا قـلت : فـدجاجة ، قــالت : والله ما عندنا قلت : فأعطينا بيضة قالت : والله ما عـنـدنا ، فـقــلت : فباطل ما قـال أبوك :

كَمْ نَاقَةٍ قَـد وَجَـأتُ مَــنْحَـرهَا   بِمُسْتَـهَلِّ الشُّـؤبُوبِ أوْ جَـمَـلِ[1]

فـقالت : ذاك الفعل من أبـي ؛ هـو الـذي أصـارنا إلـى أن لـيس عـنـدنا شـيء !! [2]

وقد يضطره حرصه الشديد علي المال إلي الكذب ليحظى بما يريد ، ويروي أبو الفرج ، " إنــه كان لـلحكـم بن عـبد المطلب شاة يقال لها (غراء) وكان الحكم معجباً بها وكانت في داره سبعـون شاة تحـلـب ، وكـان ابن هرمة مع قوم علـى شراب فـخـرج وفي رأسه مـا فـيه ، فدق الباب فخرج إليه غلام الحكم ، فقال ابن هرمة : أعلم أبا مروان بمكاني ، وكان الحكم قد أمر ألا يحجب ابن هرمة عنه ، فأعلمه به فخرج إليه متشحاً فقال : أفي مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق ! فقال : نعم جعلت فداك ، ولد لأخٍ لـي مولود ولم تدر عليه أمه، فطلبوا لـه شاة حلوب ، فلم يجدوها ، فذكروا له شاة عندك يقال لها (غراء) ؛ فسألني أن اسلكها فقال : أتجيء فـي مثـل هـذه الـساعة ثـم تنـصرف بـشاة واحـدة ! والله لا تبقـي فـي الـدار شـاة إلا انصرفت بها سقهن معه يا غلام ؛ فساقهن ، فخرج بهن إلي القوم ، فقالوا : ويحك ! أي شـيء صـنعت ؟! فـقـص عليهم القـصة " [3]، والـبعض يـري أن ابـن هرمـة معـروف بالـكرم والجود مثـل : عـبيد البكـري [4] ، وإلـى ذلـك ذهـب ابـن عـساكر أيضا ذاكرا قصته مع الراعي الذي جاء يسأله فيما يبيع من غنـمه، فذكـره أحد الجالسين معه بقوله :

---

1) الديوان ص 183
2) تاريخ بغداد ،ج6 ص126
3) الأغاني 4/ 388
4) عبيد الله بن عبد الله البكري " سمط الآلئ " ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،1936م ،ج1 ، ص52

لاَ أمْتِعُ العُوْذَ بالفِصَالِ وَلاَ أبْتَاعُ إلاَّ قَرِيْبَةَ الأجَـــلِ [1]

فقال له ابن هرمة : مالك ؟ أخزاك الله ، من أخذ منها شيئا فهو له : وما إن سمع الجميع ذلك حتى انتهبوها فلم يُبْقِ منه شيئا [2] والبعض يدلل علي كرم ابن هرمة بأنه مات وترك أبناءه فقراء معدمين [3] ويستبعدون بخل ابن هرمة على الرغم مما روي عنه0

ثقافته :

يبدو إنّ ابن هرمة كان مثقفاً ثقافة عامة، فقد كان عصره عصر الثقافات المختلفة ، وقد غلبت عليه الثقافة العربية الخالصة متمثلة في أشعار الجاهلين و الإسلاميين ، وقد اتصل ابن هرمة بفحول الشعراء المعاصرين مثل : جرير؛ لتثقيف نفسه ، وتقويم شعره ، ولا شك إنه عرف أصل اللغة في مرباه الأول في ديار تميم ، ولابد إنه استفاد من زيارته للحواضر الإسلامية ؛ والتقى بشعراء وعلماء 0

مكانته :

من خلال الأخبار التي ذكرتها المصادر يبدو لنا إن ابن هرمة كان ذا حظوة وشأن عند كثيرٍ من أكابر القوم ، يغشاهم في أي وقت فلا يحجب عنهم ويطلب منهم ما أراد ولا يرد مطلبه فالحكم بن عبد المطلب يأتيه الشاعر ليلا ليطلب منه شاه فيعطيه سبعين شاه ، وهذا والي المدينة (الحسن بن زيد) يحذّر ابن هرمة من الشراب ، ويهدده لئن جئ به سكران ليضربه حدّا للخمر وحدّا للسكر ويزده لموضع حرمته به [4] ، فأي حرمه هذه التي يعنيها الوالي لدعي أشتُهر بشربه الخمر ، بل كيف تجرا أن يطلب من إمام من أئمة العلويين نبيذا لشربه ، فإذا رفض

---

5) الديوان ص 183

1) أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر " تهذيب ابن عساكر "تصحيح عبد القادر بدران ، طبعة روضة الشام 1330هـ، ج2 ص269 ؛ والأغاني ،ج5 ص270

2) أبو علي الغالي "ذيل الأمالي والنوادر"، دار الكتب المصرية القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1926م ص110

3) أبو العباس المبرد" الكامل في اللغة والأدب "، طبعة مكتبة المعارف ،بيروت دون ط، ت ،ج1 ص142

هجاه ، والأعجب من ذلك إنه لا يتورع فيطلب من الخليفة المنصور نفسه أن يبيح له الشراب ؛لأنه مغرم به ، ويجيب المنصور ويحتال له فيه بأن يأمر بعقاب من يأتي بابن هرمة سكران أكثر من عقاب الخمر، ولعلّ ذلك راجع لقوة شعره لا شخصيته ، وإلى خوف الناس من لسانه لا حباً فيه، والدليل علي ذلك عدم خروج الناس في جنازته بعد موته فكان يشعر هو نفسه بذلك فكان يقول لامرأته :

مَا أظنُ الزَّمَانَ يَا أُمَّ عَمْرِو　　تَاركاً إنْ هَلَكْتَ مَن يَبكِينِي [1]

فكان كذلك لقد مات فأخبر من رأي جنازته ما يحملها إلا أربعة نفر حتى دفن بالبقيع [2]

ميوله وتشيعه :

عاش ابن هرمة في عصر كثرت فيه الاضطرابات بين المذاهب والفرق المختلفة التي لا يحيط بها حصر ولا عدد ولعلّ أول ما يواجه الباحث هو قضية تشيعه الذي ألمح إليه بعض القدماء ، وأكده البعض الآخر منهم ، فقال : عنه ابن المعتز[3] : " إنَّ له مدائح في عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي ، وفي حسن بن زيد عليهم السلام ، وكان منقطعا إليهما 000 " ، أما الخطيب البغدادي[4] فذكر إنَّه " ممن أشتهر بالانقطاع للطالبين " 0

وقد مدح ابن هرمة كبار العلويين ، كما مدح ولاة بني أميّة ، وكذلك مدح خلفاء العباسيين مثل : السفاح والمنصور ، فكيف استطاع ابن هرمة مع صلته الوثيقة بالعلويين أن يتقرب للأمويين وينال عطاياهم ، وينجو من بطش السفاح والمنصور ؟ 0

من خلال أخباره مع كل من اتصل بهم نستطيع أن نشهد له بالحيطة، والحذر، والتقيّة ، والذكاء، والدهاء ؛ لأنَّه استطاع أن ينأى بمذهبه السياسي الذي

1) الديوان ص 234
2) الأغاني 389/4
3) طبقات الشعراء ص21
4) تاريخ بغداد 6/ 128

أختاره لنفسه ، عما يوجب سفك دمه ، وإنّ أخباره لم توضح إنّه اشترك في الفتن ، والثورات التي كانت تقوم بها الأحزاب المناهضة للدولة الحاكمة ، ولم يفصح عن مذهبه وميوله ، إنَّما كان محباً للحياة ، واللهو ، مُكِباً علي الملذات محتاجا للمال ، وكانت مدائحه وسيلته الوحيدة للتكسب ، وجمع المال حتى يجابه حياته اللاهية ؛ ولذلك حرص على أن تكون صلته بالحكام والولاة طيبة حتى يضمن استمرار عطاياهم ، ولذلك لم يشترك في أي من الثورات حتى يأمن علي نفسه من الهلاك 0

إن معظم المصادر التي ترجمت لابن هرمة لم تذكر الفرقة التي ينتمي إليها ، بل اكتفت بالإشارة إلي انقطاعه للطالبين ، وسنحاول الكشف عن الفرقة الشيعية التي ينتمي إليها ابن هرمة ، إنَّ فرق الشيعة التي ذكرها الشهرستاني خمس هي : الكيسانية ، والزبدية ، والأمامية ، والغلاة ، و الإسماعيلية [1] وكلها كانت موجودة في زمن ابن هرمة ، وقد انقسمت هذه الفرق في عصور متأخرة إلى فرق كثيرة ، تفوق الحصر ، منها ما أندثر ومنها ما بقي إلى يومنا هذا ، والذين يصفون ابن هرمة بالتشيع يروون له هذه الأبيات : [2]

وَمَهْمَا أُلاَمَ عَلى حُبِّهِمْ   فَإنِّي أحِبُّ بَنِي فَاطِمَةْ
بَنِي بِنْتِ مَن جَاءَ بالمُحْكَمَا   تِ وَبالدِّيْنِ وَالسُّنَّةِ القَائِمَةْ
فَلَسْتُ أُبَالي بحُبِّي لَهُم   سِوَاهُم مِنَ النَعَمِ السَائِمَةْ

من خلال هذه الأبيات يبدو إن ابن هرمة ينتمي إلي فرقة الزيدية ، لأن الزبدية ينادون بأن يكون الإمام من أبناء السيدة فاطمة ، ولا يجوز ثبوت الإمامة في غيرهم [3] ومعنى هذا إنهم يخالفون الكيسانية التي تؤمن بإمامة أبن الحنفية ، ونستطيع أن نلمح جرأة الزيدين في قوله ، فهو لا يحب غير بني فاطمة ولا يبالي بحب أحد سواهم ؛لأنهم يَفْضُلون الناس جميعا ولا وجه للمقارنة بينهم وبين غيرهم

---

1) الشهر سناني " الملل والنحل "، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الفكر بيروت ، بدون ط،ت ص147
2) أنظر القطعة (227) من الديوان ص203
3) الملل والنحل ، ص154

من الذين يعدون من النعم السائمة ، التي تهيم على وجهها ، ولعلّ هذه الجرأة كانت الطابع المميز للزيدية فلا تقــية عندهـم ، وهم بهذا يختلفون عن الأمامية التي اتخذت من التقية مبدأ أساسياً في عقيدتهم ؛ ودرعاً واقياً عند الخطر.

وبالنظر إلى ديوان ابن هرمة نجد أسماء بعض الطالبين مثل : " معاوية بن عبد الله ، و وأبناء الحسن بن الحسن بن علي ، وعبد لله بن جعفر بن أبي طالب ، والحسن بن زيد ، وعبد الله بن معاوية " ويري محقق الديوان (محمد جبار المعيبد) إنّ هؤلاء الطالبين ليسوا ذوى مكانة كبيرة ، ويسأل عن مدائحه لائمة الشيعة الذين عاصرهم كالإمام الباقر، والصادق ، وموسى بن جعفر، وماذا كان موقفه من ثورة زيد بن علي[1]

وكلام المحقق هذا بأنّ هؤلاء العلوبين ليسوا ذوى مكانة كبيرة فيه نظر ؛ لأن أبناء الحسن بن الحسن كانوا من أعيان المدينة ، وكانوا على صلة وطيدة بالسفاح والمنصور وخصوصا عبد الله بن الحسن قبل أن يتمرد ابناه محمد وإبراهيم على العباسيين [2] وكان عبد الله يكنى أبا محمد وهو تابعي من أهل المدينة ، أما الحسن ابن زيد فكان والي المدينة لأبي جعفر المنصور سنة (150هـ)، سخط عليه المنصور وسجنه حتى مات في سجنه ، وكان من ذوي الغنى والثراء [3] ، أما عبد الله بن معاوية فكان من شجعان الطالبين وأجودهم ، طلب الخلافة في آخر بني أمية وبايعه بعض أهل الكوفة ، أما النفس الزّكيَّة فكان إماما لإحدى فرق الشيعة 0

أما تساؤل المحقق عن موقف ابن هرمة من أئمة الشيعة الذين عاصرهم كالإمام الباقر ، والصادق ، وموسي الكاظم ، إن هؤلاء الأئمة من أئمة الشيعة الأمامية ، وقد كان مقرهم الكوفة ، وان ابن هرمة لم يخرج من المدينة إلا نادرا

1) أنظر الديوان القطع (117، 168 ، 250، 00)
2) ابن عبد ربه " العقد الفريد" أحمد أمين وآخرون ، طبعة الترجمة والنشر ، القاهرة ، بدون ط 1953م ،ج 5/ ص 74
3) مجالس ثعلب ، ص 21

كوفوده علي الأمويين بدمشق ، وعلى العباسيين ببغداد عندما مدح المنصور[1] ، ولم تذكر المصادر إنه وفـد إلى الكوفة 0

ونجد له موقفاً غريباً من النفس الزكيَّة (محمد بن عبد الله بن الحسن) الذي بدأ بالعمل للثورة ضد الأمويين سرا، ويقال إنّ السفاح والمنصور كانا من دعاته ، ولما جاء العباسيون للحكم تخلف النفس الزكية وأخوه إبراهيم عن بيعة السفاح ، وأعلنا ثورتهما علي المنصور حينما قبض على أبيهما الذي مات في سجنه ، وقد استولى هو وأخوه على المدينة والبصرة ، ومكة وفارس ، ولكن المنصور تمكن من القضاء على ثورتهما بجيش أرسله بقيادة عيسي بن موسى * وكل هـذا وابن هرمة بالمدينة مركز الثورة ، فماذا كان موقفه ؟ يروي الزجاجي [2] "عن رجل من بنى مخزوم ، قال : لقيت ابن هرمة منصرفة من المدينة ، فقال لي : قد خرج هذا الرجل – يعني النفس الزكيَّة – وقلت : أبيات فاعرفها واحفظها " وروى له :

أرى النـَّاسَ في أمْرٍ سَحيلٍ فَلا تـَزَلْ   عَلَي حَذَرٍ حَتى تـَري الأمرَ مُبْرَمَا
وَأمْسِكْ بأطـْرَافِ الكَلامِ فَـإنـَّـهُ   نـَجَاتُكَ مِمَّا خِفـْتَ أمراً مُجَمْجَمَا
فإنـَّكَ لا تـَسْتـَطيعُ رَدْ الـذي مَضى   إذ ا القَوْلُ عَن زَلاَّتِهِ فارَقَ الفَمَا
وَكَائِن تـَرى مِنْ وَافِر العِرْضِ صَامِتاَ   وآخَـرَ أرْدى نَفْسَهُ أنْ تـَكَلـَّمَا[3]

وهذا يعني إنّ ابن هرمة خرج من المدينة إبّان ثورة النفس الزكيَّة وأبياته هذه توضح تردده في تأيد النفس الزكيَّة، فهو خائف لا يعرف المنتصر ، ويرجى رأيه إلى أن ينضح الموقف أمامه ، ولعلّه في خروجه هذا كان ذاهبا إلى مكة؛ لأنها لم تكن قد خضعت للنفس الزكيَّة بعد ، وبعد أن توسعت رقعة انتصارات النفس الزكيّة

1) تاريخ بغداد 6/ 128
*) عيسي بن موسي : قائد عباسي ، وهو ابن أخي السفاح كان ولي عهد المنصور ، عزله وأرضاه بمال وفير توفي بالكوفة (167هـ) أنظر ترجمته في " الأعلام"، خير الدين الزر كلي ، دار العلم للملايين بيروت الطبعة 15، 2002م
2) أمالي الزجاجي ، ص5
3) الديوان ص 202

واستولى على الجزيرة العربية وبعض مدن العراق وفارس ؛ فحينها لم يتردد ابن هرمة في تأييده والوقوف بجانبه، ويروي له الصولي أبياتا في مدح النفس الزكية تؤكد ذلك قال فيها : (1)

أَتَتْكَ الرَّواحِلُ و المُلْجَمَاتُ   بعيسَي بنِ مُوسي فَلا تَعْجَلِ
وَقَالَ لي النـَّاسُ إنَّ الحَيـاءَ   أَتَاكَ مَعَ المَـلِكِ المُقْـبلِ
فَدُونكَهَا يَا ابن سَاقي الحَجيج   فإنِّى بهَا عنكَ لَمْ أبخَلِ
لِقَولِ الوَصِيِّ وأنتَ ابنُـهُ   وَصيِّ نَبيِّ الهُدى المرسَلِ (2)

وتنتهي ثورة النفس الزكيّة بقتله ويتهم المنصور ابن هرمة بمناصرته حتى يضطر إلي إنكار ما قاله في النفس الزكيّة خوفا من المنصور فيقول أني أنا القائل وقد دعوني إلي الخروج مع محمد بن عبد الله (3)

دَعَوْني وَقَدْ شَالَتْ لإبْلِيْسَ رَأيَـةٌ   وَأَوْقَـدَ لِلغَـاويْنَ نَارُ الحَـبَاحِـبِ
أ بِاللَّيْثِ تَغْتَرُونَ يَحْمي عَرِينَهُ   وَتَلْقَونَ جَهْلاً أُسْدَهُ بالثَّعالِبِ
فَلاَ نَفَعَتْني السِّنُ إنْ لَمْ يَؤُزَكمْ   وَلاَ أحكَمَتْني صَادِقَاتِ التَّجَارِبِ (4)

في هذه القطعة يعرض ابن هرمة بالنفس الزكيّة و ينكر مناصرته له ولم يكتفِ بهذا الإنكار بل يتملق إلي المنصور ويمدحه بقصيدة مطلعها :

غَلَبْتَ عَلى الخَلافَةِ مَنْ تَمَنَى   وَمَنَّاهُ المُضِلَ بِهَا الضَلُولُ
فَأهْلَكَ نَفسَهُ سفَهاً وَجُبْناً   وَلَمْ يَقْسَم لَهُ منهَا قَتِيْل
وَوَازَرَهُ ذَوُو طَمَعٍ فَكَانُوا   غُثَاءَ السَّيْل يَجمَعُهُ السّيُولُ
دَعَوْا إبلِيْسَ إذ كذبُوا وَجَارُوا   فَلَم يُصرِخهُمُ المُغوِي الخَذُولُ
وَكَانُوا أهْلَ طَاعَتِهِ فَوَلَّى   وَسَارَ وَرَاءَهُ منهُم قَبِيْلُ

ويقول في أخرها :

---

1) أشعار أولاد الخلفاء ص312
2) الديوان ص 186
3) العقد الفريد ج5/ ص 89
4) الديوان ص 63

تُرَاثُ مُـحَــمّــدٍ لــكُـمُ وَكُـنْـتُـمْ   أُصُولَ الـحَــقِّ إِذْ نُفِي الأُصُولُ [1]

هذا مجمل موقفه من النفس الزكيّة من ويبدو انه لاز بمبدأ التقيه عند الشيعة فهو يتبع المنتصر ويبعد عن المنهزم ويمدح ويهجو لأجل المال ويدلنا علي ذلك قوله لعبد الله بن الحسن حينما غضب عليه لمدحه عبد الواحد سليمان بقوله :

وَجَدْنَا غَـالِباً خُـلِقَـتْ جَنَـاحـاً   وَكَـانَ أَبُـوكَ قَـادِمَــةَ الـجَـنَـاحِ [2]

قال جعلني الله فداك إنِّي قلت قولا اخدعه به طلبا لدنياه [3] ، ويروي الخطيب البغدادي [4] إنّ ابن هرمة لما رجع إلي المدينة بعد مدح المنصور وتوّعده له بقتله إذا بلغه عنه أمرُ يكره قال ابن هرمة : فأتيت المدينة فأتاني رجل من الطالبيين فسلّم عليَّ ، فقلت : تنح عني لا تشيط بدمي ، كما أنكر حتى أبياته المشهورة التي يقول فـيهـا :

وَمَـهْـمَــا أُلامَ عَـلـى حُـبِّـهِـمْ   فَـإِنِّي أُحِـبُّ بَنِــي فَـاطِـمَــةَ [5]

التي قالها أيام بني أمية حينما ضيق العباسيون الخناق على العلويين ، قال البغدادي[6] : فقيل له في دولة بني العباس : ألست القائل كذا - وانشده الأبيات - ؟ قال : أعض الله قائلها بهن أمه ، فقال له من يثق به : الست قائلها ؟ قال : بلي ولكن أعض بهن أمي خير من أن اقتل أما ما ذكره صاحب الأغاني من حديث بين مصعب بن عبد الله وابن هرمة يطلب فيه عبد الله من ابن هرمة أن يرويه شعره ، يقول : (فرواني عباسياته تلك) [7] وخلاصة القول إنّ ابن هرمة كان شاعراً ذكيًّا محبًّا للمال ؛ لذلك لم يترك فرصة للكسب إلا اغتنمها ، وأخذ يساير كلّ الأجواء ولم يرد أن يقحم نفسه في مأزق سياسي ، ولعلّ ذلك أتاح له فرصة الاتصال بالأمويين

---

1) الديوان ص 173
2) الديوان ص 87
3) الأغاني 6/ 106
4) تاريخ بغداد 6/ 129 ؛ وأنظر أيضا طبقات الشعراء ص20 ؛ والأغاني 4/ 378- 388
5) الديوان ص 302
6) تاريخ بغداد 6/ 129
7) قصائده التي خصصها في مدح بني العباس / الأغاني 4/ 374

وخصوصا بعد أن أنكر أبياته التي تشير إلي حبه لأبناء السيدة فاطمة ، وميله للزيديين 0

وقد لاحظ الدكتور هدارة ، ذلك حيث قال : "ويبدو إنّ ابن هرمة كان يميل فقط للعلويين دون أن يتخذ مذهبهم عقيدة صحيحة له " [(1)] ويقول أيضا إنّ ابن هرمة "لا يعتد به في الشعر المذهبي ؛لأنه لا يصور لنا عقيدة معينة ، ولا يرسي أصول مذهب يعتنقه ، شان الشعراء المذهبيين 000 ولا يحتج علي ذلك بعدم وصول شعره إلينا ، فإنه لو كان وقف شعره أو أكثره علي الناحية المذهبية ؛ لوصلنا كما وصل شعر الكميت ، وغيره " [(2)] هكذا قد تبين موقف ابن هرمة من فرق الشيعة المختلفة التي كانت سائدة في عصره علي ضوء ما ذكر من أخباره وأشعاره 0

وفـــاتـه :

يقول الأصفهاني نقلا عن البَلاَذُريّ إن ابن هرمة أنشد المنصور سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها :

إنَّ الغَواني قَدْ اعرضنَ مَقَلية   لمّا رَمَى هَدَفَ الخَمسِين مِيْلاَدي[(3)]

قال : ثم عمّر بعدها مدة طويلة [(4)]

وفي إخباره إنه مدح هارون الرشيد بقصيدة دالية [(5)] يقول فيها :

أعَن تَغَنّت عَلَي سَاق مُطَوقَةٌ   وَرْقَاءُ تَدعُو هَدِيْلاً فَوق أعْوادِ[(6)]

وإلى ذلك ذهب السيوطي [(7)] ويقول إنه توفي في خلافة الرشيد بعد المائة والخمسين تقريبا ، والراجح أنه توفي سنة مائة وست وسبعين للهجرة نصّ علي

1) هدارة " إتجاهات الشعر العربي في الفرن الثاني" دار المعارف ، 1963م ، ص 352
2) المصدر نفسه ص 353
3) الديوان ص 107
4) الأغاني 389/4
5) مجالس ثعلب 81/1
6) الديوان ص 107
7) جلال الدين السيوطي ، " شواهد المغني " نشر لجنة التراث العربي ، دمشق 1966م بدون ط- ج2 ، ص682 ؛ أنظر خزانة الأدب البغدادي ج1 ص204

ذلك نصّا صريحا ابن كثير[1] ذاكـراً مصدره وهو ابـن الجوزي ، وكذلك ذكر ابـن تغري يـردي فـي حـوادث سنة (176هـ) حيث يقول : " وفيها توفي إبـراهيم بـن علي بن سلمه بن عامر بن هرمة أبو إسحاق الفـهري الشاعر المشهور " [2] 0

1) الحافظ بن كثير " البداية والنهاية "، الطبعة السابعة ، مكتبة المعارف ، بيروت 1988م ج ، 10ص170
2) جمال الدين يوسف تغري بردى الاتابكي " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" ، نسخة مصورة من دار2الكتب ، ج2 ، ص84

الفصل الثاني

مضمون شعـــــره

المبحث الأول : بناء الأغراض
المبحث الثاني : بناء المعاني

تمهيد

كان لشعر ابن هرمة حظٌ وافرٌ من الاهتمام والعناية ، حيث اهتّم القدماء بتسجيل شعره وأخباره ، وقام بذلك أكثر من عالم ، وكان منهجهم في ذلك إما بتجريد شعره من الأخبار أو بالمزاوجة بينهما ، وقد نصّ علي ذلك ابن النديم نصّا صريحا قائلا[1] : " وشعره مجرد نحو مائتي ورقة في صنعة أبي سعيد السكري أول جامع لديوان شعر ابن هرمة نحو خمسمائة ورقة في كل ورقة عشرين سطرا أي في حدود عشرين ألف بيت " وهو عدد كبير إذا ما قورن بالشعر الذي بين أيدينا 0

ولم تقتصر عناية القدماء علي جمع شعر ابن هرمة بل ألفوا كتباً عديدة في أخباره إذ وضع إسحاق الموصلي كتاب " أخبار ابن هرمة "[2] وألف الزبير بن بكار كتاب يحمل الاسم نفسه ، ويتلوه كتاب" أخبار ابن هرمة " للصولي [3] ولكن هذه الكتب اندثرت فلم يصلنا منها شيء 0

وصدر له في عام 1969م ديوان شعر جمع وتحقيق (محمد جبار المعيبد) وقد ساعد المجمع العلمي العراقي علي طبعه في الآداب مطبعة النجف الأشرف ، وقد جمع المحقق نحو ثمانمائة وخمسة عشر بيتاً وأربعة أنصاف أبيات ، وسبعين بيتاً نسبت للشاعر ولغيره 0

أ/ منهج المحقق في جمع وتحقيق الديوان :

قضى المحقق فترة طويلة في جمع الديوان ، وقد بدأ العمل بالرجوع إلي هذا التراث الضخم من كتب الأدب واللغة والتاريخ ، ودقق النظر فيها طويلا ، مطبوعة

1) ابن النديم " الفهرست "، مطبعة خياط بيروت ، 1964م ، بدون ط ، ص 159
2) المصدر نفسه ص 111
3) نفسه ص 142

ومخطوطة ؛ ليستخرج منها ما ذكرته هذه الكتب من قصائد ابن هرمة ومقطوعاته وأبياته المفردة 0

وكان منهجه كالأتي :

1/ تخريج القصائد من المصادر التي استقاها منها تخريجاً جيداً 0

2/ رتب الشعر الذي تجمع لديه حسب قوافيه 0

3/ جعل للديوان هامشين :

الأول : لاختلاف الروايات بالنسبة للقصيدة الواحدة ، ورجح في أكثر الأحيان للمصدر الأقدم 0

الثاني : لشرح الغامض من ألفاظ الشاعر وعبارته ، واعتمد في شرحها علي القواميس اللغوية وعلي شرح القدماء للقصائد 0

4/ أعتمد في بعض الأحيان علي أكثر من طبعة لبعض الكتب في تثبيت البيت ، كما في معجم البلدان (طبعة أوربا و طبعة بيروت) وذلك ليتفادى الأغلاط المطبعية ، في الطبعتين 0

5/ جعل الديوان علي قسمين :

القسم الأول : للشعر الذي صحة نسبته للشاعر وعدد أبياته خمسة عشر ثمانمائة

القسم الثاني : للشعر المنسوب للشاعر ولغيره ، محاولا ترجيح نسبة بعض القطع لابن هرمة أو لغيره 0

بعد أن جمع قصائده في هذا الديوان قام بالاتي :

أ/ كتب مقدمة تحدث فيها عن المصادر التي جمعت أخبار ابن هرمة وشعره ، ثم ترجم لصاحب الديوان ، وبين معالم منهجه في الجمع والتحقيق 0

ب/ جعل للقصائد ثبت في نهاية الديوان ، ورتبها حسب القافية 0

ج/ ذيل الديوان بأسماء المصادر و المراجع التي اعتمد عليها في الجمع والتحقيق0

ب/ سلبيات الطبعة :

1/ من الملاحظ في هذه الطبعة إنّ المحقق رتب القصائد حسب قوافيها ، وعندما تأتي أبيات متفرقة من قصيدة واحدة لم يدمجها مع بعضها مع أتحادها في البحر والقافية مثلاً القصيدة الأولى من الديوان والتي مطلعها :

إنَّ سُلَيمَي وَاللهُ يَكلَؤُهَا ضَنَّتْ بشَيء ٍ مَا كانَ يرزَؤُهَا [1]

قد وضعها المحقق تحت سبعة أرقام لسبع قصائد : فقصيدة رقم (1) تسعة أبيات ، وقصيدة رقم (2) أربعة أبيات ، وقصيدة رقم (3) بيتان ورقم (4) و(5) و(6) و(7) كلها بيت واحد فلماذا لم يرتب المحقق هذه الأبيات مادامت من قصيدة واحدة ؟ متحرياً في ذلك الدقة والترتيب المنطقي ، ولو فعل ذلك لكان أفضل 0

2/ إن النص رقم (95) وهي القصيدة التي يعتذر فيها ابن هرمة لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن و التي مطلعها :

بابنَ الفواطمِ خيرِ الناسِ كلهمُ عندَ الفخار وأولاهم بتطهيرِ [2]

كررها المحقق تحت رقم (115) دون أن يفطن لذلك 0

4/ الهوامش التفسيرية كانت مقتضبة بعض الشيء 0

5/ قصيدة ابن هرمة في مدح عبد الواحد والتي يقول فيها :

إذا قيل مَنْ خيرُ مَنْ يُرتَجى لمُعترٍّ فِهرٍ و محتاجِها

وَمَن يُعْجِلِ الخيلَ يومَ الوغى بإلجامها قَبْلَ إسراجها

أشارة نساءُ بني غالب إليكَ به قَبْلَ أزواجها ([3])

لم يضمنها الديوان مع صحة نسبتها إلي الشاعر، في الأغاني وتهذيب ابن عساكر، هذا بإيجاز الشكل العام لشعر بن هرمة المسمى "ديوان إبراهيم بن هرمة "

---

1) الديوان ص 48
2) الديوان ص 119
3) انظر تهذيب ابن عساكر ج2 ص 234 ؛ الأغاني ج6/ ص119

المبحث الأول

بناء الأغراض

أغراض شعره :

الشعر عند العرب بحر لجب خفي لمسالك ، كثير الأغراض ، استودع الشعراء فيه مكنونات أفئدتهم وعقولهم ، وفيض خواطرهم ، وأشواق مهجاتهم ، وتفصيل بيئاتهم ، وحركة الحياة في زمانهم ؛ لذلك كثرت أغراض الشعر العربي ، وتعددت أنواعها وتشعبت واتسعت ، وكان المديح أعلاها شأناً وعمدتها ، ثم يأتي والفخر ، والرثاء، والغزل،و الهجاء والوصف " [1]

ويعدّها بعضهم أربعة " المدح ، الهجاء ، النسيب ، الرثاء " [2] 0

وجعلها بعضهم خمسة وهي " النسيب ، المدح ، الهجاء ، الفخر ، الوصف 000 ويراها أحرون نوعين مدح وهجاء فارجعوا الرثاء والافتخار والنسيب والوصف إلي المدح ؛ وقالوا الهجاء ضد ذلك كله " [3]

المـــدح :

نشأ المدح إعلاءً للمُثل العليا التي دأب الجاهليون علي تقديسها ، وإشادة بمحاسن الممدوح ، وقد عَرف الشعر العربي المدح منذ العصر الجاهلي ، فقد مدح الشعراء الملوك والأمراء ، وذوي المكانة والشرف ، تقديرا لجميل صفاتهم وشمائلهم ، ولاشك إنّ المدح قد لعب دوراً مهماً ، إذ سجّل كثيراً من أعمال الملوك وسياسة الوزراء ، وشجاعة القواد ، وأضاف للتاريخ الكثير من الوقائع والمشاهد ، كما إنه رفع من مكانة بعض القوم ؛ فجعلهم أعلاماً يشار إليهم ؛ بما أحاطهم من عناية ورعاية وأحط أخرين 0

---

1) أبو هلال العسكري " الصناعتين الكتابة والشعر"، تحقيق علي محمد البيجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى، مطبعة عيسي ألبابي الحلبي 1952م ، ص131

2) ابن رشيق القيرواني " العمدة قي صناعة الشعر ونقده "، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان ، الطبعة الأولى، مطبعة الخانجي القاهرة 2000م ج1/ ص193

3) العمدة ص 194- 195

والمدح كما عرَّفه بعضهم ، هو" تعداد لجميل المزايا ، ووصف الشمائل الكريمة وإظهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا ، وعرفوا بمثل هاتيك الشمائل "[1] 0

وابن رشيق وضع للشاعر بعض الأسس التي ينبغي أن يترسم خطاها فقال : " وسبيل الشاعر إذا مدح ملكاً أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكر الممدوح ، وأن يجعل معانيه جزلة ، وألفاظه نقيَّة غير مبتذلة سوقيَّة ، ويجتنب – مع ذلك - التقصير والتجاوز والتطويل ، فإن للملك سأم وضجر ، ربما عاب من أجله ما لا يُعاب وحرم ما لا يريد حرمانه " [2]يرى بعض النقاد إن : "من الشعراء من يجعل المدح ، فيكون ، ذلك وجهاً حسناً لبلوغه الإرادة مع خلوه من الإطالة ، وبعده من الإكثار ، ودخوله في الاختصار" [3] 0

والعرب تكسَّبت بالمديح وظهر ذلك منذ العصر الجاهلي، فقد عرفه عدد من الشعراء؛ ويقال إن أول شاعر عربي جعل الشعر وسيلة للتكسب : النابغة الذبياني ، فقد جاء قي العمدة : " كانت العرب لا تتكسَّب بالشعر 000 حتى نشأ النابغة الذبياني ، فمدح الملوك ، وقَبِل الصلة على الشعر، وخضع للنعمان بن المنذر 000" [4] وابن رشيق ينفي أن تكون العرب تكسَّبت بالشعر ، ويقول : إن ما يصنعه الشعراء ، هو مكافأة عن يدٍ لا يستطيعون أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها[5]

المدح عند ابن هرمة :

يتصدر المديح الأغراض الشعريَّة التي نظم فيها ابن هرمة شعر، وكانت معاصرته للعصرين الأموي والعباسي الأول قد رفدت مدائحه بالجدة والتفرد ، فقد

1) أحمد أبو حاقة " فن المديح وتطوره في الشعر العربي " ، منشورات دار الشرق الجديد ، بيروت الطبعة الأولى ، مارس 1962م ص5
2) العمدة ج2/ص128
3) المصدر السابق ج2/ ص 137
4) نفسه 40/1
5) نفسه 80/1

اتصل بعدد من الرؤوساء والأمراء والكبار من قادة الأحزاب السياسية والمذاهب الفكرية ، وبعض ذوي اليسار وسنتعرض لمدحهم بشيء من التفصيل وسنرتبهم حسب أزمانهم ، ومكانتهم ، وعصرهم 0

مدح الأمويين :

اتصل بالأمويين ومدحهم في شعر نسب إليه [1] بفضائل عديدة ، لا تظهر فيها ملامح الشعر السياسي صراحة ولكنه لا يخلو منه فهم حكام مطاعون لا كلمة تعلو على كلمتهم ، يفسحون مجالسهم للناس ، كثيرو العدد، خصهم الله بقضاء حوائج الناس ، وأنهم أهل ثراء ونعمة حيث قـــال :

لَـو كَانَ حَـولي بنُو أُميَّة لَــمْ ... يَنطقْ رجَالٌ إذا هُمُ نطَـقُــــوا
إنْ جَلَسُوا لَـمْ تَضقْ مجَالسُهُم ... أو رَكَبُوا ضَاقَ عَنهُــمُ الأفُــقُ
كَم فيهُـم مِن أخٍ وَذي ثِقَـــةٍ ... عَــن مَنكَبَيْهِ القَميصُ منخَــــرقُ
تُحبُّهُـــمُ عُــوَّدُ النِّسَـــاءِ إذا ... مَـا أحمَرَّ تحتَ القَـوا نِسِ الحَدَقُ
فَريحهُمُ عندَ ذَاكَ أنْدَى مِن الـــــمِسْكِ وَفَـيهــم لخَـابطٍ ورقُ [2]

فـوصفهم بطيب الرائحة في كل حال ، وقد خصّ منهم الولـيد بن يـزيـد* بالمدح إلا أنّ مدائحه فيه قد ضاعـت [3] ، ويروي أبو الفرج قصة يرويها عن عمر بن أيوب اللَّيْثيّ قال : شرب ابن هرمة عندنا يوما فسكر فنام ، فلما حضرت الصلاة تحـرّك أو حركـّــتُه فقال لي وهو يتوضأ : ما كان حديثكم اليوم ؟ قلت يزعمون أنّ الوليد قتل فرفع رأسه إليّ وقال :

وَكَانَت أُمُورُ الـنَّاسِ مُنْبَتَّةَ القَوى ... فَشَـدَّ الوَلـيدُ حـينَ قَـامَ نِظَامَـــهَا

---

1) ينسب هذا الشعر إلي عبيد الله بن قيس الرقيات ، انظر الديوان ص 271
2) العوذ : جمع عائذة ، وهي التي تلجأ إلى غيرها تعتصم به / الحدق : العيون (اللسان مادة حدق)
*) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم ويعاب عليه انهماكه في اللهو سماع الغناء ، وكان مشهوراً بالإلحاد متظاهراً بالعناد ، تولى الخلافة بعد عمه هشام (125هـ) وقتل سنة (126هـ) وحمل رأسه إلي دمشق ونصب في الجامع ، ولم يزل دمه على الجدران حتى أمر المأمون بحكه انظر " الأعلام"، ج8/ ص 123
3) تهذيب ابن عساكر 2/ ص 234

خَـلِيْفَةٌ حَــقٍّ لا َخَـلَيْفَـةُ بَاطِـــــلٍ   رَمَـى عَنْ قَـنَـاةِ الـدِّين حـتَّـى أقَامَـهَـا [1]

ثم قال إيّاك أن تذكر من هـذا شيئاً ؛ فإنّي لا أدري ما يكون [2] ، ولست أدري أمدح ابن هرمة الوليد بهذه الأبيات عفواً كما في رواية أبي الفرج أم أنشدها أمامه في دمشق؟ ، فأخباره المبثوثة في المؤلفات لم تذكر إنّ ابن هرمة قد سافر إلى دمشق لمدح الوليد ، ومهما كان الأمر فالأبيات فيها مناصرة جليـّة للوليد ، وتأيد لا يخلو من الإعجاب والحب 0

ومن الأمويين الكبار الذين مدحهم ابن هرمة عبد الواحد بن سليمان * ، وكان ابن هرمة يعجب به أيّما إعجاب فقد أورد صاحب الأغاني على لسان ابن هرمة ما نصه [3] : " أول من رفعني في الشعر عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فأخذ عليّ ألا أمدح أحداً غيره ، وكان والياً للمدينة وكان لا يدع بر وصلتي والقيام بمؤنتي ، فلم ينشب أن عُزل ووُلـِّي غيره مكانه وكان من بني الحارث بن كعب ، فدعتني نفسي إلى مدحه طمعاً أن يهب لـيٍّ كما كان عبد الواحد يهب لـيٍّ ، فمدحته فلم يصنع بي ما ظننت " وفيه يقـــول :

إذا قِيلَ مَن خَيْر مَن يُجْتَدىَ   لمعُترِ فِـهْـرٍ و محتَاجَـهَـا
ومَن يُعجل الخيلَ يومَ الوغَى   بإلجامها قَـبْلَ إسـرَاجهَـا
أشارت نساءُ بنِي غَالِـــبِ   إليك به قَــبْـلَ أزواجَــهـا

ومن أبدع مدائحه قصيدته الحائية التي وصفها الأصفهاني بأنّها من فاخر الشعر ونادر الكلام ، ومن جيد شعره خاصة [4] وهي قصيدة طويلة خلط فيها المدح بالاعتذار مطلعها مقدمة غزلية يقول فيها :

صَرَمْتَ حَبَائلاً من حُبِّ سَلْمى   لِهِـنْدٍ مَـا عَـمَدْت لِـمُسْتَرَاحِ

---

1) الديوان ص 212
2) الأغاني ج4 / ص 388
*) عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، أمير مرواني أموي تولي إمرة مكة والمدينة سنة (129هـ) لمروان بن محمد قتله صالح بن على العباسي انظر ترجمته في "الأعلام " ج4 ، ص 175
3) الأغاني ج6 ، ص 105
4) الأغاني 6/ 106

ويقول فيها :

أعَبْدَ الـوَاحِـدِ الـمَحْـمُـودَ إنـِّي — أغـَصُّ حذَارَ سُخْطِكَ بالقـَرَاحِ [1]

فَشُلـَّتْ راحَتَاي وَجَالَ مُهْـري — فَألـْقَاني بمُشْتَجـرِ الرِّمَــــاحِ [2]

ويقول فـيها :

هَشَـشْتَ لحاجَةٍ ووَعَدتَ أُخْرى — ولَمْ تَبْخَلْ بنَاجِـزَةِ السَّــرَاحِ

حَـمَيْتُ حمَاكَ في مَنَعَاتِ قَلْبي — فَلَيْسَ حِمَاكَ عِنْدِي بالمُبَــــاحِ

وَجَـدْنَا غَـالباً خُلِقَـتْ جَنـَاحاً — وَكَـانَ أبُـوكَ قَادِمَــةَ الـجَـنـَاحِ

وَأنْتَ مـن الغَـوائِلِ حيْنَ تُرمى — وَمِـن ذَمِّ الـرِّجَـالِ بمُـنْتَزَاحِ [3]

ويمدحه بقصيدة أخرى ، أطال فيها النسيب ، ولم يفرد للمدح إلا أبيات قليلات استهلها قائلا :

أجَارَتَنَـا بذِي نَفـَرٍ أقـِيْمِي — فـَمَا أبكي عـلى الـدَّهْرِ الـذَّميمِ [4]

وقال فيها :

لعَبدِ الواحدِ الفَـلَجِ المُعَلـَّى — عَـلا خُلقَ النَّفُورةِ وَالـخُـصُومِ [5]

دَعَــتْه المَكْرُمَـاتُ فَنَاوَلـَتْهُ — خِطَـامَ المَجْدِ في سِنِّ الفَطِيْــمِ [6]

مدح العباسين :

العباسيون هم أبناء العباس عمّ النبي- صلى الله عليه وسلم - آل إليهم أمر المسلمين بعد تاريخ طويل من الدعوة السرية وسط الموالي في بلاد ما وراء النهر و خراسان والكوفة قادها رجالٌ أشداء من أمثال أبو سلمة الخلال ، وأبو مسلم الخراساني وغيرهم ، واتصل ابن هرمة بـ(إبراهيم بن محمد بن علي

1) أغص : أشرق ، القراح : الماء الصافي (اللسان مادة غصَّ ، قرح)
2) مشتجر الرماح : ساحة المعركة السان (شجر)
3) بمنتزاح : ببعيد منه (الصحاح / نزح) ؛ انظر الديوان ص 87
4) ذي نـفر : موضع على ثلاثة أيام من السيالة (ياقوت)
5) الفلج : الظفر والغلبة / نفورة الرجل : أسرته وفصيلته التي تغضب لغضبه "اللسان مادة نفر"
6) الديوان ص 222

الإمام *) الذي كانت تؤخذ له البيعة سراً ، وكان معروفا بالتقوى والورع والجاه ، ومدحه بقصيدة طويلة نوه فيها بفضله ، وجوده ، وكرم أصله ، وغيرها من النعوت وفـيها يقـــول :

وَأَنْتَ امرؤٌ حُـلْوُ المـُؤاخَاةِ بَـاذِلُ ... إذَا مَا بَخِيلُ القَومِ لَـمْ يَصْطَنِعْ يـَـدَا
لَـكَ الفَضْلُ مِـن هَـنًّا وَهَنًّا وَراثــةً ... أباً عَن أبٍ لَمْ يختَلِسْ تِلْكَ فعْــدَدَا
بَنى لَـكَ (عَـبَّاسٌ) مَـن المَجْدِ غَايَـةً ... إلى عِزٍّ قُـدْمُوسٍ مِن المَجْدِ أصْيَـدَا
وَشَـيَّـدَ (عَبدُ اللهِ) إذْ كَانَ مِثلــهَا ... وَشَـدَّ بـإطْـنَابِ العُــلاَ فتَشَــيَّدَا
وَشَـدَّ (عَلـيٌّ) في يَدَيْـهِ بعُــروةٍ ... وَحَبْلَـين مِـن مَـجْدٍ أغَـرَّ فَأحْصَدَا
وَكَمْ مِن عَلاءٍ أو عُـلـًى قَدْ وَرِثْتَهَا ... بأحْسَنَ مِيراثٍ أَبَاكَ (مُحَـمَّـدَا) [1]

وهي لا تنهض دليلاً علي إنَّ ابن هرمة كان مطَّلعاً علي خفايا الأمور التي كان إبراهيم الإمام يحيكها مع دعاته ، ونلاحظ – كذلك - إن ابن هرمة لا يخشى بأس الأمويين حينما ذكر علي بن عبد الله بن العباس جد إبراهيم الإمام الذي سجنه هشام ابن الملك ومات في سجنه ، وحينما تمّ الأمر للعباسيين ، سارع ابن هرمة لتأييدهم ومدحهم ، وفي مدحه للعباسيين في هذه الحقبة نلاحظ أنه مديح سياسي حيث يهجو بني أمية ويشبههم بعاد ، ويثبت - كذلك – حق العباسيين في الخلافة ، وليس في أخبار ابن هرمة ما يوضح أنه اتصل بأبي العباس السفاح * وإن كان قد مدحه بقصيدة طويلة جمع فيها بين المدح ورثاء إبراهيم الإمام قائلاً :

وَأَوَصْىَ لِـعَبدِ اللهِ بالـعَهْـدِ بَـعْـدَهُ ... خِـلافَـة حَـقٍ لاَ أمَـانِيَّ ضَلَّـتِ

---

*) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها ، أوصى له أبوه بالإمامة ولد سنة (82هـ) كانت شيعتهم تختلف إليه ويكاتبونه في خراسان ، قبض عليه مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية وسجنه وقتل في سجنه سنة (131هـ) وكان راجح العقل ، فصيح اللسان يروى الحديث والأدب انظر ترجمته " الأعلام " ج1 ص 95

1) الديوان ص 92

*) السفاح : هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب أبو العباس ، أول خلفاء الدولة العباسية ، واحد الجبارين الدهاء ، وكان شديد العقوبة ، عظيم الانتقام ،تتبع الأمويين بالقتل والصلب والإحراق ، لقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دمائهم ، مات سنة (136هـ) انظر " الأعلام" 116/4

فَشَمَّرَ عَبدُ اللهِ لَمَّا تَجَرَّدتْ لَوَاقِحُ مِن حَربٍ وَحُوْلٌ فجَلَّتِ
فَقَادَ إلِيْهَا الحَالِبينَ فَأَنْهَلُوا ظِمَاءً إذَا صَارَتْ إلي الري عَلَّتِ
حِلاَباً نَحَلَّتْهَا الحُرُوبُ وَلَمْ تَكُنْ حَلابَ لِقَاحٍ حُلِبَتْ فَتَحَلَّتِ
فَقَامَ ابنُ عَبَّاسٍ مَقَامَ ابن حُرَّةٍ حِصانٌ إذَا البِيضُ الصَّوَارِمُ سُلَّتِ
أَتَتَهُ الضَوَاحِي مِن مَعَدٍ وَغَيرِهَا فَطَنَّبَ ظِلاً فَوْقَهَا فَاسْتَظَلَّتِ (1)

وقد مدحه في قصيدة أخرى يقول فيها :

أبلى الخَليفَةُ فيهَا وَهوَ مُحتَسِبٍ بَلاءَ مَنْ لَمْ يَردْ لِلّهِ إدْهَانَا
وَجَاءَ خَيْرُ بَني العَبَّاسَ كُلِّهُمُ فَنَالَ أعْلى أمُورِ النّاسِ سُلْطَانَا (2)

وقد اتصل ابن هرمة بالمنصور * الخليفة العباسي الثاني فقد جعل البغدادي لقاءه بالمنصور سنة (145هـ) في بغداد حيث وفد ابن هرمة مع وفد المدينة ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

إليكَ أميرَ المُؤْمنينَ تَجَاوَزَتْ بنَا بِيْدَ أجْوَازِ الفَلاةِ الرَوَاحِلُ
يَزُرْنَ امرأً لاَ يُصلحُ القومُ أمرَهُ لاَ يَنتَجي الأدنيينَ فيمَا يُحَاولُ (3)
إذَا مَا أبى شَيئاً مَضى كالَّذي أبى وَإنْ قَالَ إنِّي فاعِلٌ فهوَ فَاعِلُ
كَرِيْمٌ له وَجهَانِ وَجْهٌ لَدى الرضَا أسيْلٌ وَوَجْهٌ في الكَريهَةِ بَاسِلُ (4)

وقد مدحه بقصيدة أخرى بعد انتصاره على النفس الزكية ، ويبدو أن المنصور كان يتحين الفرص للانتقام من ابن هرمة ويتهمه بنصرة العلويين ؛ فأنكر ابن هرمة ذلك ومدحه قائلاً:

غَلَبْتَ عَلى الخَلافَةِ مَنْ تَمَنّى وَمَنَّاهُ المُضِلُّ بهَا الضَلُولُ

---

1) الديوان ص 72
2) الديوان ص 228
*) المنصور : هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس ، أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس، تولى الخلافة بعد وفاة السفاح ، وبنى مدينة بغداد سنة (145هـ) ، وكان عارفاً بالفقه والأدب 0 توفى سنة (158هـ) "الأعلام "119/4
3) ينتجي أنتجاه ، إذا أفضى إليه سره وخصه به
4) الديوان ص 167

فَـأَهْـلَـكَ نَـفْـسَـهُ سَفَـهَاً وَجُـبْـنـاً   وَلَـمْ يـقْـسَـمَ لَـهُ مِـنْـهَـا فَـتَـيـْلُ

ويقول فيها :

وَمَا الـنَّـاسُ احْـتَـبَوْكَ بِهَا وَلَكِـنْ   حَـبَاكَ بِـذَلِـكَ المَـلِـكُ الجَلِـيـلُ

تُرَاثُ مُـحَـمّـدٍ لَـكُـمُ وَكُـنْـتُـمْ   أُصُولَ الحَـقِّ إِذْ نُفِي الأُصُولُ [1]

فهو هنا يشيد بالأسرة العباسية ويؤكد حقهم في الخلافة فهم أبناء عمّ الرسول وهم أولى بإمامة المسلمين 0

ومـن العباسين الذين مـدحـهـم داود بن علـي * فقد توجه داود إلي المـدينة سنة (132هـ) فاجتمع عنده كثير من الشعراء من ضمنهم ابن هرمة وقد مدحه بقصيدة وصفه فيها ببعض الفضائل قائلاً :

وَقُـلْ لـداود منك مـمـدحـة   لـهـا زهـا مـنْ خـلـفـها نـغـلُ

أروع لا يخلف العـدات ولا   تـمـنع مـن سـؤاله العـلـلُ

لـكـنه سـابغ عـطـيتـه   يـدرك منه السؤال ما سألوا

لا عـاجزٌ عـازبٌ مـروءته   ولا ضعـيـفٌ في رأيـه زلـلُ [2]

وله في مدحه قصيدة أخرى فيها يقول :

فقد فتحـتُ لـك الأبـوابَ مغلـقـة   فادخلْ على كلِّ ذي تاجينِ مفضالِ

دار الملوك تعشْ في غمرِ مجدِهم   وارفـع رجاءك عـن عـمٍّ وعـن خالِ

داود داود لا تـفـلـت حبائلـه   واشـدد يديك بباقي الـودّ وصّالِ [3]

مدح العلويين :

يطلق اسم العلويين علي أبناء الإمام علي - كرم الله وجهه - من السيدة فاطمة بنت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبنائهم وأحفادهم وقد كان ابن هرمة

1) الديوان ص 173

*) داود بن علي : هو بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو سليمان أمير من بني هاشم ، وهو عم السفاح والمنصور ، ولاه السفاح إمارة الكوفة ثم إمارة المدينة ومكة واليمن والطائف ، وهو أول من أقام الحج للناس في ولاية العباسيين توفي سنة (133هـ) انظر "الأعلام" ج2/ ص 333

2) الديوان ص 171

3) الديوان ص 178

متشيعاً لهم يملأ حبهم واحترامهم قلبه ، وقد خصّهم بقصائد عديدة في العصرين الأمويّ والعباسيّ ، أما هجاؤه لهم ؛ فلعلّه من باب التقيّة فقد كان المنصور متربصاً به توّاقاً لسفك دمه فقد أورد البغدادي [1] خبراً يمثل خوف ابن هرمة من فتك المنصور قائلاً: " إن ابن هرمة رجع من المدينة بعد مدحه المنصور وتوعّده له بالقتل إذا بلغه عنه أمر يكرهه ، قال ابن هرمة : فأتيت المدينة فأتاني رجل من الطالبين فسلّم عليَّ ، فقلت : تنح عنيّ لا تشيط بدمي " ، ومن الطالبين الذين مدحهم إبّان العهد الأموي عبد الله بن معاوية بن جعفر * فقد مدحه بقصيدة بدأها بمقدمة غزلية ، ووصفه فيها بالكرم ورجاحة العقل وتغنى بكرم أصله قائلاً:

شَدِيدُ التَّأنّي في الأمُورِ مُجَرِّبٌ   مَتى يَعرُ أمرُ القَوْمِ يَفْرِ وَيَخلُقُ[2]
كَرَيمٌ إذَا مَا شَاءَ عَدَّ لَهُ أبـاً   لَهُ نَسَبٌ فَوْقَ السِّمَاكِ المُحَلِّقِ
وَأمّاً لـهَا فَضْلٌ عَلي كُلَّ حُرَّةٍ   مَتى مَا تُسَابِقْ بابنِهَا القَوْمَ تَسبِقِ
حَلَلْتَ مَحَلَّ القَلْبِ مِن آلِ هَاشِمٍ   فَعُشَّكَ مَأوى بيضِهَا المُتَفَلِّقِ
فَمَنْ مثلُ عَبدِ اللهِ أوْ مَثلَ جَعفَرٍ   وَمثلُ أبيْكَ الأريَحيَّ المُرَهَّقِ[3]

وله قصيدة أخرى في مدحه استهلها قائلا:

عَاتِبِ النَّفسَ وَالفُؤادَ الغَويَّا   في طِلابِ الصّبَا فَلَسْتَ صبَيَّا
أحْبُ مَدْحاً أبَا مُعَاويةَ المَا   جِدَ لاَ تلقَهُ حَصُوراً عَيِيَّا[4]
بَلْ كَرِيْماً يَرتَاحُ للمَجْدِ بَسَّا   ماً إذا هَزَّهُ السُؤَالُ حَيِيَّا [5]

---

1) تاريخ بغداد 129/6-130 ؛ وأنظر كذلك طبقات ابن المعتز ص20
*) هو : عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من شجعان الطالبين وأجودهم وشعرائهم ، يتهم بالزندقة 0وكان فتاكا سيء الحاشية ، طلب الخلافة في أواخر بني أمية سنة (127هـ) بالكوفة وبايع له أهلها ، وخلعوا طاعة بني مروان وقصده بنو هاشم كلهم حتى المنصور ، واستفحل أمره وجبي له خراج فارس وقتل سنة (131هـ) بأمر أبي مسلم الخراساني " الأعلام " ج4 ص139
2) يفري : يشق ويقطع "اللسان مادة فرا"
3) المرهق : الجواد الكريم الذي يغشاه الناس / الديوان ص 160
4) الحصور : الممسك البخيل ، والضيق الصدر "اللسان مادة حصر"
5) الديوان ص244

فيها نلاحظ إن ابن هرمة يسوغ لحبّه واتصاله بممدوحه الذي جمع خصال الخير ونعوت الجلال 0

وقد أوضحت أخباره أنه كان علي صلة طيبة بأبناء الحسن بن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وهم عبد الله ، وحسن ، وإبراهيم ، وعباس ، كما اتصل بالحسن بن زيد ، وقد حاول العباسيون في بادي الأمر استرضاء أبناء علي ؛ ليصرفوهم عن الحكم ، فاقتطعوا لهم الإمارات وأغدقوا عليهم الأموال ورأى ابن هرمة ألا يكون بمنأى عن هذا الخير العظيم ، وأنه لم يستطع أن يتصل بالعباسين لعلاقته بالأمويين ، اكتفي بأن يتصل بأبناء الحسن فقال : يمدح العباس ابن الحسن *

لَمَّا تَعرَّضْتُ للحَاجَاتِ وَاعتَلَجَتَ   عِنْدي وَعَادَ ضَمِيرُ القَلْبِ وَسْوَاسَا
سَعَيْتُ أبغي لحَاجَاتٍ وَمَصْدَرهَا   بَرّاً كَريماً لِثَوْبِ المَجْدِ لَبَّاسَا
هَدَانيَ اللهُ للحُسْنى وَوَفَّقني   فَاعتَمَتُ خيرَ شَبَابِ النَّاسِ عبَّاسَا [1]
قِدْحُ النَّبيِّ وَقِدْحٌ من أبي حَسَنٍ   وَمن حُسَيْنٍ جَرَى لَمْ يَحر حَتَّاسَا [2]

وقال مخاطباً محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية * :

أتَتْكَ الرَّواحِلُ المُلجَمَاتُ   بعيسَي بن مُوسي فَلا تَعْجَلِ
وَقَالَ ليَّ النَّاسُ إنَّ الحَيَاءَ   أتَاكَ مَعَ المَلكِ المُقْبِلِ
فَدُونكَهَا يَا ابنَ سَاقي الحَجيجِ   فَإنِّي بهَا عنكَ لَمْ أبخَلِ
لقَولِ الوَصِيِّ وَأنتَ ابنُهُ   وَصيِّ نَبيِّ الهُدى المرسَلِ [3]

---

1) اعتمت : قصدت
*) هو العباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، احد فتيان بني هاشم ، قبض عليه العباسيون فسجنوه ، وقتل في سجنه بأمر المنصور سنة (145هـ) نقلاً عن الديوان
2) القدح : السهم / الحنس : الورع والتقى / الديوان ص 133
*) النفس الزكية : هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو عبد الله الملقب بالنفس الزكية احد الأمراء الإشراف من الطالبين ، بايعه رجال من بني هاشم ، وكان السفاح والمنصور من دعاته ، تخلف هو وأخوه عن بيعة المنصور فقتله موس بن عيسي سنة (145هـ) "الأعلام "ج6/ص 220
3) الديوان ص 186

كان عبد الله بن الحسن يُجْري علي ابن هرمة رزقاً فقطعه عنه وغضب عليه عندما تعرض لهم عند مدحه للحسن بن زيد فأتاه معتذرا و أنكر أنه تعرض لهم وإنما أراد فرعون وهامان وقارون [1] ، وقال هذه الأبيات يخاطب بها محمد بن عبد الله :

بابن الفواطمِ خيرِ الناس كلهم بيتاً وأولاهمُ بالفوزِ لا الـغَبـنِ
إنْ كنت نحوي فان الله َجـابرُنا ولا اجتبارَ لنا إن أنت لـم تكـنِ
وَأنت مـن هاشمٍ في سرِّ نبعتها وطينةٌ لم تفارقْ هُـجنة الـطِّـيَنِ
لو راهنت هاشمٌ عن خيرها رجلا كان أبوك الذي يُخْـتَـصُّ بالرهنِ
وَالله لولا أبوك الخيرُ قـد نزلـت مني قَـوافٍ بأهلَ اللؤم والوهـــنِ [2]

كما مدح الحسن بن زيد * بقصيدة طويلة تغنى فيها بكرمه وشرف نسبه ، وعرَّض فيها بعبد الله بن الحسن وبابنيه محمد وإبراهيم ، وفيها يقول :

أوصاف زيدٍ بأعلى الأمــر منـزلةٍ فـما أخـذتَ قـبيحَ الأمر ِبالحسنِ
خلاّتُ صدقٍ وأخـلاقٌ خُصصتَ بـها فـلم يضعـْـنَ ولم يُخـلطـْنَ بالـدَرَنِ
تـلـقـى الأيامــنَ مـن لاقـاك سانحـــة وجـهٌ طليقٌ وعـودٌ غـيـر ذي أبَنِ [3]
وَأنتَ مِن هـاشـم ٍحـقـاً إذا انـتـســبـوا في المنكب اللين ِلا في الـمنكب الخـشنِ
بنوكَ خـيرُ بنـيـهــم إن حـلـفـتَ لــهـم وأنـت خيرهـمُ في اليـسر والـلــزنِ [4]
والله آتاكَ فـضلاً مـــن عـطـيـتـهِ عـلـي هنٍ وهنٍ فيما مضى وهنِ [5]

مدح أولي الفضل واليسار :

اتصل ابن هرمة ببعض فضلاء العصرين الأموي والعباسـيّ ممن كانت لهم المكانة المرموقة عند الناس ، فقد مدح أبناء مطيع إبراهيم وعمران ، والسَّري

1) الأغاني ج4/ ص370- 371
2) الديوان ص 236
*) هو الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد أمير المدينة ووالد السيدة نفيسة ، كان من الأشراف التابعين ، شيخ بني هاشم في زمانه استعمله المنصور على المدينة ثم عزله وخافه وحبسه في بغداد 0توفى سنة 168ه بالحجاز " الأعلام " ج2/ص191
3) الأيامن : اليمين / الأبن : العيب "اللسان مادة "أبن"
4) اللزن : الضيق "اللسان مادة لزن"
5) هن : كلمة يكنى بها عن اسم إنسان / انظر الديوان ص 232

ابن عبد الله ومحمد بن عمران والمطلب وابنه الحكم بن عبد المطّلب المخزومـي ، ومحمد بن عبد العزيز الزهري وسنتناول ذلك بشيء من التفصيل 0

ومن ممد وحيه في العصر الأموي إبراهيم بن عبد الله بن مطيع وأخوه عمران اللذان أسبغا عليه برهـما وأفاضـا علـيــه من نـوا لهـما الكثير، وقد أورد صـاحب الأغاني قصة على لسان ابن هرمة في مدحه لإبراهيم بن عبد الله بن مطيع * قائلاً: قال ابن هرمة : " ما رأيت أحدا قط أسخى ولا أكرم من رجلين إبراهيم بن عبد الله بن مطيع ، وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن معمر 000 فأما إبراهيم بن عبد الله فأتيته فـي منزلـه بمشاش [1] علـى بئـر ابـن الوليد بـن عثمـان بـن عفـان ، فدخل إلى منزله ثم خرج إليّ برزمة من ثياب وصُرَّةٍ من دراهم وحُليّ ، ثمّ قال : لا والله ما بقّـينا في منزلنا ثوباً إلا ثوباً نـُـواري بـه امرأةً ، ولا حـَلـْـياً ولا دينـاراً ولا درهـماً " [2] وقال يمـدحه :

أرَّقـتـنِي تـَلـُومُني أمُّ بــكْـــرٍ   بَعدَ هَدءٍ و اللـَّومُ قـَد يُـؤذِيـنـي
حَـذَّرَتْني الـزَّمَانَ ثـُمَّـتَ قـَالـَتْ   لَـيسَ هَـذَا الـزَّمَــانُ بالـمَأمـُونِ
قـُلتُ لمَّا هَـبَّت تـُحَـذِّرُني الدَّهْــ   ـرَ دَعـي اللَّـومَ عَـنكِ وَاسـتـَبـقِيني
إنَّ ذَا الجـُودِ وَالمَكَـارِمِ إبــرَا   هيمَ يـَعنـيـهِ كـُلَّ مَا يَـعـنِـيني [3]
قـَدْ خـَبَـرْنـَاهُ في القـَـدِيْمِ فألفيـْ   نا مَواعِـيـدَهُ كـَعَيـْنِ الـيَـقِــيْنِ [4]

والآبيـات بينـة الاسـتجداء ؛ حيـث يجهـر ابـن هرمـة بالسؤال ويلـح فيـه حـين جعـل الممدوح هو الكرم ، والجود ، وحينما جعله براً حفياً صادق الوقت 0

---

*) هو: إبراهيم بن عبد الله بن مطيع بن الأسود ، من بني عـدي بن كعب لا يذكر عنه سوى إن أباه قتل مـع ابـن الزبير وان أولاده خرجوا مع النفس الزكية " جمهرة ابن حزم "

1) المشاش : موضع بين ديار بني سليم وبين مكـة : يتصل بجبـال عرفات جبـال الطـائف وفيها ميـاه كثيـرة ، ومنها المشاش وهو الذي يجري بعرفات ويتصل إلى مكة " ياقوت ج5/ ص131"

2) الأغاني ج4/ص 374

3) ذا الجود : صاحب الجود

4) الديوان ص 238

وفي قصيدة ثانية يمدح بها عمران بن عبد الله * ويعتمد فيها الشاعر على إظهار كرم الممدوح ، ويتبع فيها الطريقة نفسها التي اتبعها مع أخوه إبراهيم ، واستهلها قـــائـلاً:

سَتَكْفِيكَ الحَوائِجُ إنْ ألَمَّتْ عَلَيْكَ بصَرْفِ متَلافٍ مُفيْدِ
فَتًي يَتَحَمَّلُ الأثقَالَ مَاضٍ مُطِيْعٌ جَدَّهُ آلُ الأسِيْدِ[1]
حَلَفْتُ لأمْدَحَنَّكَ في مَعَدٍ وَذِي يَمَنٍ عَلَى رَغْمَ الحَسُودِ
بِقَوْلٍ لاَ يَزَالُ [و] فيهِ حُسْنٌ بأفْوَاهِ الرُّوَاةِ عَلَى النَشِيْدِ
لأرْجَعَ رَاضياً وَأقُوْلَ حقَاً وَيَغْبرُ بَاقِيَ الأبَدَ الابيْدِ[2]

ومن أشهر ممدو حيه في العصر العباسي السَّريّ بن عبد الله *، فقد كانت بينه وبين ابن هرمة صلة طيبة ، وجمعت بينهما مودة صادقة ، حتى إن السري كان يتشوق إلي ابن هرمة ويحب أن يفد عليه ، ولما تولي اليمامة كره ابن هرمة الوفود إليه إلا بكتاب منه ، ثم شخص إليه 000فسرّ ذلك وجلس للناس مجلسا عاما ، ثم إذن لابن هرمة فدخل عليه ومعه راويته ابن ربيح فجلسوا وأنشد ابن ربيح قصيدته التي أولها : [3]

عَوْجَا عَلَى رَبْعِ لَيْلي أمِّ مَحْمُودِ كَيْمَا نُسَائِلَه مِن دُوْنِ عَبُّودِ

وفيها يمتدحه قائلا :

ذَاكَ السَّريُّ الذي لَوْلاَ تَدَفُّقُهُ بالعُرْفِ مَات حَلِيف المَجْدِ و الجُودِ
مَنْ يَعْتَمِدْكَ ابنَ عَبدِ اللهِ مُجْتَدِيَاً لِسَيْبِ عَرْفِكَ يَعْمَدْ خَيْرَ مَعْمُودِ[4]
يَابنَ الأسَاةِ الشُّفَاةِ المُسْتَغَاثِ بهِمْ وَالمُطْعِمْينَ ذُرَى الكُوْمِ المَقَاحِيدِ[1]

---

*) عمران : هو عمران بن عبد الله بن مطيع بن الأسود اخو إبراهيم السابق ذكره
1) الأسيد : هو الأسيد بن العاص بن أمية بن شمس الجاهلي سيد قومه ، كثير المال الديوان ص 100
3) الديوان ص 100
*) السّري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب ، كان خليفة للمهدي في خراسان ، ثم صار واليا لمكة سنة 143هـ ، وعزل عنها سنة 146هـ ، وعين واليا على اليمامة
3) الأغاني ص 376
4) مجتديا : سائلا ، السيب : العطاء، يعمد : يقصد ، يعمد خير معمود : يقصد خير مقصود

وَالسَابِقِيْنَ إلىَ الخَيْرَاتِ قَوْمَهُمُ   سَبْقَ الجِيَادِ إلىَ غَايَاتِهَا القُوْدِ [2]

وقد خصّ ابن هرمة السَّري بقصائد عديدة طرب لها السَّري فأنشده قصيدته البائيّة التي يقول فيها :

دَعْ عَنْكَ سَلْمَى وَقُلْ مُحَبَّرَةً   لِمَاجِدِ الجَدِّ طَيِّبِ النَّسَبِ [3]

مَحْضٍ مُصَفَّى العُرُوق يَحْمَدُهُ   في العُسْرِ وَاليُسْرِ كَلُّ مُرْتَغِبِ

الوَاهِبِ الخَيْلِ في أعَنَّتِهَا   وَالوَصفَاءِ الحِسَانِ كَالذَّهِبِ

مَجْداً وَحَمْداً يُفِيْدَهُ كَرَماً   وَالحَمْدُ في النّاس خَيْرُ مكتَسَبِ [4]

ولما فرغ ابن ربيح من الإنشاد رحّب السّريَّ بابن هرمة ، وسأله حاجته فيقول ابن هرمة : "جئتك عبداً مملوكاً " قال السّريَّ : بل " حراً كريماً وابن عمّ "، فما ذاك ؟ وأجابه ابن هرمة : ما تركت لي مالاً إلاّ رهنته ولا صديقاً إلاّ كلّفته ، وسأله السّريَّ عن دينه فقال : سبعمائة دينار ، فقال : قضاها الله عز وجلّ عنك [5] وأقام ابن هرمة عند السّريَّ أيّاماً وعندما أراد الرحيل قال شعراً تشوق فيه إلى أهله وأحبابه استهله قائلاً :

أألحمَامَةُ في نَخَلِ ابنَ هَدَّ اجِ   هَاجَتْ صَبَابَةُ عَاني القَلْبِ مُهْتَاجِ

أمْ المُخَبِّرُ إنْ الغَيْثَ قَدْ وَضَعتْ   مِنْهُ العِشَارُ تَمَاماً غَيرِ إخِدَاجِ [6]

وفيها يمتدحه بقوله :

أمَّا السَّريُّ فَإنِّي سَوْفَ أمَدَحُهُ   وَمَا المَادِحُ الذَّاكِرُ الإحْسَانَ كَالهَاجي

ذَاكَ الَّذِي هُو بَعدَ اللهِ أنقَذَني   فَلَسْتُ أنْسَاهُ إنْقَاذِي وَإخْرَاجي

لَيْثٌ بَحجْر إذَا مَا هَاجَهُ فَزَعٌ   هَاجَ إلَيْه بِإلْجَامٍ وَإسْرَاجِ

---

1) الذرى : جمع ذروة وهي أعلى السنام ، الكوم : العظيم في كل شيء ، وغلب على السنام ، المقاحيد : الناقة العظيمة السنام

2) القود : من الخيل الطويلة العنق العظيمة اللسان مادة قود، الديوان ص 102 القطعة رقم 65

3) المحبرة من القصائد : الجيدة الحسنة "اللسان مادة حبرة"

4) الديوان ص 68

5) الأغاني ج4/ ص379

6) العشار : جمع عشراء وهي الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر ، خدجت : ألقت ولدها قبل تمام أيامه

لأحْـبُـوَنـَّـك َمِـمَـا أصْطَـفِـي مِـدَحـاً   مُـصَـاحِــبَـاتـ ِ لِـعُـمَّــار ٍ وَحُـــجَّـــاج ِ

أسْدى الصَّـنـيعَة مِن بـِرٍّ وَمِن لَـطَـف ٍ   إلىَ قَــرُوع ٍ لِـبَـاب ِ الـمُـلـْـك ِ وَلاّج ِ

كَمْ يَـدٍ لـَك َ في الأقْـوام ِقـَدْ سَلَـفَـتَ   عِـنـْدَ امْرئ ٍ ذِي ِغـنـيً أوْ عِـنْدَ مُحْتَـاج ِ [1]

فأمر له السّريَّ بسبعمائة دينار لقضاء دينه ، و مائة دينار يتجهز بها ، ومائة دينار يعرض بها أهله ، ومائة إذا قدم على أهله [2]، والملاحظ أن مدحه بعيدا كل البعد عن الناحية الحزبية ولعلّ ابن هرمة انصرف عن السياسة حتى تكون أسباب معيشته موصولة 0

وممن اتصل بهم ابن هرمة محمد بن عمران * وقال فيه مادحاً :

الَمْ تـَرْ إنَّ القَـوَلَ يَخْـلـصُ صِدِفـُــهُ   وَتـَأبى فَمَا تَـزْكُـو لبَاغ ٍ بَـواطِـلـُهْ

ذَمَمْتُ امرَأ ًلَـم يَطْبْـع ِالـدَّمُّ عـَرضـَهُ   قـَلـيلاً لَـدى تـَحصيلِهِ مَنْ يَشَاكـلـُــهْ [3]

فـَمَـا بـالـحِـجَـاز ِمِـن فَتَـىً ذي إمَــارَة ٍ   وَلاَ شَـرَف ٍ إلاَّ ابنُ عمرانَ فَـاضلـُـهْ

فَتىً لاَ يَـطـُـورُ الـذمُّ سَاحَـة َبَـيْـتِـــه ِ   وَتـَـشْـقى به لـَيْـلَ الـتَّــمَام ِعـوَاذِلـُــهْ [4]

ومدح كذلك في هذا العصر المطلب بن عبد الله المخزومي *

لـَمَّا رَأيْـتُ الـحَادِثـَات ِكـَنـَفـْـنـَنِـي   وَأوْرَثـْـنـَنِـي بـُـؤْسَي ذَكـَرْتُ أبَا الحَكَمْ

سَلِيْلَ مَلـُوكٍ سَبْعَـةٍ قـَدْ تـَتـَابَعـُوا   هُـم المُـصْطَـفَـوْنَ وَالمُصَفـَّـونَ بالكـَرَمْ [5]

فلامه قوم وقالوا : أتمدح غلاماً حديث السن بمثل هذا! قال نعم ! وكانت له ابنة يلقبها (عيينة) [6] وقـــــال :

كَـانـَتْ (عُـيَيْـنـَةٌ) فـَينـَا وَهـيَ عَاطِـلـَة ٌ   بَـيْنَ الـجَـوَاري فـَحَلاهَـا أبُو الحَـكـَم

---

1) الديوان ص 78

2) الأغاني ج4/ص 380

*) هو محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن عبيد الله ، ويكنى أبا سليمان ، مات سنة (154هـ)

3) لم يطع الذم عرضه : أي لم يوصف بالعيب أو الشيّن ، يشاكله : يشبهه

4) لا يطور : لا يقرب ، ليل التمام : ليل الشتاء الطويل الممل / الديوان ص 176

*) المطلب : هو المطلب بن عبد الله بن الطلب المخزومي ، من كبار التابعين ومن رواة الحديث "جمهرة انساب العرب " ص142

5) الديوان ص 200

1) الأغاني ج4/ ص 386

فَمَنْ لَـحَانَـا عـَلى حُسْنِ المَقَـالِ لَـهُ   كَـانَ الـمَلَـيمَ وَكَنَّـا نَحْـنُ لَـمْ نُلِـمِ (1)
فـأثنى علـى أيـادي أبـا الحكم عليـه ، وعاتـب الـذين يلمونـه علـى مـدح هـذا الكـريم العطوف 0

واتصل ابن هرمة كذلك بابنه الحكم * من سادات قريش وعليتها ومدحه قائلاً:

فـانْ مَـعشرٌ بخـلـوا والتــووا   عَـلي ذِي قـرابـتـهـم لَـمْ يـَصِبْ
فـانِّ الإلـــهَ كَـفــانـي الــتـي   بــهـم و بـسيـبِ بـني الـمطَّـلبْ
وَكَـنـت إذا جـئـتُـهم راغــبـاً   مـجيءَ المـصابِ إلي المحتسبْ
أقـرّوا بـلا خـلـفٍ حَـاجــتي   ألا مـثـلُ سائـلـهـم لَـمْ يَخِـبْ (2)

ومدح الحكم بقصيدة أخرى قـــــائلا :

تَـصبّحَ أقـوامٌ عَنْ الـمَجدِ وَالـعُـلاء   فـأضحَـوا نـيـامـأ وهــوَ لـم يَـتـصبّحِ
إذَا كـدَحتْ أعـراضُ قَـومٍ بلؤْمِـهـم   نـَجَـا سالــمـاً مـن لـؤمِـهـمْ لـم يُكــدَّحِ
لـديـنكَ إنَّ الـمـجـدَ أطـلـقَ رحـلَـه   لـديكَ علـى خصبٍ خصيبٍ وَمَسْـرحِ (3)

كمـا مدح ابن هرمـة محمد بـن عمران الطلحـي وبعث إليـه بالمدح مع راويتـه ، ومدح- كذلك - محمد بن عبد العزيز * شاكياً إليه سوء حاله فقـــــــال :

ِإنِّى دَعَــوْتَــكَ إذْ جُـفـيْتُ وَ شَــفَني   مرَضٌ تَـضَاعَفني شَـديدُ المُشْتَكَى(4)
وَحُبِسْتُ عَـنْ طَـلَب المَعِيشَـةِ وَارْتَـقَـتْ   دُوني الحَـوائِجُ في وُعـُورِ الـمُـرْتَـقَـي
فَأجِبْ أخَـاكَ فَـقَـدْ أنَـافَ بِصَوْتِـهِ   يَـا ذَا الإخَـاءِ وَيَا كَرِيْمَ المُــرْتَجَى
وَلَـقَـدْ حُفِيْتَ صَبَيْبَ عَكَة بَيْـتِنَـا   ذَوْبـاً وَمِزْتُ بصَفْوةِ عـَنْكَ القَـذَى (5)
فَخُـذِ الـغَنَـيْمَـةَ وَ اغـْتَنِمْنِي إنَّـنِي   غُـنْـمٌ لِـمِـثْـلِكَ وَالمُـكَارِمُ تُشْـتَرَى

---

2) لحانا : لامنا وعذلنا ، لم نلم : لم ناتِ ما نلام عليه / الديوان ص 217
*) هو الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب المخزومي ، من سادات قريش ، والممدوحين فيها
3) الديوان ص 55
*) هو : محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، قاضي المدينة للمنصور
4) الديوان ص 84
5) تضاعف : صار ضعف ما كان عليه أي إن المرض تضاعف واشتد "اللسان مادة ضعف"
1) حفيت : أعطيت / العكة : زق صغير من السمن والعسل 0/ الذوب العسل (انظر لسان العرب)

لاَ تَرْمِيَنَّ بِحَاجَتِي وَ قَضَائِهَا   ضَرْحَ الحِجَابِ كَمَا رَمَى بِيْ مَنْ رَمَى[1]

وفد ظل ابن هرمة يتكسب بالشعر حتى أقعده المرض عن طلب الرزق إلى أن توفي ، ولم يقف شعره عند المدح بل له قصائد و أبيات رائعة في فنون الشعر الأخرى ، سنذكرها بشيء من التفصيل0

الـهـجـــــاء :

الهجاء أدب غنائي يصوّر عاطفة الغضب سواء أكان موضوع هذه العاطفة الفرد أو الجماعة ، أو الأخلاق أو المذاهب ، ويرى ابن رشيق : " التعريض أهجى من التصريح وذلك لأتساع الظن في التعريض ، وشدة تعلق النفس به ، والبحث عن معرفته " [2]0

ويقول القاضي الجرجاني[3] في هذا الخصوص : " فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى التهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه وسهل حفظه وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس ، فأما القذف والإفحاش فسباب محض وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم " 0

وقد حاول إيليا حاوي [4] تعريف الهجاء فقال : " الهجاء نقيض الفخر أو بالاحرى وجه سلبي له ؛ فالشاعر قد يفتخر بنفسه بتعداد مآثرها ولكنه أيضا يفتخر بإظهار نقمتها 000من الرذائل والبشاعة ، أكانت في الفرد أو المجموع "

ولما جاء الإسلام نبذه وحرَّم علي المسلم الخوض فيه وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم : " من قال في الإسلام شعراً مقذعاً فلسانه هَدَر" [1] ويروى عن

---

2) الضرح : أن يؤخذ شيء ويرمى في ناحية / انظر الديوان ص 54
1) العمدة ج 2/ص 172
2) عبد العزيز الجرجاني "الوساطة بين المتني وخصومه "، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ، ط3، دون تاريخ ، ص 24
3) إيليا حاوي "فن الهجاء وتطوره عند العرب" دار الثقافة بيروت ، دون ط، ت ص7

سيدنا عمر بن الخطاب إنه حبس الحطيئة عندما هجاء الزبرقان بن بدر ، ولما أطلق سراحه قال له : " إياك والهجاء المقذع قال وما المقذع يا أمير المؤمنين قال أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف وتبني شعراً على مدح قوم وذم من تعاديهم"[2] ، أما الهجاء في العصر الأموي أشهر ما فيه النقائض التي دارت بين جرير والفرزدق والأخطل - بغض النظر عن قيمتها اللغويّة والتأريخيّة - كانت مليئة بالألفاظ النابئة ، والمعاني الفاحشة ، وإذا حاولنا أن نوازن بين الهجاء الجاهلي والهجاء الأموي لعددنا الأول مجرد عتاب رقيق [3] ، وقد أخذت هذه النقائض في الاضمحلال في العصر العباسي وكادت أن تختفي إلا من بقايا دارت بين الحكم الخضري وابن ميادة من هجاء [4] ثم أخذ الهجاء وجهات نظر جديدة سببها التحضر الذي بلغه المجتمع ، إذ تطوَّر الهجاء في معانيه وأسلوبه وألفاظه ، وقد كثر في هذا العصر الاتهام بالفسوق، والزندقة ، والشذوذ، والفجور ، وكان الخلفاء يعاقبون من تثبت عليه الزندقة بالقتل ، ربما كان السبب في انتشار هذا النوع من الهجاء كثرة المنحرفين دينياً وخلقياً في المجتمع آنذاك [5] وقد اتجه شعر الهجاء - أيضا - إلى السخرية بالأدعياء الذين ينتسبون إلى أصل عربي وهم ليسوا بعرب ، ويبدو أن ابن هرمة لم يتجه إلى هذه الناحية من الهجاء ؛ لأنه من الأدعياء الذين انتسبوا إلى قبيلةكبيره ليرفعوا من قدرهم.

الهجاء عند ابن هرمة :

أما الهجاء عند ابن هرمة فله وجهان **الأول :** يرد في ثنايا قصائد المدح أو الرثاء ، **والثاني :** أفرد له قصائد كاملة ، فأما الذين هجاهم فقد تباينت مذاهبهم

---

4) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي "شعب الإيمان " دار الكتب العلمية ط1 ، 1410هـ ج4 ،ص 276، حديث رقم (5088)
5) العمدة ج 2 /ص 170
1) انظر هدارة " اتجاهات الشعر العربي "ص 418 وما بعدها
2) الأغاني ج2/ ص 298 وما بعدها
3) اتجاهات الشعر العربي ص 426
*) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن آخر خلفاء بني أمية ، بموته انتهى حكم بني أمية

وأقدارهم وعصورهم ، فقد هجا بني أمية ، و مروان بن محمد ، وهجا النفس الزكيَّة حينما مدح المنصور ، وقد اختلفت دوافع الهجاء عنده فتارة يهجو عندما يمنع العطاء ، وتارة يهجو بدافع الرهبة والخوف كهجائه للنفس الزكيَّة ، ويمكن تفصيلها كالأتي :

هجاء لأسباب سياسية :

أتخذ ابن هرمة السياسة ، ونظم قصائد عديدة تقرّب بها إلى الخلفاء العباسيين ، فقد هجا مروان بن محمد * قائلا :

فَلا عَفَا اللهُ عَنْ مَرْوَانَ مَظْلَمَةً   لَكِنْ عَفَا اللهُ عَمنْ قَالَ آمِيْنَ [1]

وقوله :

فَاسْتَدْرَجَ اللهُ مَرْوَاناً بقُوَّتِهِ   فَسبْحَانَ مُسْتَدرجِ الجَعْديُ سُبْحَانَا[2]

ويتعدى غضبه على مروان إلى جميع بني أمية ، ويصفهم بالظلم والجبروت ، و إن الله أهلكهم كما أهلك قوم عاد جزاءً لهم ، ويؤكد ذلك إن بني هاشم توافقه على ذلك فيقول :

فَلا عَفَا اللهُ عَنْ مَرْوَانَ مَظْلَمَةً   وَلا أُميَّةَ بئسَ المَجلِس النَّادي

كَانُوا كَعَادٍ فَأَمْسَى اللهُ أهلَكَهُمْ   بِمِثْلِ مَا اهْلَكَ الغَاوينَ مِن عَادِ [3]

فَلَن يَكّذِبُني مِن هَاشِمٍ أحَدٌ   فِيمَا أقولُ ولَوْ أكْثَرتُ تَعدّادي [4]

كما هجا النفس الزكيّة في قصيدة مدح بها المنصور :

غلَبْتَ عَلى الخَلافَةِ مَنْ تَمَنَى   وَمَنَّاهُ المُضِلَ بِهَا الضَلُولُ

فَأهْلَكَ نَفسَهُ سَفَهاً وَجُبْناً   ولَمْ يَقْسَم لَهُ مِنهَا قَتِيل

وَوَازَرَهُ ذَوُو طَمَعٍ فَكَانُوا   غُثَاءَ السَّيْل يَجمَعُهُ السّيُولُ

دَعَوْا إبليْسَ إذ كذبُوا وَجَارُوا   فَلَم يُصرِخهُمُ المُغوِي الخَذُولُ

---

1) الديوان ص 238
2) الديوان ص 227
3)جاء في القران أن قوم عاد أهلكوا بريح صر صر عاتية سور الحاقة الآية 6
4) المصدر السابق ص 106

وَكَانُوا أهْــلَ طَاعـتِهِ فـوَلـَّى   وَسَــارَ وَرَاءَهُ مــنـهُــم قـَبِيْـلُ [1]

هجاء لأسباب شخصية :

كان ابن هرمة مرّ اللسان هجا خصومه لأسباب شخصية منهم ؛ خيثم بن عراك *؛ لأنه جلده حد الخمر ، فذكر ابن قتيبة[2] : "كان ابن هرمة مولعاً بالشراب ، وأخذه خيثم بن عراك صاحب شرط المدينة فجلده حد الخمر " 0

فقال فيه ابن هرمة :

عَقـَقـْتَ أبَاكَ ذَا نَشَبٍ وَيُسْـرٍ   فَـلـَمَّا أفـْنَـتِ الـدُّنـُيَـا أبَاكَـا [3]

عَلِقـْتَ عَدَاوَتي هَذي لـَعَمْري   ثِيَابُ الشـرِّ تـُلـْبِـسُـهَـا عِراكَا [4]

فقد جعله عاقا لوالده وعدوا للشاعر ، وقد كان ابن هرمة معتزاً بفنه وفخوراً بشعره ولم يتوانى لحظة في الدفاع عن شعره والرد على من يعيبه ، وقد هجا المسوّر بن عبد الملك * وقال أبو الفرج[5] :" كان المسوّر بن عبد الملك المخزومي يعيب شعر ابن هرمة " فـقـال فـيه :

قـُلْ لِلـَّذي ظـَلَّ ذا لـَوْنَيْنِ يَأكُـلـُنـي   لـَقَدْ خَلـَوْتَ بِـلـَحْمٍ عَادِمِ البَشـَمِ

إيَّـاكَ لا أُلزمَنْ لحيَيْكَ مِنْ لـَجَمـي   نكـْلاً يَنكـِّلُ قرَّاصاً مِن اللـُّجَـمِ [6]

يَدقُّ لـَحيَيكَ أوْ تـَنـْقـَادُ مُتـَّبـعـاً   مَشيَّ الـمُقـيَّدِ ذِي القرِدَانِ وَالحلـَمِ [7]

إنِّي إذَ مَا امروءٌ خَفـَّتْ نـَعَامَـتـُهُ   إليَّ وَاستُحْصَدت منه قـَوى الـوَذَمِ [8]

عـَقـَدْتُ في مُلـْتـَقى أوداجِ لـُبَّتِـهِ   طَوْقَ الحَمَامَـةِ لا يبلى عَلى القِـدمِ [9]

---

5) المصدر السابق ص 173

*) خيثم بن عراك صاحب شرط المدينة لزياد بن عبيد الله الحارثي في ولاية أبي العباس ، الشعر والشعراء ج2/ ص 639

6) الشعر والشعراء 2/ 639

1) ذا نشب : ذا مال

2) الديوان ص 163

*) المسور بن عبد الملك المخزومي ، كان عالما بالشعر والنسب 0 الأغاني ج4/ ص373

3) الأغاني ج4/ ص 373

4) اللجم : جمع لجام / النكل : اللجام أيضا " اللسان مادة لجم "

5)القردان : جمع قرادة ، وهي دويبة صغيرة متطفلة تعيش على الدواب

6) النعامة : هنا القدم ، ويكنى بها عن السرعة / الوذم : السيور ، واستحصد قواها : احكم فتلها"اللسان وذم"

7) اللبة : موضع القلادة من العنق

إنِّي امروءٌ لاَ أصوغُ الحليَ تَـعْمَلُـهُ   كَفَّـايَ لَـكنْ لِسَـاني صَائِغ الـكَلِـمِ [1]

ويبدو إن هجاء ابن هرمة مرتبط بالعطاء ، وقد يجرَّه بخل ممد وحيه إلى هجائهم وهو حين يهجو لا يكون مقذعا بقدر ما تكون صورة هجائه مؤلمة ، كهجائه لرجل من قريش مدحه ولم يعطه شيئا فيقول :

فَـهَلاَّ إذْ عَـجَـزْتَ عَـن الـمَعَـالي   وَعَـمَّـا يَـفْـعَـلُ الـرَّجُلُ القَرِيْعُ [2]

أخَـذْتَ برأي عَـمْرٍو حيْنَ ذَكَّـي   وَشَـبَّ لِـنَـارِهِ الشَّــرَفُ الـرَّفِـيْعُ

إذ ا لَـمْ تَـسْـتَـطِعْ شَيْـئَـاً فَدَعْـــهُ   وَجَـاوِزْهُ إلى مَـا تَـسْـتَـطِـيْعُ [3]

وقال يعرّض بالعباس بن الوليد بن عبد الملك * في قصيدة مدح بها عبد الواحد :

وَمُعْجَـبٍ بِـمَـدِيْح الـشِّعْـرِ يَـمْـنَـعُــهُ   مـن الـمَديحِ ثَـوابُ المَدْحِ وَالـشَّـفَـقُ

يَا آبيّ المَدْحِ مِــن قَـــوْلٍ يُـحَبِّـرُهُ   ذُو نِـيقَـةٍ في حَـوَاشي شِــعْــرِهِ أنَقُ

إنَّكَ وَالـمَدْحَ كَـالعَذْرَاءِ يُـعْـجِـبُـهَـا   مَـسُّ الـرجَالِ وَيَـثْنِي قَـلْبَـهَا الفَـرَقُ

تُبْدي بَذاكَ سُرُوراً وَهي مُـشـفـقَـةٌ   كَمَا يَهَابُ مَــسِيْسَ الـحَيَّـةِ الـفَـــرِقُ [4]

فرسم صورة لبخيل يحب المديح ويتمناه وخصوصا إذا كان من شاعر قدير كابن هرمة ، ولكنه يخاف من هذا المديح ؛ لما يعقبه من صلة للشاعر 0

وقال يهجو محمد بن عمران وقد نزل ضيفا عليه ، وقصة هجائه طويلة ذكرها أبو الفرج في أغانيه [5] ، فقال فيه بن هرمة :

يَا مَـن يُعِـيـن عَـلَي ضَيْفٍ الَـمَّ بـنَـا   لَيْسَ بِـذي كَــرَمٍ يُــرجَــى وَلا دِيْنِ

أقَـــامَ عِـنْـدي ثَـلاثَـاً سُنَّـةً سَلَـفَـت   أغْضَيْتُ منهَـا عَـلى الأقذَاءِ وَالهُـونِ [6]

---

8) الديوان ص 214

9) القريع :السيد والرئيس

1) البيت مضمن من قصيدة عمرو بن معد يكرب الزبيدي / الديوان ص 147

*) العباس بن الوليد بن عبد الملك قائد أموي شارك في قتال يزيد بن المهلب ، وافتتح حصون في بلاد الروم ، سجنه مروان بن محمد ومات في سجنه

2) الديوان ص 156

3) أنظر الأغاني ج4/ ص 382- 383

4) من عادات العرب أن ينزل الضيف ثلاثة أيام عند مضيفه فيطعمه ويشربه دون أن يسأله حاجته 0/ الهون : الشدة ،الخزي 0أغضيت على الأقذاء والهون : سكتُ على الذل والضيم ولم أشكو 0

مَسَافَةُ البيتِ عَشْرٌ غيرُ مُشْكلَةٍ   وَأنتَ تَأتيهِ في شَهْرٍ وَعشْرينِ
لَسْتَ تُبَالي فوَاتَ الحَجِّ إن نَصبتْ   ذَاتَ الكَلالِ وَأسمَنتَ ابنَ حِرقينِ
تَحَدَّثَ النَّاسُ عَمَّا فِيكَ مِن كَرَمٍ   هَيْهَاتَ ذَاكَ لضيفَانِ المَسَاكيْنِ
أصبحتَ تَخْزُنُ ما تَحْوي وتجمَعُه   أبَا سُليمانَ من أشلاء قارونِ(1)
مَثَلُ ابنِ عمرانَ آبَاءٌ لَه سَلَفُوا   يَجزونَ فعلَ ذوي الإحسانِ بالدُّونِ(2)

وهجا كذلك عبد العزيز بن المطلب * حينما بعث إليه بكتاب يشكو فيه حاله ؛ فبعث إليه بخمسة عشر ديناراً ، فمكث شهرا ثم بعث يطلب شيئاً آخر بعد ذلك ؛ فقال : أنَّا والله ما نقوى علي ما كان يقوى عليه الحكم بن المطلب 0

وكان عبد العزيز قد خطب إلى امرأة من بني عامر فزوجوه (3) ، فقال ابن هرمة :

خَطَبْتَ إلى كَعْبٍ فَرَدُّوكَ صَاغِراً   فَحَوَّلْتَ مِنْ كَعْبٍ إلى جِذْمِ عَامِرِ(4)
وَفي عَامِرٍ عِزٌّ قَديمٌ وَإنَّما   أجَازكَ فيهِمْ هَزْلُ أهْلَ المَقَابِرِ(5)

وقال فيه أيضا :

أبا لبُخْلِ تَطْلُبُ مَا قَدَّمَتْ   عَرانينَ جَادَتْ بِأمْوَالِهَا
فَهَيْهَاتَ خَالَفْتَ فِعلَ الكِرَامِ   خِلافَ الجِمَالِ بِأبْوالِهَا (6)

وهجا إبراهيم بن الحسن بن علي * وقد طلب منه نبيذاً ، ولم يجبه فقال :

كَتَبْتُ إليكَ أسْتَهدي نَبِيْذا   وَأدْلى بالجِوَارِ وَالحُقُوقِ
فَخَبَّرْتَ الأميرَ بذَاكَ غَدْراً   وَكُنْتَ أخَا مُفَاضَحَةٍ وَمُوقِ(1)

---

5) الأشلاء : البقايا 0وقارون وزير فرعون ، ظالم متكبر مفاخر بأحواله وأمواله التي لا تعد ولا تحصى ابتلعته الأرض ، وقد جاء ذكره في القران
6) الديوان ص 240
*) عبد العزيز بن عبد المطلب بن عبد الله ، ولى قضاء مكة و المدينة للمنصور والهادي أنظر" جمهرة ا بن حزم " ص 145
1) الأغاني ج4/ ص386
2) جذم الشيء : أصله "اللسان مادة جذم"
3) الديوان ص 128
4) المصدر السابق ص 199
*) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ولد سنة (97هـ) ،وهو أحد الأمراء الأشراف الشجعان خرج على المنصور العباسي بالبصرة ، وبايعة أربعة الألف مقاتل ، وخافه المنصور وتحول إلى الكوفة وكثرة شيعته ، وقتل (145هـ) أنظر ترجمته في " الأعلام " 48/1

ومما يتصل بالهجاء من قريب العتاب ، وغالبا ما يكون بين الأهل ، والأقارب والأصدقاء ، لابن هرمة في هذا النوع أبيات عاتب بها قومه بني الحارث بن فهر حينما نفوه فقال :

أحَارِ بنَ فَهْرٍ كَيْفَ تَطَّرِحُونَنِي   وجَاءَ العِدَا مِن غَيْرِكُمْ تَبْتَغي نَصْري
وَانِّي وَإنْ كَانَتَ مَراضاً صُدُورُكُمْ   لَمُلْتَمِسُ البُقْيَا سليْمٌ لَكَمْ صَدْري
وإنْ ابنَ عَمِّ المَرْءِ مَن شَدَّ أزْرَهُ   وَأصْبَحَ يَحْمي غَيْبَهُ وَهوَلا يَدْ ري[2]

ويعلق أبو الفرج علي هذه الحادثة قائلا :" فصار من ولد فهر لساعته" [3] 0

وقد عاتب معاوية بن عبد الله * قائلا

فَانّي وَمَدْحَكَ غَيْرَ المُصيْـــــب كَالكَلْبِ يَنْبَحُ ضَوْءَ القَمَرْ
مَدَحْتُكَ أرْجُو لَدَيْكَ الثَّوَابَ   فَكُنْتُ كَعَاصِرِ جَنْبِ الحَجَرْ[4]

ويمكن أن نخلص بعد هذا التفصيل إلى الأتي :

ليس في هجاء ابن هرمة فحش أو كلام مبتذل ؛ مما يدل على أنه لم يكن محترفاً لهذا الفن ، ويبدو انه كان يلجأ إليه عند الحاجة ، وعند إحساسه بوجوب الدفاع عن نفسه0

يحتل الهجاء المرتبة الثانية بعد المديح في شعره ، وإنه نظم فيه قصائد كاملة ، كما إنه ورد في ثنايا القصائد ،وهجاؤه ليس نمطاً واحداً

---

5) الديوان ص 161
1) الديوان ص 126
2) الأغاني ج4/ ص 362
*) معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب احد الشعراء الطالبين المقلين ولد سنة 45ه وفاته سنة 110هـ أنظر الأعلام ج 8 / ص 173
3) الديوان ص 109

الاعتذار:

جعل ابن رشيق الاعتذار أمرا مكروها يقلل من قدر الشاعر ، فحذر منه قائلا : " وينبغي للشاعر أن لا يقول شيئا يحتاج أن يعتذر منه فإن اضطره المقدار إلى ذلك وأوقعه فيه القضاء ، فليذهب مذهباً لطيفاً، وليقصد مقصداً عجيبا ، ويعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه، وكيف يمسح أعطافه ويستجلب رضاه ..."(1)

والاعتذار يختلف من شاعر إلى آخر كل حسب ظروفه ، ولقد اعتذر ابن هرمة لعبد الواحد بن سليمان بقصيدة عدّها أبو الفرج الأصفهاني من فاخر شعره ، وجيّد كلامه ، وكان عبد الواحد قد اشترط عليه أن لا يمدح أحداً غيره ، وأجرى عليه عطاء مادام حيا (2) ولمّا عُزل عن الإمارة نسي ابن هرمة ذلك، ومدح غبره ، ولمّا أعيد إلى ولا يته جفاه وطرده ، وأخذ ابن هرمة يتشفع عنده، واعتذر قائلاً :

أعَبْدَ الوَاحِدِ المَحْمُودَ إنِّي ... أغَصُّ حذَارَ سُخْطِكَ بالقَرَاحِ (3)

فَشَلَّتْ راحَتَاي وَجَالَ مُهْري ... فَألْقَاني بمُشْتَجَرِ الرِّمَاحِ (4)

وَأقْعَدَني الزَّمَانُ فَبِتُّ صِفْراً ... مِن المَالِ المُعَزَّبِ و المُراحِ (5)

إذَا فَخَّمْتُ غَيْركَ في ثَنَائي ... وَنُصْحي في المَغِيْبَةِ وَامتِدَاحي

كَأنَّ قَصَائِدي لَكَ فَاصْطَنِعْني ... كَرَائِمُ قَدْ عُضِلنَ عَنْ النِّكَاحِ

فأنْ أكُ قَدْ هَفَوْتُ إلى أمِيْرٍ ... فَعَنْ غَيْرِ التَّطَوُعُ وَالسَّمَاحِ

وَلَكنْ سَقْطَةٌ عِيْبَتْ عَلَيْنَا ... وَبَعْضَ القَول يَذْهَبُ في الرِّيَاحِ

لَعَمُرْكَ إنَّني وَبَنِي عَدِيٍّ ... ومَنْ يَهْوَى رَشَادي أوْ صَلاحي

و إذْ لَمْ تَرْضَ عَنِّي أوْ تَصِلْنِي ... لَفِي حَيْنٍ أعَالِجُهُ مُتَاحِ (1)

---

1) العمدة ج2/ ص176
2) الأغاني ج2/ ص 1040، 108
3) أغص : أشرق ، القراح : الماء الصافي اللسان مادة غصّ
4) مشتجر الرماح : ساحة المعركة
5) المعزب : أي البعيد ويراد به الإبل التي ابتعد بها عن حيه وأهله / المراح : النشاط

وله قصيدة أخرى يستعطف بها إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب * استهلها قـــــائلا :

يا بنَ الفَـواطم خَـيْـرِ الناسِ كـلـهـم عَـنْـدَ الـفـخـار وأولاهـم بتطهيرِ
أنـي لحـامـلُ عـذري ثم ناشـــرُه ولـيس يـنـفـعُ عذرٌ غير تشـويرِ (2)

ويقول فيها :

لـقَـد أتـاكَ الـعدا عـنـّي بـفَـاحـشـةٍ مَـنْـهُـمُ فـروها بأسـيـافٍ وتكـثـيرِ
لا تـسـمـعـنَّ بـنـا إفـكـاً ولا كـذبـاً يا ذا الحـفـاظ وذي الـنعماءِ والـخـيرِ
واللهِ لو كانَ إن ترضى فـراقَ يـدي فارقـتُـهـا بَـعـتـيقِ الـحدِّ مـطـرو رِ
أو بقرَ بطـنـي جهـاراً قـمـت أبـقـرُه حـتى يُـعـالَـجَ مـني بطـنُ مَـبـقـورِ
أوْ قُطـّعَ الأكْـحَـلُ الـمُـغـترُّ قـاطعه أعـَذرتُ فيـه ولـم أحـفـل لـتـغـريـرِ(3)

كما كان مدح ابن هرمة وهجاؤه مرتبطاً بالعطاء كذلك كان اعتذاراً وفقد رأينا كيف كان عبد الواحد يجري عليه رزقا وقطعه لمدحه غيره ، فأسرع ابن هرمة بالاعتذار لإعادة الصلة ، وكذلك فعل مع محمد بن عبد الله (النفس الزكية) إذ نجح في إعادة الصلة والود الذي كان بينهم ، حيث قال :

لاَ وَالـذي أنتَ منه رحـمـةٌ نزلـت نرجـو عـواقِـبَـهـا في آخرِ الـزمــنِ
لقـد أتـيـت بأمـرٍ مـا شـهـدتُ لـــه ولا تـعـمـّـدهُ قَـصدي و لا سـنـنِ
إلاّ مـقـالـة أقـــوامٍ ذوي إحـــن ومـا مـقـالُ ذوي الشـحـنـاءِ والإحن (4)
لـم يحسنوا الظنَّ إذْ ظنوا بذي حَسَبٍ وفيهم العذرُ مقـرونٌ إلى الـطـبَـنَ (5)
وكـيف امشي مع الأقـوامِ مـعتدلاً وقـد رمـيـتُ صحيح الـعـود بالابَـنِ(6)

النسيب وذكر الأحبة :

---

1) لديوان ص 86
2) شورت الرجل : خجلته السان مادة (شور)
3) الديوان ص 120
4) الشحناء : العداوة والحقد اللسان مادة (شحن)
5) الطبن : الفطنة اللسان مادة (طبن)
6) الابن : العيب ،وفي الأصل العقدة تكون في العود فتفسده / الديوان ص 234

يعدّ الغزل من أشهر الفنون الأدبية ، و أكثرها رواجا و إمتاعا ، وهو ألصق ما يكون بحياة الرجل و المرأة ؛ لأنّ المرأة نصف الرجل ومظهر الجمال الحي في دنياه ، وقد شغلت المرأة الأدباء والقراء والمستمعين (1) 0

وكثر الغزل والتشبيب في أشعار العرب ؛لأن " التشبيب قريب من النفوس لائطٌ بالقلوب ، لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل ، وإلف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب أو ضاربا فيه بسهم منه في حلال أو حرام " (2) 0

واشترط بعضهم في النسيب : " أن يكون حلو الألفاظ رسلها قريب المعاني سهلها لا ، غير كز و لا غامض وأن يختار له من الكلام ما يكون ظاهر المعني لين الإيثار رطب المكسر ، شفاف الجوهر يطرب الحزين ويستخف الرصين"(3) 0

ويحد قدامة بقوله : " إن النسيب ذكر الشاعر خلق النساء وأخلاقهن ، وتصرّف أحوال الهوى به معهن " (4)

ويحتل الغزل مرتبة متقدمة من حيث الكم في شعر ابن هرمة ، فقد افرد له قصائد كاملة ، كما ورد في مقدمات القصائد ، ويدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة، والبروق اللامعة والحمائم الهاتفة، والخيالات الطائفة، وأثار الديار العافية، وأشخاص الأطلال الداثرة (5) ولابن هرمة في ذكر ديار الأحبة قوله :

---

1) انظر :" الغزل منذ نشأته حتى صدور الدولة العباسية" ، وضع هذه المجموعة لجنة من أدباء الأقطار العربية ، الطبعة الثانية ، در المعارف مصر 1964م ص 5
2) الشعر والشعراء ص 20
3) العمدة ج2/ ص 116
4) قدامة بن جعفر " نقد الشعر"، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الأولى 1997م ، ص 140
5) نفسه ص 134

حَيِّ الـدِّيَـارَ بمُـنْـشـدٍ فَـالـمُـنْـتَضَـى   فَـالهَـضْبِ هَـضْبِ رَووا تَـيْـن ِإلى لأى [1]
لـَعـبَ الـزَّمَـانُ بـَهـا فـَغـَيَـرّ َرَسمَهَا   وَخــَريْقَـه يُـغْـتَـالُ مـن قـَبـْل ِالـصِّبَـا
فـكَـأنـّمَـا بُـلْـيَـتْ وُجُـوُه عـِرَاصِـهَـا   فـَبَـكـَيْـتُ مِـن جـَزَع ٍ لـمـا كَـشَـفَ الـبِـلَـى [2]

وقوله :

أدَارَ سَلَـيْمَـى بـيـنَ يَـيْـن ٍ فَـمُـثْـعَـر ٍ   أبـيـنـِي فَـمَا اسـْتـُخْـبِـرتِ إلاَّ لَـتَـخـِبـري [3]
أبـيـنـِي حَـبَـتْـكِ الـبَـار ِقَـاتُ بـِوَبْـلِـهَـا   لـَـنَـا مَـنْـسَـمَـاً عـَـن آلِ سَـلْـمَـى وَشَـغْـفَـر ِ
لَـقَـدَ سُـقِـيَـتْ عَـيْـنَـاك ِإنْ كنتُ بـاكيـاً   عـلى كـلّ مَـبْـدى من سَـلِيمٍ وَمَـحْـضَـر ِ [4]

وقوله :

عـَفَـا سَـائِرٌ مـنْـهَـا فَـهـَضْبُ كِـتَـانَـة   فَـدَارٌ بأعـلـى عـَاقِـلٍ أو مُـحَـسَّـرِ
وَمِـنْـهَـا بـَشَـرقيَّ الـمَـذَاهِـبِ دِمْـنَـةٌ   مَـعَـطَّـلَـةٌ آيَـاتُـهَـا لـَمْ تـَتَـغَـيَّـرِ
قـَصـرنـَا بهَـا لَـمَّـا عـَرفْـنَـا رُسُـومَـهَـا   أزمـَّة سَـمْـجَـاتِ الـمَـعَـاطِـفِ ضُـمَّـرِ [5]

وقوله :

أرَسْـمُ سَـوْدَةَ مَـحْـلٌ دَارِسُ الـطّـلَـلِ   مُـعَـطّـلٌ رَدّهُ الأحْـوَالُ كـالـحـلـَلِ
لـَمَّـا رَأى أهـلـَهَـا سَـدُّوا مَـطَـالِـعَـهَـا   رَامَ الـصُّـدُودَ وَعـَادَ الـوَدُّ كـالـمَـهَـلِ [6]

وقوله :

يَـا دَارَ سُـعـدَى بـالجَـزْعِ مِـنْ مَـلَـلِ   حُـيِّـيـتِ مِـن دِمْـنَـةٍ وَمـن طـَلَـلِ [7]

وقوله :

إحبِـسْ عـلَـى طَـلَـلٍ وُرَسْـمِ مـنَـازِلِ   أقْـوَيْـنَ بَـيْـنَ شَـوَا حِطٍ وَ خـَلائِـلِ [8]

---

1) منشد : موضع بين ر ضوى وبين الساحل جبل من حمراء المدينة / المنتضى ، ورواوة : أودية بين الفرع والمدينة والشاعر ثنى رواوة لإقامة الوزن / لأى من نواحي المدينة (ياقوت)
2) الديوان ص 53
3) يين : موضع ناحية المدينة ، وهي منازل اسلم بن خزاعة / مثعر ماء لجهينة (ياقوت)
4) الديوان ص 121
5) الديوان ص 122
6) المهل ما ذاب من صفر وحديد (اللسان) / الديوان ص 179
7) الديوان ص 182
8) الديوان ص 193

ويمرّ الشاعر بأطلال منزل محبوبته ؛ فيتذكرها ويبكي ويحنّ إليها، ويعلم أن البعد لم ينسيه ذكر حبيبته التي إن تبدت فهي الشمس عند طلوعها ، فإذا عاد إلى صوابه ورجعت إليه روحه قال لرفيق سفره ما أظن هنا مطلع الشمس ، ويعني بذلك مكان محبوبته فيقــول :

قِفَا فَهرِيقَا الدَّمْعَ بالمَنْزِلِ الدَّرْسِ وَلا تَسْتَمِلاً أنْ يَطُولَ بِهَا حَبْسي[1]

وَلَو أطْمَعَتْنَا الدَّارُ أوْ سَاعَفَتْ بها نَصَصْنَا ذَوَاتِ النّصِّ وَالعَنَقِ المَلْسِ[2]

إلى قـــوله :

تَبَدَّتْ فَقُلْتُ الشَمْسُ عَندَ طُلُوعِهَا بِلَوْنٍ غَنِيٍّ الحلْدِ عَن أثَرِ الوَرْسِ[3]

وقوله :

أحَمَامَةٌ حَلَبَتْ شُؤُونَكَ أسْجِمَا تَدْعُو الهَدْيلَ بذي الأراكِ سُجُوعُ

أمْ مَنزِلٌ خَلَقٌ أضَرَّ بِهِ البِلى وَالرِيْحُ و الأنْوَاءُ وَالتّوْدِيْعُ [4]

وقوله في قصيدة يمدح بها السري :

أفي طَلَلٍ قَفْرٍ تَحَمَّلَ آهِلُهْ وَقَفْتَ وَماءُ العَيْنِ يَنْهَلُّ هَا مِلُهْ

تُسَائِلُ عَنْ سَلْمى سَفَاهاً وَقَد نَأتْ بَسَلْمى نَوّى شَحْطٌ فَكَيْفَ تُسَائِلُهْ[5]

وقد يبكي الشاعر الديار ويقرن ذلك بالتحسر على شبابه الذي مضى فيقول :

ألا إنَّ سَلْمى اليوْمَ جَدَّتْ قُوى الحَبْلِ وَأرْضَتْ بنَا الأعْدَاءَ مِن غَيرِ مَا دَخْلِ

كَأنْ لَمْ تُجَاوِرْنَا بأكْنَافِ مَثْعَرٍ وَأخْرَمَ أوْ خيفِ الحُمَيْرَاءِ ذي النَخْلِ

فَإنْ نَبْكِهَا يَوماً نَبْكِ بِعَوْلَةٍ علَى لُطُفٍ في جَنبِ سَلْمى وَلاَ بَذْلِ

سَوى أنْ رَأيْنَ الشَّيْبَ ابيضَ واضِحاً كَأنَّ الَّذي بي لَمْ يَنَلْ أحَداً قَبْلِي[6]

---

1) تستملا : بمعنى ملّ وهو أن تمل شيئاً وتعرض عنه (اللسان)
2) النصّ : السير الشديد ، ذوات النص : النوق (اللسان)
3) الديوان ص 133
4) الديوان ص 144
5) الديوان ص 174
6) الديوان ص 188

وقوله متحسرا على شبابه :

رأيتُ الشَّيْبَ قَدْ نَزَلَتْ عَلينَا َ روَائِعُهُ بحُجَّةِ مُسْتَقيمِ
إذ ا نَاكَرتَهُ نَاكَرتَ منْهُ خُصُومَةَ لا ألَدَّ ولا ظَلُومِ
وَودَّعَني الشَّبَابُ فَصرتُ منهُ كَرَاضٍ بالصَّغيْر مِن العَظيْمِ [1]

وكثيرا ما تفعل الرياح والأمطار فعلها بالديار كما في قوله :

عَفَا رَسْمُ القُريَّةِ فَالكَثِيْبُ إلى مَلْحَاء لَيسَ بَهَا عَرِيْبُ [2]
تَأبَّدَ رَسْمُهَا وَجَرَى علَيْهَا سَفيُّ الرِّيْحِ وَالتُّرْبُ الغَرِيْبُ [3]

وقوله :

أهَاجَكَ رَبْعٌ بالبَلِيَّيْنِ دَاثِرُ أضَرَّ بِهِ سَافٍ ملِثٌ ومَاطِرُ [4]

وقد يبكي على ما حل بهذه الديار من الخراب فيقول :

نَبْكِي علَى دِمَنٍ وَنُؤْيٍ هَامِدٍ وَجَواثِمٍ سَفْعِ الخُدُودِ رَوَاكِدِ[5]
عُرِّينَ مِن عقبِ القُدُورِ وَأهلِهَا فَعَكَفْنَ بَعْدهُمُ بِهَابٍ لأبَدِ
فَوقَيْنَه عَبَثَ الصبَا فَكَأنَّهُ دَنِفٌ يَرنُّ الدَّمْعَ بينَ عَوَائِدِ [6]

بل إن الرياح والأمطار لا تبقي من هذه الديار إلا أطلال كأنَّها البرد البالية ، فيقول في هذا المعنى :

عُوْجَا نقَضِّ الدمُوعَ بَالوقفَةْ علَى رسُومٍ كَالبُرِدِ مُنْتَسَفَةْ [7]
بَادَتْ كَمَا بَادَ مَنزلٌ خَلَقٌ بَيْنَ رُبى أرْيَمَ فَذي الحلَفَةْ [8]

أو كأنها سطور حيث يقول :

أتمضي ولمْ تُلْمِمْ عَلى الطَلَلِ القَفْرِ لِسَلْمى وَرَسْمٍ بِالغَرِيَّيْنِ كَالسَّطرِ

---

1) الديوان ص 221
2) الكثيب: قرية لبني محارب بن عمرو بن وديعة بالبحرين / ملحاء : وأدي من أعظم أودية اليمامة /عريب: أحد
3) الديوان ص 58
4) الديوان ص 166
5) سفع : جمع اسفع ، وهو الأسود اللون المائل إلى الحمرة
6) الديوان ص 104
7) منتسفه : مقتلعة لم يبق لها أثر
8) الديوان ص 151

هِدْنَا بـه الـبـيْضَ الـمَـعَـارِيْبِ للصَّبى   وَفَارِطَ أحْوَاض الـشَّبَابِ الذي يَقْـرِي[1]

ومن صور الـنـسيـب عـنـده ذكـر ظـعـن أحبته ورحيلـهـم وتركـهـم الـديار حيث يقـــول :

كَـأَنَّ عـيْـنَـيَّ إِذْ وَلـَّتْ حـُمُولـُـهُمُ   مِنـِّي جَنـَاحَا حَـمَـامٍ صَـادَفـَا مَـطَـرا

أوْ لـُؤْلـُـؤٌ سَلـسٌ في عِقْدِ جَارِيَةٍ   وَرْهَـا نـَازَعـهَـا الوِلـْدَ انُ فَـانـْتَـشَـرَا [2]

وقوله :

اللهُ يـَعْــلـَـمُ أنَّا في تـَلـَفـُّـتِـنـَا   يـَومَ الـفــِرَاقِ إلى أحبَابِنا صُــوَرُ

وأنـَّنِي حَـوثـُمَا يَشْرِي الهَوَى بَصَرِي   مِـن حَـيثـُما سَلـَكـُوا ادنـُوا فأنظـُـورُ[3]

ويذكر اظعان محبو بته ويشبهه بالنخل الصغير فيقـول :

أظـْعَـانَ سَـوْدَةَ كـَالإشَاءِ غــَوَادِ يـاً   يـَـسْلـُكـْنَ بَـيـنَ أيَـارِقٍ وَخـَمَـائِلِ[4]

وقوله :

ظـَعَـنَ الخَلـيْطُ بـلـُبـِّكَ المُـتَـقَسِّمِ   وَرَمَـوكَ عَـن قـَوْسِ الجـبَالِ بِأسْهُمِ

سَلـَكـُوا عَلـى صفَرٍ كَـأنَّ حُـمُولَهُم   بالرَّضْمَتـَيْنِ دُرَي سَفِـيْـنٍ عـُـوَّمِ [5]

وقد يبكي الشاعر وتنهل دموعه من أثر الفراق قائلا :

فـكـأنـَّمَا اشـْتـَمَلـَتْ مَوَاقِـي عَـيْـنِـهِ   يـَومَ الـفِرَاقِ عـَلى يَـبِـيْسِ الخـَمْخـَمِ[6]

ومن صور النسيب عنده ذكره الطيف و الخيال على نحو ما نرى في قوله :

طـَرَقَـتْ عـُلـَيـَّةُ صُحْـبَـتِي وَرِكـَابِي   أهْلاً بِـطـَيْـفِ عـُلـَيَّةَ المُـنْـتَـابِ

طـَرَقـَتْ وَقـَـدْ خـَفَـقَ الـعَـتُومُ رِحَـالَـنَـا   بـتـَنُوْفـَـةٍ يَـهْمَـاءَ ذَاتِ خــَـــرَابِ

فَكانـَّمَـا طـَرَقـَتْ بـِرَيـَّـا رَوْضَـــةٍ   مَن رَوْضِ عَـوْهَـقَ طـَلـَّـةٍ معْشَابِ[1]

---

1) الديوان ص 125
2) الديوان ص 112
3) الديوان ص 117
4) الديوان ص 197
5) الديوان ص 213
6) الديوان ص 219 / الخمخم : نبت له شوك دقيق لصاق بكل ما يتعلق به

وقد يسعد برؤية طيف محبوبته إذ يزوره في المنام حيث يقول :

أحِبُّ اللـَّيْلَ إنَّ خَيَالَ سَلـْمَى إذَا نـمْـنَـا ألـَمَّ بنَـا فَـزَارَا [2]

وقد يتذكر محبوبته ويظل طول الليل ساهرا ، يقول :

أرِقـْتُ وَغَابَ عَنـِّي مَن يَلـُومُ وَلـَكـنْ لـَمْ أنـَمْ أنَا لـلـهُمُـوم ِ
أرقـتُ وَشَفـَّني وَجَعٌ بقـَلـْبي لِزَيْنَبَ أوْ أميمَـةَ أوْ رَعُوم ِ
أقـاسي ليلـَـةَ كَالحَـولِ حَتـَّى تـَبَدّى الصبحُ مُنقـَطعَ البريـم ِ [3]
كَأنَّ الصبحَ أبلـَقُ في حـجُـول يَـشِبُّ وَيَتـَّقِي ضَرْب الشَّكيْم ِ [4]

وقد يتذكر محبوبته التي نأت عنه وفارقها، فيحن ويتشوق إليها قائلا :

أفـَاطِمَ إنَّ النـَّأيَ يُسْلِـي ذَوي الـهَـوى وَنـَأيُكِ عَنـِّي زَادَ قـَلـبي بكُـمْ وَجْـدَا
أري حَـرجاً مَا نِلـْتُ مِن وُدِّ غـَيركُـمْ وَنـَافِلـَةً مَا نِلـْتُ مِن وُدِّ كُـمْ رُشْدَا
وَمَا نَلـْتـَقِي مِن بَعْدِ نـَأي ٍ وَفـُرْقـَةٍ وَشَحْطِ نـَوي إلاَّ وَجَدْتُ لـَهَا بَـرْدَا [5]

تغزل ابن هرمة بفاطمة ، وعلية، وسلمى ، وتردد اسم سلمى كثيرا في شعره ويبدو إن سلمى هذه كانت حقيقة واقعة في حياة الشاعر فغزله فيها من النوع العفيف ، صادق الإحساس ، رائع الصور، وربما أحبها حباً طاهراً ؛ لذلك حرص أن يكون غزله عفيفاً كحبه لها فيقول :

تـَذكَّرتُ سَلـْمَى وَالنـَّوى تـَسْتـَبـِيعُـها وَسَلـْمى المُـني لـَو أنـَّنَا نـَسْتـَطيعُـهَا
فـَكَيـَّفَ إذا حَلـَّتْ بأكْنـَافِ مُـفـْحـلٍ وَحَلَّ بوَعْسَاءِ الحُلـَيْفِ تـَبيْعُـهَا [6]

وقوله :

أرَي الدَّهْرَ يُنْسِيني أحَادِيْثَ جَمَّةً أتـَتْ مِن صَدِيق ٍ أوْ عَـدُو يُـشـيْعُـهَا
وَلـَمْ يُنْسنِيـهَا الـدَّهْرُ إلاَّ وَذِكْرُهَا بحَيْثُ تـَحَنـَّتْ دُونَ نَفْسي ضُلـُوعُـهَا

---

1) الديوان ص 66
2) الديوان ص 109
3) البريم: ضوء الشمس مع بقية سواد الليل
4) الديوان ص 221
5) الديوان ص 95
6) مفحل من نواحي المدينة / وعساء : الرمل وما أندك من السهل / الحليف موضع بنجد(ياقوت)

وَإنْ لَـمْ يكُنْ مِنهَا لنَا غيرُ ذكْرَةٍ وَقَوْلِ لَعَلَّ الدَّهْرَ يَوماً يُرِيْعُـهَا[1]

فَقَد أحرَزَتْ منـِّي فُـؤَاداً مُتَـيَّمـاً وَعـَيْنـاً علـَيهَا لاَ تَجفُّ دُمُوعُـهـَا

أتـَنْسِيْنَ أيـَّامي وَأيَّـامَكِ الـَّتِي إذَا ذكَرتـْهَا النـَّفْسُ كَادَتْ تُذيْعُـهَا[2]

وقـــوله :

أ تـَعذُرُ سلـْمَى بالنـَّوى أمْ تـَلـُومـُهَا وَسَلْمَى قَذَى العَيْنِ الـَّتي لا بَرِيْمُـهَا

وَسَلْمَى الـَّتي أبهَتْ مَعيناً بعَـيْنَهِ وَلَولاَ هَوى سَلْمى لَقَلـَّتْ سجُومـُهَا[3]

عفَتْ دَارُهَا بالرَّقْمَتَيْنِ فَأصبَحَتْ سُوَيْقـَةُ منْهَا أقْفَرَتْ فنَظِيْمـُهَا[4]

وفي غزله أيضا يعرض لنا ملامح المرأة التي أحبها فيقول :

أجَارَتَنَا بـذِي نَفَـرٍ أقِـيْمِـي فَمَا أبكي عَلى الدَّهْرَ الذَّمـيـمِ

أقـَيْمِي وَجْهَ عَامكِ ثُمَّ سِيْري بَلاَ واهي الجِوَارِ وَلا مُـلـيـمِ

فَكَمْ بَيْنَ الأقَارعِ فَالمُنَقَّى إلى أحُدٍ إلى أكْنَـافِ رَيْـمِ

إلىَ الجَمَّاءَ مِن خَدٍ أسيْلٍ نَقـيَّ اللـَّونِ لـَيْسَ بذِي كُلـومِ

وَمِنْ عَيْنٍ مُكَحَّلَـةِ الأمَاقِي بِلا كحْلٍ وَمِن كَشْحٍ هَضِيمِ[5]

1) يريعها : يرجعها والريع الرجوع (اللسان 278/6)
2) الديوان ص 143
3) أبهت : تركت / السجوم : قطرات الدمع
4) الرقمتان : موضع قرب المدينة / وسويقة :جبل / النظيم :موضع قرب اليمامة انظر الديوان ص 209
5) الديوان ص 221

الوصف :

يقول ابن رشيق[1] : " إن الوصف مناسب للتشبيه ، ومشتمل عليه ، والفرق بينهما ؛ إن الوصف إخبار عن حقيقة الشيء ، وان التشبيه مجاز وتمثيل ، وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع" 0

وعرفه قدامة بن جعفر [2] بأنه : " ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات "0

ويرى بعض النقاد إنّ الشعر ، إلا أقله ، راجع إلى باب الوصف [3]، فالهجاء وصف للمثالب ، والمديح وصف للمناقب ، والغزل وصف لمحاسن النساء ؛ ولكننا حين نذكر الوصف في مثل هذه الدراسة ، أنما نريد وصف الطبيعة ،المتحركة و الساكنة ، فقد وصف العربي كلّ شيء في طبيعته الصامتة والمتحركة ، وكل ما شاهده ، وكل ما أحاط به ، فوصف الصحراء ، والرحلة ، والبقر الوحشي ، والإبل ، والخيل، والوحوش ، والطيور ، والليل ، والنجوم ، والرياض ، والجبال ، والوديان ، وغير ذلك مما وقع تحت بصره 0

وقد كان ابن هرمة ابن بيئته ، فقد عاشها وأحسّها ، واهتزت نفسه بمشاهدها ، وانطلق لسانه بالشعر واصفاً ما يحيط به فوصف الطبيعة الساكنة كما وصف الطبيعة المتحركة ، وكانت الإبل أول ما يلفت النظر إلى وصفه ، وقد كانت له عناية خاصة بوصفها ؛ باعتبارها وسيلة السفر إلى الممدوح ، ومن ذلك قوله :

تَمْشي القَطُوفُ إذا غَنَّى الحُدَأةُ بِهَا   مَشْيَ النَّجيْبَةِ بَلْهَ الجِلَّةَ النُّجُبَا[4]

وقوله واصفا ناقته البيضاء :

بَدَأنَا عَلَيْهَا وَهيَ عيْسٌ فَأصْبَحَتْ   مِنَ السَيْرجُوْناً دَامِيَاتِ الغَوَارِبِ[5]

وقـــوله :

---

1) العمدة ج2/ ص 226
2) نقد الشعر ، ص 134
3) العمدة 226/2
4) الديوان ص 57
5) العيس البيضاء من الإبل يخالط بياضها شيء من الشقرة / الجون : جمع جَون وهو الأسود / الغوارب : أعلى مقدم السنام / انظر الديوان ص 66

وَصَاحَتْ مَسَامِيْرُ الرِّحَالِ وَكُلِّفَتْ   عَلى الجَهْدِ بالمَوْمَاةِ سَيْراً مُطَحْطَحَا
كَمَا صَاحَ سِرْبٌ مِن عَصَافِيْر صَيْفَةٍ   تَوَاعَدْنَ كَرْماً بالسَّراةِ مُمَزَّحَا[1]

وقوله :

إلَيْكَ خَاضَتَ بنَا الظَّلْمَاءَ مُسْدِفَةً   وَالبَيْدَ تَقْطَعُ فِنْدَاً بَعْدَ أفْنَادِ [2]

وقال في قصيدة مدح بها المنصور :

إليْكَ أميرَ المُؤْمنينَ تَجَاوَزَتْ   بنَا بِيْدَ أجْوَازِ الفَلاةِ الرَوَاحِلُ [3]

وقد يتخذ الناقة وسيلة للوصول إلى المحبوبة فقول :

أرْبِعْ علَينَا قَليْلاً أيُّهَا الحَادي   قَلَّ الثَّواءُ إذ ا نَزَّعْتُ أوتَادي [4]

وقد وصف ناقته بالسرعة والنشاط عندما تكون غيرها من الإبل قد تعبت من المسير فهي نشيطة منبسطة وقد شبه اضطراب ظلّها عند جريها بالرأل قائلا :

تَرىَ ظِلَّهَا عِنْدَ الرَّوَاحِ كَأنَّهُ   إلى دَفِّهَا رَألٌ يَخبُّ جَنِيْبُ [5]

وصف كذلك الدمن والأثافي التي جار عليها الزمن على غرار الجاهليين ، وبيّن لنا جزعه لما حدث لهذه الديار حيث يقول :

حَيِّ الدِّيَارَ بمُنْشدٍ فَالمُنْتَضَى   فَالهَضْبِ هَضْبِ رَووا تَيْنِ إلى لأى
لَعبَ الزَّمَانُ بهَا فَغَيّر رَسمَهَا   وَخَرِيْقَه يُغْتَالُ مِن قَبْلِ الصِّبَا
فكَأنّمَا بُلِيَتْ وُجُوُه عِراصِهَا   فَبكَيْتُ مِن جَزَعٍ لما كَشَفَ البِلَى [6]

وقوله :

نَبْكِي علَى دِمَنٍ وَنُؤْيٍ هَامِدٍ   وَجَواثِمٍ سَفْعِ الخُدُودِ رَوَاكِدِ
عُرِّينَ مِن عقبِ القُدُورِ وَأهلِهَا   فَعَكَفْنَ بَعْدهُمُ بِهَابٍ لأبدِ
فَوقَيْنَه عَبَثَ الصَبَا فَكَأنَّهُ   دَنِفٌ يَرنُّ الدَّمْعَ بينَ عَوَائِدِ [1]

---

1) الديوان ص 78
2) الديوان ص 107
3) الديوان ص 167
4) الديوان ص 105
5) الديوان ص 60
6) الديوان ص 53

وقوله :

أصْبَح رَسْـمُ الـدّار ِقَـدْ حلَّ أهـلُـهُ شِبَـاكَ بني الـكَذّابِ أوْ وَادِيَ الـغَمْـر ِ[2]

فَـبَدَّلَـهُـم مِن دَارهـمْ بَعْدَ غـبطَـة نُصَوبُ الرّوَايَا وَالبَـقَـايَا من الـقَطْـر ِ[3]

ونلاحظ أن ابن هرمة اهتم بوصف البادية في عصر ازدهرت فيه الحياة الاجتماعية، وأصبح وصف المدن والقصور والبساتين شائعا في ذلك الوقت ، وأصبح كل ما يتعلق بالصحراء بعيداً عن تلك الحياة ويقول ابن رشيق [4] : " وليس بالمحدث من الحاجة إلى أوصاف الإبل ونعوتها والقفار ومياهها وممر الوحش والبقر و الظلمات والوعول ، وما بالأعراب وأهل البادية لرغبة الناس في هذا الوقت عن تلك الصفات " ، ولم نجد أثراً لتلك الحضارة إلا قليلاً في شعره مثل قوله :

أألحمَامَةُ في نَـخـلِ ابنَ هَـدَّ أجِ هَـاجَتْ صَبَابَةُ عَاني القَـلْب ِمُـهـتَاجِ

أمْ الـمُـخَـبـِّرُ إنْ الغَيْثَ قَدْ وَضَعَتْ مِـنْهُ العِشَارُ تَمَـامَاً غَـيـر إخِـداجِ

شَقّـتْ سَوَائِـفُهَا بالفَرْش ِ مِن مَـلَـلِ إلى الأعـار ِفِ مِن حَـزْنٍ وَاو ِلاّجِ[5]

حَتّـى كَـأنَّ وُجُـوهَ الأرْض ِ مُـلْـبَسَةٌ طَـرَائِـفَاً من سَـدَى عَـصْبٍ وَدِيْبَـاجِ[6]

فقد وصف لنا اثر المطر على الأرض ؛ حيث اكتست الأرض بالخضرة والنبات المختلف الألوان وقد شبهها بالذي يلبس ثياب ملونة من ديباج 0

وكذلك وصف لنا السحاب الداكن ، والبرق اللامع ، و المطر المنهمر الذي يشبه البعير المتعب الذي أصابه الكلال والإعياء قائلا :

أَلـمْ تـأرَقْ لِـضَوْءِ البـرْ ق ِ في أسْـحَـمَ لَـمَّـاحِ

كَـأعْـنَاق ِ نِسَاء ِ الـهِـنْـدِ قَـدْ شِـيْبَتْ بِـأوْضَـاحِ

---

7) الديوان ص 104
1) الشباك بني الكذاب : موضع بنواحي المدينة / الغمر: الماء الكثير (ياقوت)
2) الديوان ص 125
3) العمدة ج2/ ص227
4) شقت : أنبتت / ملل : موضع / الاعارف : جبل باليمامة / الحزن : ما غلظ من الأرض / والو لاج : وادي
5) الديوان ص 67

تُوءَامِ الـوَدْقِ كـَالـــــزَّا   حِـفِ يُزْجَـي خَلـْفَ أطْلاحِ

كـَأنَّ الـعَــازِفِ الـجِــنـّـــــــــيَّ أوْ أصْــوَاتَ أنـــواحِ

عـَلى أرجــائها الـغُـــــر   تَـهَـدِّيـهـَا بِـمِـصْبـَاحِ[1]

ويبدو إن ابن هرمة على دراية ومعرفة بعلم الفلك ، وأسماء النجوم ،فقد ذكر كثير منها وصورها لنا في قصيدته التي وصف فيها الكواكب حيث يقول :

وَبَنَـاتُ نَـعْشٍ يَـسْتَدِرْنَ كَـأنَّهَـا   بَقَرَاتُ رَمْـل خَـلـْفَـهـُنَّ جَـآذِرُ [2]

وَالفَرْقَدَانِ كَصَاحِبَيْنِ تَـعَاقَـدَا   تَاللهِ تَبْرَحُ أوْ تَزُول عَــتَـا يــرُ[3]

وَالجَدْيُ كَـالـرجُلِ الـَّذي مَا إنْ لَـهُ   عَـضـدٌ ولَـيْسَ لَـهُ حـلـيفٌ نَـاصرُ [4]

وَتزَاوَرَ الـعَـيّوقُ عــَن مَـجَـدَاتِـهِ   كَـالـثَّورِ يُضْـرَبُ حينَ عَافَ الـبَاقِـرُ [5]

وَتَـرَفَّعَ الـنِسرانِ هـَذَا بَاسِـطٌ   يَهْوِي لـسقـطـَتِـهِ وهَـذَ ا كَـاسِـــرُ [6]

وَالَـنَّـطْـعُ يَـلْمَعُ وَالبطَينُ كَـأنَّـهُ   كَبْشٌ يَطـَرَّدُهُ لـحَـتـْفٍ تَـائِـرُ [7]

وَالحَوتُ يَسْبَحُ في السَّماءِ كسِبْحِهِ   في الـمَـاءِ وهوَ بِكُـلِّ سَـبحٍ مَـاهِــــرُ [8]

و نجد في شعره وصف للشيب نذير الموت ورسول الهلاك ، ويحسُّ بذلك فيقول :

وفي الشيبِ زجرٌ له لو كان ينز جرُ   وَبَـالِـغٌ مِنه لـولا أنـّه حـجـــــرُ

أبيضّ وأحمرّ مِن فوديه وارتجعت   جليّةٌ الصبح ما قد أغفل السحرُ

وَلـلفتي مهلةٌ في الحـبّ واسعــةٌ   مَا لَـمْ يمتْ في نواحي رأسِهِ الشعرُ

قالت مشيب وعشق رحت بينهما   وَذاك في ذاك ذنبٌ ليس يـغـتـفرُ[9]

---

1) الديوان ص 88

2) بنات نعش : سبعة كواكب ، أربعة منها نعش وثلاثة بنات نعش / جآذر : جمع جؤزر وهو ولد البقر الوحشي

3) الفرقدان : نجمان في السماء قريبان من القطب لا يغربان يهتدي بهما / عتا ير : جمع عترة وعترة الرجل أهله وأقرباؤه

4) الجدي : نجم إلى جانب القطب تعرف به القبلة

5) العيوق : كوكب احمر مضي بجانب الثريا في ناحية الشمال

6) النسران : كوكبان في السماء ، يقال لاحدهما الواقع و الأخر الطائر

7) النطع والبطين : من منازل القمر / التائر : السريع الجري

8) الحوت برج من أبراج السماء/ الديوان ن ص 114

9) الديوان ص 118

ويقول أيضا :

رأيتُ الشَّيْبَ قَدْ نَزَلَتْ علَينَا   رَوَائِعُهُ بحُجَّةِ مُسْتقِيمِ

إذا نَاكَرتَهُ نَاكَرتَ منْهُ   خُصُوْمَةَ لا ألَدَّ وَلا ظَلُومِ

وَودَّعَني الشَّبَابُ فَصرتُ منهُ   كَرَاضٍ بالصَّغيْرِ مِن العَظيْمِ [1]

ويقول في الشيب أيضا :

عَجَبَتْ جَارَتِي لِشَيْبٍ علاني   عَمْرَكِ الله هَلْ رَأيْتِ بَديَّا

إنَّمَا يُعْذَرُ الوَلِيْدُ وَلا يعْذَرُ مَن عَاشَ في الزَّمَانَ عِتِيًّا [2]

وقد يضيق زرعا بالشيب لأنه ، يضطره إلى إن يكف عن جهله ويتحلى بالحلم فيقول :

أقْصَرْتُ عَنْ جهْلِيَ الأدْنَى وَحَلـَّمَنِي   زَرْعٌ مِن الشَّيْبِ بِالفَوديْن مَنْقُودُ

حَتَّى لَقَيتُ ابنَةَ السّعْديّ يَومَ سَفَا   وَقَدْ يَزيدُ صَبَائي البُدَّنُ الغيْدُ[3]

وقد ظهر في هذا العصر نوعاً جديداً من الوصف يسميه هدارة [4] بالوصف الساخر كوصف بشار لنعجة هزيلة ووصف إسماعيل بن عمار لجارية قبيحة، وكذلك شاع في هذا العصر الوصف الماجن ؛ نتيجة لانتشار المؤبقات فيه ، وتحلل المجتمع، ويبدو إن ابن هرمة لم يساير شعراء عصره في هذا النوع من الوصف0

وقد شاع أيضا في هذا العصر وصف الصفات المحمودة والمذمومة كالكرم الشجاعة والغش والحقد ، وقد وصف ابن هرمة حقد الناس وشرهم فقال :

لَيْتَ السِّبَاعَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَة   وَإنّنَا لاَ نَرى مِمَّنْ نَرى أحَدَا

إنَّ السِّبَاعَ لَتَهْدَا عَن فَرَائِسِهَا   وَالنَّاسُ لَيْسَ بِهَادٍ شَرُّهُمْ أبَدَا [5]

ويقول في وصف أحمق :

2) الديوان ص 221
3) الديوان ص 246
4) الديوان ص 98
5) اتجاهات الشعر ص 480
6) الديوان ص 96

كَـسَـاعِـيَــةٍ إلى أوْلادِ أُخْـرى لِـتَـحْـضِنَـهُمْ وتَعْجَزُ عَنْ بَنِيهَا [1]

ومجمل القول فيما يتصل بشعر ه في الوصف :

إن الشاعر كان تقليديا في وصفه فقد أكثر من وصف الإبل والأطلال على غرار الجاهليين ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى إن الشاعر ربّي في ديار تميم، فتأثر بحياة البداوة ، وإنه كذلك شاعر مادح اعتمد على الشعر في حياته ؛ لذلك تفرغ لتجويد مدائحه.

مال قليلا للناحية القصصية ، ويظهر ذلك بوضوح في وصفه للكواكب والسحاب .

لم نجد صدى للحضارة في وصفه إلا قليلاً.

ا

1) الديوان ص 247

لـــــرثـاء:

الرثاء فن من فنون الشعر القديمة التي طرقها الشعراء ؛ فقد هزهم شبح الموت ، وحرّك عواطفهم فبكوا الأحباب الذين رحلوا عنهم ، ولكلِّ شاعرٍ مذهبه في الرثاء والنواح ، ويقول قدامة [1] : " إنه ليس بين المرثيّة والمدحة فصل إلا إن يذكر في اللفظ ما يدل على إنه لهالك مثل : كان ، وتولى وقضى نحبه وما أشبه ذلك ، لأن تأبين الميت بمثل ما كان يمدح به في حياته ، وقد يفعل في التأبين شيء ينفصل به لفظه عن اللفظ المدح بغير كان وما جرى مجراها ، وهو أن يكون الحيّ قد وصف بالجود مثلا ، فلا يقال كان جوادا ، ولكن يقال ذهب الجود أو فمن للجود بعده، ومثل تولى الجود وما أشبه هذه الأشياء " 0

ويرى ابن رشيق[2] : " سبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع ، بيَّن الحسرة ، مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام " 0

وشاعرنا ابن هرمة أحد الذين تحركت في نفوسهم الشجون والأحزان ، بعد أن هزته رهبة الموت ، فصاغ ذلك قصائد تقطر أسى ولوعة ، ومن قصائده في هذا المجال تلك التي قالها في إبراهيم الإمام وتعد من أقوى مراثيه، ويعدد مآثره و بصفه بالكرم وإعانة الناس ويدعو له بالسقيا وفيها يقول :

أتَاني وَأهْلِي بَاللّوى فوقَ مَثْعَرٍ ... وَقَدْ زَجَرَ اللَّيْلُ النَّجْوَمَ فَوَلَّتِ
وَفَاةُ ابن ِعَبَّاسٍ وَصيِّ مُحَمَّدٍ ... فَأُبْتُ فِراشي حَسْرَةٌ مَا تَجَلَّتِ
فَإنْ تَكُ أحْدَاثُ المَنَايَا اخْتَرَ مَنْهُ ... فَقَدْ أعْظَمَتْ رزْ أ بِهِ وَأجَلَّتِ

والى قوله :

جَزَى اللهُ إبْرَاهيمَ خَيْرَ جَزَائِهِ ... وَجَادَتْ عَلَيْهِ البَارِقَاتُ وَظَلَّتِ
يُعيِنُ عَلَى الجُلَّي قُرَيْشاً بِمَالِهِ ... وَيَحْمِلُ عَنْ هُلاّكِهَا مَا أكَلَّتِ

1) نقد الشعر ص 111-112
2) العمدة ج2/ ص147

وَكَمْ مِن كَسِيْرِ السَّاقِ لاءَمَ سَاقَهُ   بِمَعْرُوفِهِ حَتَّى اسْتَوَتْ وَاسْتَمَرَّتِ[1]

ويرثيه بقصيدة أخرى ويصفه فيها بالإمام وعصمة الدين ، ويظهر جزعه وخوفه حيث يقول :

قَدْ كنْتُ أحسبُنِي جَلْداً فَضَعْضَعَنِي   قَبْرٌ بِحَرَّانَ فيهِ عَصمَةُ الدِّيْنِ

فيهِ الإمَامُ وَخَيْرُ النّاسِ كُلِّهُمُ   بينَ الصَّفائِحِ والأحجَارِ وَالطّيْنِ

فيهِ الإمَامُ الّذي عَمَّتْ مُصِيْبَتُهُ   وَعَيَّلَتْ كُلَّ ذي مَالٍ وَمِسكِينِ

إنَّ الإمَامَ الّذي وَلّى وَغَادَرَنِي   كَأنَّنِي بَعْدَهُ في ثَوْبِ مَجْنُونِ

إلى قوله :

فَرَحْمَةُ اللهِ أنْوَاعاً مُضَاعَفَةً   عَليكَ مِن مُقْعَصٍ ظُلْماً وَمسجُونِ[2]

وفي قصيدة أخرى طويلة جمع فيها بين الرثاء ومدح السفاح ، و تعرض فيها لمروان الذي قتل إبراهيم الإمام ، واظهر جزعه لما سمع خبر مقتل الإمام ، ووصفه فيها بخير الناس كلهم حيث يقول :

لَمَا أتَانِي وأهْلِي مِن طِيَاتِهِمُ   بالجَزْعِ بَيْنَ كُبَاثَاتٍ وَ طَابَانَا

نَاعٍ نَعَى لِيَ إبرَاهِيمَ قُلْتُ لَهُ   شُلَّتْ يَدَاكَ وعشتَ الدَّهرَ عُرْيَانَا

والنَّاسُ قَد ثَقُلَتْ يوماً مَضَاجِعُهُم   إلا ابنَ هَرْمَةَ أحْيَا اللَّيلَ يَقظَانَا

وَلا رَجَعْتَ إلى مَالٍ وَلاَ وَلَدٍ   مَا كُنْتُ حَيًّا وَمَا سُمّيتَ إنْسَانَا

تَنْعى الإمَامَ وَخَيْرَ النَاسِ كُلِّهُمُ   أخْنَتْ عَلَيْهِ يَدُ الجَعْديّ مَرَوانَا[3]

وقد رثي ابن هرمة قومه بأبيات حزينة حتى يخيل إليه أنه لن يجد من يبكيه بعد موته، فالموت قد أخذ أخاه وعمه وخاله وابن عمه ، وكلهم قد جلتهم المنايا وصاروا في القبور ، حيث يقول :

مَا أظُنُّ الزَّمَانَ يَا أمَّ عَمْرٍو   تَاركاً إنْ هَلَكْتُ مَن يَبكِينِي

---

1) الديوان ص 69
2) الديوان ص237
3) الديوان ص 226

كَمْ أخٍ صَالِحٍ وعَـمٍّ وَخَـالٍ   وَابنَ عَـمٍّ كَالصَّارِمِ المَسْنـُونِ
قَدْ جلَتَـْهُ عَنَّا المَنَايَا فأمْسى   أعظُماً تَحْتَ ملحـدَاتٍ وَطيـْنِ [1]
رَهْنَ رَمْسٍ بِبُهْرَةَ أوْ حَزِيْزٍ   يَا لَقَوْمٍ للميّتِ المَدْفُـونِ [2]

وله أبيات [3] في رثاء الحكم بن عبد المطلب فقد ذكر فيها مناقبه فهو كريم جواد ، وحياة الجود والمعروف مرهونة بحياته ، وقد ذهب الحكم وذهب الجود والمعروف معه ، فيقول :

سَألا عَن الجُودِ وَالمَعْرُوفِ أينَ هُمَا   فَقُلتُ : إنـَّهُمَا مَاتَا مَعَ الحَكَمِ
مَاتَا مَعَ الرَّجُـل المُوفي بِذِمَّتِهِ   يَومَ الحِفَاظِ إذَا لَمْ يُوفَ بالذِّمَمِ
مَاذَا بمَنْبِجَ لَو تُنْبَشْ مَقَابِرُهَا   من التَّهَدُّمِ بِالمَعْرُوفِ والكَرَمِ [4]

ويبدو أنه يرثي الجود والكرم الذي افتقده بموت الحكم 0

ومن مظاهر الرثاء في هذا العصر رثاء المغنيين وأهل اللهو ، ويبدو إن ابن هرمة لم يشارك في هذا النوع من الرثاء بالرغم مما عرف عنه من حبه للشراب ومجالس اللهو ، وقد تفنن شعراء عصره في الرثاء ، وأخرجوه مخرج الفكاهة والهزل ويعدّ هذا شيئا جديدا في هذا العصر [5] 0

بل ذهبوا إلى ابعد من ذلك ، وخرجوا به إلى آفاق أوسع فمنهم من رثا شبابه ومنهم من رثا حيوانا افتقده كما فعل أبو نواس في رثاء كلبه [6] وبذلك خرجوه به من دائرة الأشخاص إلى آفاق معنوية وحسية 0

وفي هذه الفترة أيضا ظهر رثاء المدن التي جار عليها الزمن والسنين [7]0

1) الملحدات : حجارة يبني منها القبر
2) الديوان ص 242
3) تنسب هذه الأبيات : للراتجي (عبادة بن عمرو) والأرجح إنها لابن هرمة
4) الديوان ص 281
5) الأغاني ج13/ ص 233
6) انظر ديوان أبو تواس ص 190
7) تاريخ الطبري ج 10/ ص 175

وأيضا صار الرثاء وسيلة يتخذها الشعراء الزهاد لتذكير الغافلين بالموت واليوم الآخر كما فعل أبو العتاهية [1] ، ويبدو إن ابن هرمة لم يساير هذا التطور الذي ظهر على الرثاء ، بل لم يشارك فيه 0

ومجمل القول فيما يتصل بشعره في الرثاء :

نجد في مراثيه الصورة التقليدية التي تمجد الميت ، لكونه شخصا جوادا شريفاً كريم الأصل.

مراثيه تشعر بعاطفة متأججة وحزن عميق من الشاعر على هذا المصاب الجلل ، وقد يكثر من ذكر الموت0

لم يساير التطور الحتمي الذي طرأ على شعر الرثاء وأثر عليه ، وقد كف لسانه عن المشاركة فيه 0

يعدّ ابن هرمة مقلاً في الرثاء فالأبيات التي ذكرت هي كلّ ما جاء في ديوانه فيما يتعلق بالرثاء 0

1) انظر ديوان أبو العتاهية ، دار صادر للطباعة والنشر بيروت 1964م دون ط ص 68

الفخـــــــر:

يعّد الفخر لونـاً من ألـوان المدح ، إلا إن الشاعر يخص بـه نفسه وقومـه ، ويقول ابـن رشيق[1] : " الفخر هو المدح نفسه إلاّ إنّ الشاعـر يخصّ بـه نفسه وقومه ، وكلّ ما حُسن في المدح حُسن في الافتخار ، وكلّ ما قبح في المدح قبح في الافتخار " ، و قديما كان العربيّ يفتخر بآبائه وشرف نسبه ، وباب الفخر في الجاهلية اتسع لموضوعات الفروسيّة، والسيادة ، والكرم ، والأخلاق ، والأهل ، والفصاحة ، والولد، و المباهة، والشجاعة ، و الإقدام [2] ، وبالنظر إلى شعر ابن هرمة نجد له أبيات يفتخر فيها بكرمه على غرار الجاهليين فمن عادة العرب قديما أن تنحر الإبل إكراما للضيف فيقول :

إنّي إذَا مَا البَخِيـلُ آمَنَهَـا بَاتَتْ ضَمُوزاً منِّي عَلى وَجَلِ
لاَ أمْتِعُ العُوْذَ بالفِصَالِ وَلاَ أبْتَاعُ إلاّ قَرِيْبَةَ الأجَـلِ
لاَ غَنَمِي في الحَيَاةِ مُدَّ لَهَا إلا دِرَاك القِـرى وَلاَ إبلي
كَمْ نَاقَةٍ قَدْ وَجَأتُ مَنْحَرهَا بمُسْتَهَلِّ الشُّؤْبُوبِ أوْ جَمَلِ [3]

لقي ابن ميادة ابن هرمة ، فقال له :والله لقد كنت احب أن ألقاك ، لابدّ من أن نتهاجى ، وقد فعل الناس ذلك قبلنا، فقل ابن هرمة : يئس والله ما دعوت إليه وأحببته ، وهو يظنه جاد [4] ثم قال ابن هرمة :

إنّي لَمَيْمُونٌ جِوَاراً وإنّنِي إذَ ا زَجَرَ الطَّيْرَ العِدَا لَمَشُومُ
وَإنِّي لَمَلآنُ العِنَانِ مُنَاقِلٌ إذَ ا مَا وَنَي يَوماً ألَفُّ سَئُومُ [5]
فَوَدَّ رِجَالٌ أنَّ أمِّي تَقَنَّعَتْ بشَيْبٍ يغَشي الرَّأسَ وَهيَ عَقِيْمُ [6]

ويقول أيضا مفتخرا بكرمه :

---

1) العمدة ج2/ص 143
2) انتظر أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ج 1/ ص 46
3) الديوان ص 183
4) الأغاني ج4/ ص364
5) ملأ فلان عنان جواده : إذا أعده وحمله على الخطر الشديد / المناقل : السريع نقل القوائم
6) الديوان ص 204

فَقُلتُ لِقَـيْنَـيَّ ارفعَاهَا وَحَرِّقَـا   لَـعَلّ سَنَـا نَـاري بآخَرَ تَـهْـتِـفُ [1]

وقوله :

وَقَرَّبَ طَـاهِـينَـا بَلُـوعاً كَـأنَّـهَا   لَدى الكَسْرِ مَطْلِيٌّ المَغَـابِنِ أخْشَـفُ [2]

ويكثر في فخره ذكر الكلاب وبيان فضلها في استدلال الضيف بها حيث يقول :

وَمُسْتَنْبِح نَبَّـهْـتُ كَلَبي لِـصَوْتِـهِ   وَقُلْـتُ لَـه: فَقُمْ في اليَفَـاعِ فَجَاوِبِ

فَجَاءَ خَفِيَّ الصَوتِ قَدْ مَسَّهُ الضَوى   بِضَرْبَـةِ مَسْنُون الغَرَارَيْنِ قَاضِبِ

فَرَحَّبْتُ وَاستَبْشَرتُ حَتَّى بَسَطْتَهُ   وَتِـلْـكَ الـتي ألـْقَـى بَـهَا كُـلَّ آئِبِ [3]

وقوله يفتخر بكرمه الذي ورثه عن أبيه ، ويشهد الجار والفقير و الضيف على حسن الضيافة ، حيث يقول :

وَسَلْ الجَارَ والمُعَصِّبَ وَالأضْـــــــــيَافَ وَهـنـاً إذَا تَـحَيَّوْا لَـدَيَّـا

كَيْفَ يَلْقَوْنَنِي إذَا نَبَحَ الـكَـلْــــــبُ وَرَاءَ الكُسُورِ نَبْحاً خَفِيَّا

وَمَشي الحَالِبُ المُبِسُّ إلى النَّـا   بِ فَلَمْ يقرِ أصْفَرَ الحَيَّ رِيَّا

لَـمْ تَكُنْ خَارِجيَّةً مِن تُـرَاثٍ   حَادِثٍ بَلْ وَرِثْتُ ذَاكَ عَلَيَّـا [4]

ويقول مفتخرا بشجاعته وحمايته للجاره :

إنّي إذَا الجَارُ لَـمْ تُحْفَظْ مَحَارِمُـهُ   ولَـمْ يُقَلْ دُوْنَـه هَـيْـدِ وَلاَ هَـــادِ

لاَ أخْذُلُ الجَارَ بَلْ أحمي مَبَـاءَتَـهُ   وَلَـيْسَ جَاري كَعُشٍ بَيْنَ أعْوَادِ [5]

وقد افتخر بقومه وكرمهـــــــم قائلا :

نَـحْــنُ الأكْـرَمُونَ إذَا غُـشِـيْـنَـا   عِـيَـاذاً في البَـوَازِمِ وَاغْـتِـرَارَا [6]

وكان ابن هرمة يفتخر بفنه وصياغته وقدرته على قول الجيّد من الشعر في ذلك يقول :

---

1) الديوان ص 153
2) الديوان ص 153
3) الديوان ص 64
4) الديوان ص 246
5) الديوان ص 105
6) الديوان ص 111

إنِّي امروءٌ لاَ أصوغُ الحليَ تَعْمَلُهُ   كَفَّايَ لَكنْ لِسَاني صَائِغ الكَلِمِ[1]

ويقول إنه لم ينتحل شعر غيره وينسبه لنفسه :

وَلَمْ أنتَحِّلِ الأشْعَارَ فيْهَا   وَلَمْ تُعْجِزْنِيَ المِدَحُ الجِيَادُ[2]

ويقول في قصيدة مدح بها عمران بن عبد الله بن مطيع وأفتخر فيها بشعره :

حَلَفْتُ لأمْدَحنَّكَ في مَعَدٍ   وَذِي يَمَنٍ عَلى رَغْمَ الحَسُودِ

بِقَوْلٍ لاَ يَزَالُ [و] فيهِ حُسْنٌ   بأفْوَاهِ الرُّوَاةِ عَلى النَشِيْدِ[3]

ويقول في قصيدة مدح بها السّري بن عبد الله :

لأحْبُونَّكَ مِمَا أصْطَفِي مِدَحاً   مُصَاحِبَاتِ لِعُمَّارٍ وَحُجَّاجِ.[4]

فقد اعترف العلماء بجودة شعره واستحسنوه ، والملاحظ في فخره ،أنه فخر فردي بعيداً عن الحزبيّة والقبليّة ، حتى قبيلة قريش التي ينتسب إليها الشاعر لم نجد لها أي إشارة في شعره ، وهذا أمر طبيعي ؛ لأنه دعي أدعياء وكذلك بني تميم التي ربي فيها 0

---

1) الديوان ص 214
2) الديوان ص 98
3) الديوان ص 100
4)الديوان ص 78

الخمريات :

كان العرب قديماً يشربون الخمر دون تحرّج ، كما كانوا يصفونها في شعرهم كجزء من حياتهم اليومية ، ومظهر من مظاهر الكرم والثراء ، ولما جاء الإسلام حرّم الخمر وحرم شربها ، غير إن البعض لم ينقطع عنها ، بل لجأ إلى تناولها خفية اتقاء حدها الشّرعيّ ، وفي العصر الأمويّ نجد معظم خلفاء بني أمية قد اقبلوا على الشراب ، وكان منهم من يحتشم في مجلسه ومنهم من لا يبالى [1] 0

وكان ابن هرمة ممن يدمنون الشراب فكلّ من ترجم له ذكر حبّه للشراب ، وقد بلغ في حبّه للخمر حداً حيث طلب من الخليفة المنصور أن يبيح له الشّراب [2] 0

ولامته امرأته يوماً وعزلته وقالت له : " قد افسد عليك هذا النبيذ دينك ودنياك فلو تعللت عنه بهذه الألبان"[3] فقال لها :

لا تَبْتَغي لَبَنَ البَعِيْرِ وَعِنْدَنَا مَاءَ الزَّبيْبِ وَنَاطِفُ المعْصَارِ [4]

وقد كان مغرماً بالنبيذ ، حتى إن جيرانه دخلوا عليه ذات مرة وعاتبوه على الحالة التي رأوه عليها ؛ فقال لهم : أنا في طلب مثلها منذ دهر أما سمعتم قولي : [5]

اسألُ اللهَ سَكْرَةً قَبلَ موتي وصياحَ الصبيانِ : يَا سكرانُ [6]

وقد نهاه الحسن بن زيد والي المدينة عن شرب الخمر وقال له :" لئن أتيت بك سكران لأضربك حدين حدّاً للخمر وحدّا للسكر ، ولأزيدنّ لموضع حرمتك بي" [7]

فقال ابن هـــرمة :

نَهَاني ابنُ الرَّسُولِ عَنِ المُدَامِ وأدَّبَني بآدَابِ الكِـــرَامِ
وَقَالَ ليّ : اصْطَبِرْ عنهَا ودَعْهَا لخَوْفِ اللهِ لاَ خَوْفِ الأنَـامِ

1) هدارة – اتجاهات الشعر الغربي ص 479
2) انظر: الأغاني 4/ 368 / الشعر والشعراء ص 640
3) الأغاني ج4/ص 367
4) الديوان ص 130
5) الأغاني ج4/ 389
6) الديوان ص 229
7) الكامل للمبرد ج1/ ص 242

وَكَيْفَ تَصْبُّرِي عنهَا وحُبّي   لَهَا حُبٌّ تَمَكَّنَ في عظَامي
أرَى طِيبَ الحَلالِ عَليَّ خُبْثاً   وَطِيبِ النَّفْسِ فِي خُبْثِ الحَرامِ (1)

وقد يشبه فاه المحبوبة ورضابها بكاس الخمر المعتّقة التي مزجت بماء المطر على عادة القدماء فيقـــــول :

كَأنَّ فَاهَا لِمَنْ تُؤَنِّسُهُ   بَعدَ غُبُوبِ الرُقَادِ وَالعِلَلِ
كَأسٌ فِلِسْطِيَّةٌ مُعَتَّقَةٌ   شِيْبَتَ بمَاءٍ مِن مُزْنَةِ السبَلِ (2)

وفي نفس المعني يقـــول :

خَوْدٌ تُعَاطيكَ بَعْد رقدَتِهَا   إذَ ا يُلاقي العُيونَ مَهدَؤُهَا (3)
كأساً بفيهَا صَهَباءَ مُعرقَةً   بَغلُو بأيدي التِّجَار مَسبَؤهَا (4)

ويبدو إن ابن هرمة مدمن سكير يُجاهر بحبّه للخمر ، أكثر منه شاعراً يبتكر صوراً جديد في هذا الفن ، فالأبيات القليلة التي ذكرناها لا تصّور حياته اللاهيّة ، التي كان يقضيها في الشّرب ومجالس الغناء 0

وربما كان إقلاله في هذا الجانب يعود إلى أنه كان منقطعا للطالبين ، وكانوا ينهونه عن شرب الخمر ، وربما ضاع أكثر شعره بفقدان ديوانه0

1) الديوان ص 225
2) الديوان ص 187
3) هدء العيون : منامها وسكونها
4) الديوان ص 49

الحكمة :

شعر الحكمة من الأغراض القديمة التي عرفها الشعراء ، وكان الشاعر يزيل بها قصائده ، فقد تأمل الشاعر الجاهلي في قضايا الحياة والناس ، ونظر وجرب واستمع إلى تاريخ السابقين ، فألتمس العبر والعظات ، وفكر في أمر الدنيا ، فأثمر ذلك عن حكمة صاغها في عبارة نثرية أو بيت شعر أنيق [1] 0

وقد اعتبر النقاد شعراء الحكمة أقلّ حظاً من الشاعريّة بينما يمجدون شعراء الغزل والوصف ؛ لأنهم يخاطبون العاطفة والوجدان ، أما شعر الحكمة فيجنح للناحية العقليّة ، فقد صدق ابن رشيق[2] حين قال : " فلا يجب للشعر أن يكون مثلاً كله وحكمة كشعر صالح بن عبد القدوس فقد قعد به عن أصحابه وهو يقدمهم في الصناعة لإكثاره من ذلك" 0

وكان شعر الحكمة في الجاهلية عبارة عن تجارب إنسانيّة مرّ بها الشاعر واستفاد منها ؛ وعرّض ذلك في ثنايا قصائده ، وفي القرن الثاني اتسعت دائرة العلوم الإسلامية وشملت معارف أجنبية مختلفة وتُرجمت كتب الأمم الأخرى وأصبح شعر الحكمة يتخذ طريقاً فلسفيّاً 0 وقد كان لابن هرمة نصيب من الحكمة وإن كان قليلاً في شعر ابن هرمة ومن ذلك قوله :

أرى النَّاسَ في أمْرٍ سَحيلٍ فَلا تَزَلْ   عَلي حَذَرٍ حَتى تَري الأمرَ مُبْرَمَا
وَأمْسِكْ بأطْرَافِ الكَلامِ فَإنَّهُ   نَجَاتُكَ مِمَّا خِفْتَ أمراً مُجَمْجَمَا
فإنَّكَ لا تَسْتَطعُ رَدْ الذي مَضى   إذَ ا القَوْلُ عَنْ زَلاَّتِهِ فارَقَ الفَمَا
وَكَائِن تَرى مِنْ وَاقِرِ العِرْضِ صَامِتاً   وآخَرَ أرْدى نَفْسَهُ أنْ تَكَلَمَا [3]

وقد تعددت أنواع الطعام في عصره ، واهتم الناس بها ؛ حتى إن بعضهم قد أصابته العلل من الإكثار من الطعام في ذلك يقول ابن هرمة :

---

1) د سعد شلبي "الأصول الفنية في الشعر الجاهلي "، حدائق القبة ،1977م ،دون ط ، ص 380
2) العمدة ج1/ ص193
3) الديوان ص 202

وَرَبَّتَ أكْلَـةٍ مَنَعَتْ أخَاهَا   بِلَـذَّةِ سَاعَـةٍ أكَـلاتِ دَهْـرِ

وَكَمْ مِن طَالِبٍ يَسْعَى لأمْرٍ   وَفيهِ هَلاكُهُ لَـو كَـانَ يَـدْري [1]

والشاعر يري إن إدراك الشرف ليس لـه علاقة بـالغنى فقـد يكون الإنسان فقـيراً بالى الثّياب؛ ولكن يكون شريف ، وينـال حاجتـه التي يسمو إليها ، بحسن سيرته وخلقه الطيّب وفي ذلك يقول أبيات عدّها ابن قتيبـة من جيّد شعره [2]، واستحسنها ابن المعتز أيضاً وذكرها له [3] :

قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الفَتي وَرِدَاؤُهُ   خَلَـقٌ وَجَيْبُ قَميصِهِ مَرْقُـوعُ

وَيَنَالُ حَاجَتَـهِ الـَّتي يَسْمُو لـَهَا   وَيطِلُّ وَتْرَ المَرءِ وَهْوَ وضيْعُ

أمَّا تَرَيْني شَاحِباً مُتَـبَـذِّلاً   وَالسَّيْفُ يَخلقُ غِمْدُهُ فَيَضِيْعُ [4]

وله رأى خاص في اليأس إذ يقول :

إذ أنْتَ لَمْ تَأخُذْ مِن اليأسِ عِصْمَةً   تُشَدُّ بِهَا في راحَتَيكَ الأصَابِعُ

شَرِبْتَ بِطَرْقِ المَاءِ حَيثُ وجَدَتَهُ   عَلى كَدَرٍ وَاسْتَعْبَدَتْكَ المَطَامِعُ

وَإنـِّي لِمَمَّا البَسُ الثَّوْبَ ضَيـِّقاً   وَأتركُ لبسَ الثَّوْبِ والثَّوبُ وَاسِعُ

وَأصرفُ عَن بَعضِ المياهِ مَطِيَّتِي   إذا أعجَبَت بعضَ الرجَال المَشَارِعُ[5]

وَفي اليَأسِ عَن بَعضِ المَطامِعِ رَاحَةٌ   وَيا رُبَّ خَيْرٍ أدْرَكَتْهُ المَطَامِعُ [6]

فيجب على الإنسان أن لا يكون عبداً لمطامعه وأهوائه ، وأن يقنع بما قُسم له0

وهكذا نرى إن ابن هرمـة قد نظم في معظم أغراض الشعر المعروفة في عصره ، وقد أكثر في بعضها واقلّ في البعض الآخر ، شأنه في ذلك شأن معظم أبناء عصره من شعراء العربية .

---

1) الديوان ص 128
2) الشعر والشعراء 2/ 640
3) طبقات الشعراء ص 20
4) الديوان ص 145
5) المشارع : جمع مشرع وهو مورد الشارب
6) الديوان ص 140

المبحث الثاني

بناء المعاني :

يقول قدامة : " المعاني كُلّـها معروضـة للشاعر ولـه أن يتكلم منها ما أحب وآثر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ، وإذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية ، والشعر فيها كالصورة كما يوجد في كلِّ صناعة من أنّه لابدّ فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة فيه مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة " [1] 0

ولمَّا كان ابن هرمة صانعاً ماهراً وشاعراً حاذقاً فقد استطاع أن ينظم في معظم الأغراض الشعريَّة التي كانت سائدة في عصره ، وقد حوت هذه الأغراض مضامين ومعاني عديدة ، ذكر من خلالها مجموعة من الفضائل المعنويَّة والحسيَّة ، وسنتناولها بشيء من التفصيل :

1/ الكــــــرم :

وهو " من المثل العليا في المجتمع العربيّ ، وهو فضيلة الفضائل كلّها التي يقدّسها المجتمع " [2] ، والكرم من أكثر المعاني التي تغنى بها ابن هرمة واحتلت حيّزاً كبيراً في مدائحه ، وفخره ، وقد اشتملت على عناصر كثيرة مثل: كثرة الجفان ، وإطعام الجوعى في الزمن الجدب ، وقري الضيف ، وكسوة الفقير ، وإيقاد النّار؛ حتى يهتدي بها الساري في أيام البرد ، ومن ذلك قوله مادحاً العباس بكثرة جفانه التي تعدّ لإطعام الجياع ، وكسوته للعاري حيث يقول :

وكانت لعباسٍ ثلاثٌ نعدّها إذا ما جناب الحيّ أصبحَ أشهبا
فسلسلةٌ تنهى الظلومَ وجفنةٌ تباحُ فيكسوها السنامَ المزغبا
وَحلةٌ عصْبٍ ما تزال معدّةً لعارٍ ضريكٍ ثوبُهُ قد تهببا [3]

---

1) قدامة ،" نقد الشعر" ص 13
2) أحمد أبو حاقة" فن المديح وتطوره في الفكر العربي"، دار الشرق الجديد ط 1، 1962م ،ص 53
3) الديوان ص 56

وقوله في عبد الواحد يمدحه :

رَكُودِ الجِفان غَداةَ الصَّبا ويومَ الشمالِ وإرهَاجِها [1]

وقوله في السّريّ بن عبد الله :

مَنْ يَعْتَمِدْكَ ابنَ عَبدِ اللهِ مُجْتَدِيَاً لِسَيْبِ عَرْفِكَ يَعْمَدْ خَيْرَ مَعْمُودِ
يَابنَ الأسَاةِ الشُّفَاةِ المُسْتَغَاثِ بِهِمْ وَالمُطْعِمِينَ ذُرَى الكُومِ المَقَاحِيدِ[2]

وقال في وصف الحسن بن زيد بالكرم :

طلق اليدين إذا ما اضيافُه طرقوا يشكونَ مِن قَرَّةٍ ومِن وسنِ
يأتوا يعدّون نجم الليلِ بينهم في مستحيرِ النواحي راهق السمنِ
ثم اغتدوا وهم دسمٍ شوارُبهم ولَمْ يبيتوا على ضَيْحٍ مِن اللبنِ[3]

ومن صور الكرم عند ابن هرمة أيضا قوله مفتخرا بكرمه ، وذبحه للإبل إكراما لضيفه ؛ وخصوصا إن العرب شديدة العناية بالنوق ، ولاسيَّما أمهات الفصال حيث يقـــول :

إنِّي إذَا مَا البَخِيلُ آمَنَهَا بَاتَتْ ضَمُوزاً مِنِّي عَلَى وَجَلِ [4]
لاَ أمْتِعُ العُوذَ بالفِصَالِ وَلاَ أبْتَاعُ إلاّ قَرِيبَةَ الأجَلِ [5]
لاَ غَنَمِي في الحَيَاةِ مُدَّ لَهَا إلا دِرَاك القِرى وَلاَ إبِلِي
كَمْ نَاقَةٍ قَدْ وَجَأتُ مَنْحَرهَا بِمُسْتَهَلِّ الشُّؤْبُوبِ أوْ جَمَلِ [6]

وفي هذا المعني يقول :

يُكنُّ ضيفي إذا تَأوَّ بني أوسعُ أبياتِنا و أدفَؤُها [7]
عندي لهَذا الزَّمانِ آنيةٌ أملؤُها مرّةً وأكفَؤُها

---

1) تهذيب ابن عساكرج2 ص 234 / الأغاني ج6 ص 120
2) الديوان ص 102
3) الديوان ص 232
4) الضموز: الناقة الممسكة عن الاجترار، يقول : هذه الناقة من شدة خوفها على نفسها مما رأت من نحر نظائرها قد امتنعت من جرتها فهي ضامزة "اللسان مادة ضمز"
5) العوذ من الإبل : التي نتجت ، واحدها عائذة ، ويقول : انحرها وأولادها للأضياف فلا أمتعها " مادة عوذ"
6) الديوان ص 183
7) تأو بني : طرقني ليلاً "اللسان مادة اوب"

خيرُ الرجالِ المرهَّقونَ كمَا   خيرُ تلاعِ البلادِ أوطؤُها [1]

ومن عناصر الكرم عند العرب قديماً إشعال النَّار؛ حتى يهتدي بألسنتها الأضياف والمارة [2] وهنا يأمر الشاعر خادميه بأن يشعلا النّار ويرفعاها عاليا ؛ حتى يهتدي بها من يراها ، وفي ذلك يقول :

فَقُلْتُ لِقَيْنَيَّ ارفعاهَا وَحَرِّقَا   لَعَلّ سَنَا نَاري بآخَرَ تَهْتِفُ [3]

وفي هذا المعني يقول :

إذَا ضَلَّ عَنْهُم ضَيْفُهُمْ رَفَعُوا لَهُ   مِن النَّارِ في الظَّلْمَاءِ ألْوِيَةً حُمْرا [4]

ومن عادة العرب قديماً تربية الكلاب؛ لتدل الضيف على الحي بنباحها في هذا المعني يقـــول :

وَمُسْتَنْبِح نَبَّهْتُ كَلبي لِصَوْتِهِ   وَقُلْتُ لَه: فَقُمْ في اليَفَاعِ فَجَاوِبِ

فَجَاءَ خَفِيَّ الصَّوتِ قَدْ مَسَّهُ الضَوى   بِضَرْبَةِ مَسْنُونِ الغَرارَيْنِ قَاضِبِ

فَرَحَّبْتُ وَاستَبْشَرتُ حَتَّى بَسَطْتَهُ   وَتِلْكَ التي ألْقَى بَهَا كُلَّ آئِبِ [5]

وفي هذا المعني يقول أيضا :

وَمَسْتَنْبِحٍ تَسْتَكْشِطُ الرّيحُ ثَوْبَهُ   لِيَسْقُطَ عَنْهُ وَهوَ بالثَّوبِ مُعصِمُ

عَوى في سَوَادِ اللَّيلِ بعدَ اعتِسَافِهِ   لِيَنْبحَ كَلْبُ أوْ لِيَفْزَعَ نُوَّمُ

فَجَاوَبهُ مستَسمِعُ الصَّوْتِ لِلْقِري   لَهُ مَعَ إتْيَانِ المُهبِّيْنَ مَطْعَمُ [6]

ومن صور الكرم أيضا إجابة السائل ، وإعطاء النائل كقوله :

أروع لا يخلف العدات ولا   تمنع من سؤاله العللُ

لكنه سابغ عطيته   يدرك منه السؤّال ما سألوا [7]

---

1)المرهق : الذي يرهقه الضيوف "اللسان مادة رهق" / الديوان ص 50

2) القلقشندى " نهاية الأرب في معرفة انساب العرب "، تحقيق إبراهيم الابياري القاهرة 1363هـ - 1944م ص 463

3) الديوان ص 153

4) الديوان ص 113

5) الديوان ص 64

6) الديوان ص 208

7) الديوان ص 171

وقـــــوله :

وَلاَ رَجَّعَتْ ذَا حَاجَةٍ عَنْكَ عـلـَّةٌ   وَلا َعَـاقَ خَـيْـرًا عَـاجِلا مـنـْكَ آجِـلُ

وَلاَ لاَمَ فـيكَ البَـاذِلُ الوَجـْه نـَفْسَـهُ   وَلاَ أحْتَكَمَتْ في الجُودِ منْكَ المَبَـاخِلُ [1]

وقـوله :

أسْـدَى الـصَّنيعَـة مِن بـِرٍّ وَمِن لـَطْفٍ   إلى قـَرُوعٍ لـِبَابِ الـمـُـلـْـكِ وَلاَّجِ

كَمْ مِن يَدٍ لَكَ في الأقْوامِ قَدْ سَلَف   عِنْدَ امرئٍ ذِي غِنىً أوْ عِنْدَ مُحْتَاجِ [2]

ومن صور الكرم الارتياح للمعروف كقوله :

هَشَشْتَ لحاجَةٍ وَوَعَدتَ أُخْرى   وَلَمْ تَبْخَلْ بـنَاجـِزَةِ السَّـــرَاحِ [3]

وقوله :

فَلَـمْ أرَ في الأقْوَامِ مِثْلَـكَ سَيِّداً   أهَشَّ بمعْرُوفٍ وأصْدَقَ مَوْعِدَا

وَأنْـهَضَ بالعَزْمِ الثَّقيْلِ احْـتِمَالَهُ   وَأعظَـمَ إذْ لا يُـوقدُ الناسُ مَرفَدَا[4]

وقوله :

بَلْ كَرِيْماً يَرتَاحُ لـلمَجْدِ بَسَّـا   مـاً إذ ا هـَزَّهُ الـسُّؤالُ حَـيـِيَّا [5]

2/ الشجـاعــة :

هـي من القيم الرفـيعة " ومفخرة العربـيّ شـجاعته ، يلبسها وتلبسه سـواء أكـان غـنياً أم فـقـيراً ، ذا قبيلـة أم وحيداً" [6] ، ومن عـناصر الـشجاعة ، الحـماية والدفاع، والنكاية في العدو ، وقتل الأقران ، والسير في القفر الموحشة "[7]، وقد تغنى بها ابن هرمة في مدحه، فممدوحه رجلٌ شجاع لا تخفى علامته في الحروب ، فهو فارس مغوار يجيد الطعن بالرُّمح والضرب بالسَّيف فيقول :

---

1) الديوان ص 169
2) الديوان ص 78
3) الديوان ص 87
4) الديوان ص 94
5) الديوان ص244
6) أحمد محمد الحوفي " الحياة العربية من الشعر الجاهلي "دار القلم بيروت ، بدون ط،ت ، ص3
7) نقد الشعر ص 71

لاَ يَسْتَقِر ولاَ تَخْفى عَلامَتُهُ   إذا القَنَا شَالَ في إطْرَافهَا الحرَقُ

في يَومَ لاَ مَالَ عِنْد المَرءِ يَنفَعُهُ   إلاَّ السّنَـانُ و َإلا الرمحُ و الدَّرَقُ

يَطعنُ بالرّمحِ أحيَاناً وَيضرُبهُم   بِالسَّيْفِ ثمَّ يُدانيهم فيَعْتَنِقُ [1]

ويثني ابن هرمة على شجاعة المنصور ويصف حنكته الحربيّة ، وقوة بطشه بالأعداء ، واعتماد النَّاس عليه في حمايتهم حيث يقـول :

إذا قِيْلَ أيُّ فَتيً تَعْلَمُونَ   أهشَّ إلي الضَرْبِ بالذَّابِلِ

وَأضرَبَ لِلْقِرنِ يَومَ الوَغى   وَأطْعَمَ في الزَّمَنِ المَاحِلِ

أ شَارَت إليْكَ أكُفُّ الأنَامِ   إشَارَةَ غَرْقي إلي سَاحِلِ [2]

وقد يصف ممدوحه بخوضه لغمار الحرب ، فيقول :

وَكَانَ امرأ خَوَّاضَ كُلِّ كَرِيْهَةٍ   وَمَري حُروبٍ يَومَ شَرٍّ يُفَالِطُهُ [3]

وقوله :

أبوك غداةَ المرجِ أورثَكَ العُلى   وخاضَ الوغى إذْ سَال بالموتِ راهط [4]

ويوضح مقدرة ممدوحه علي قيادة الجيوش ، كأنه أسد يذود عن عرينه فيقول:

لَيْثٌ بَحجْر إذا مَا هَاجَهُ فَزَعٌ   هَاجَ إليه بإلْجَامٍ وَإسْرَاجِ [5]

ومن صور الشجاعة حماية المحارم ، والدفاع عن العرض ، وممدوحه فارس مغوار يعتمد عليه قومه رجالاً ونساء، وإنَّ النساء تشهد له بالحماية قبل إن تشهد لأزواجهنَّ وفي ذلك يقول :

إذا قيل مَنْ خيرُ مَنْ يُرتَجى   لمُعترٍّ فِهْرٍ و محتاجِها

وَمَن يُعْجِلِ الخيلَ يومَ الوغى   بإلجامها قَبْلَ إسراجها

أشارة نساءُ بني غالب   إليكَ به قَبْلَ أزواجها [6]

---

1) الديوان ص 158
2) الديوان ص 195
3) الديوان ص 139
4) الديوان ص 138
5) الديوان ص 78
6) تهذيب ابن عساكر ج2 ص 234 / الأغاني ج6/ ص119

ومن الشجاعة أيضا مراعاة حقوق الجار وحمايته :

إنّي إذَا الجَارُ لَمْ تُحْفَظْ مَحَارِمُهُ ولَمْ يُقَلْ دُونَه هَيْدِ وَلاَ هَادِ
لاَ أخْذُلُ الجَارَ بَلْ أحمي مَبَاءَتَهُ وَلَيْسَ جَاري كَعُشٍ بَيْنَ أعْوَادِ [1]

وقــد يتغنى بالشجاعة مفتخــراً بفروسيته فهو يحمل جواده على الخطر الشديد فيقـول :

إنِّي لَمَيْمُونٌ جِوَاراً وإنَّنِي إذَ ا زَجَــرَ الطَّيْرَ العِدَا لَمَشُومُ
وَإنِّي لَمَلآنُ العِنَانِ مُنَاقِلٌ إذَ ا مَا وَني يَوماً ألَفُّ سَئُـومُ
فَوَدَّ رجَالٌ أنَّ أمِّي تَقَنَّعَتْ بشَيْبٍ يغَشي الرَّأسَ وَهيَ عَقِيمُ [2]

3/ الـعـدل :

هو إحدى الفضائل الأربعة التي تفرَّعت عنها الفضائل والتي ذكرها قدامة حيث يقول : " لمَّا كانت فضائل الناس من حيث هم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات ، علي ما عليه أهل الألباب من الأتفاق إنَّما هي العقل والشجاعة والعدل والعفة ، وكان القاصد إلى مدح الرجال بهذه الصفات مصيباً والمادح بغيرها مخطئاً " [3] ، ويشتمل العدل على السماحة ، ونفي الظلم وإشاعة العدل ، والجود وغيرها مما يجري هذا المجرى ، كقول ابن هرمة :

رَايتُك لَمْ تَعْدل عَن الحَقِّ مَعْدِلاً سِوَاهُ وَلَمْ تَشْغِلْكَ عَنْهُ الشَواغِلُ [4]

وقـوله :

جَوَادٌ عَلى العِلاَّتِ يَهْتَزُّ للنَّدى كما اهتَزَّ عَضْبٌ أخلَصَتْهُ صَيَاقِلُهْ [5]
نَفى الظُّلْمَ عَن أهْلِ اليَمَامَةِ عدلُه فَعَاشُوا وَزَاحَ الظُّلْمُ عَنهُمْ وبَاطِلُهْ
وَنَامُوا بأمْنٍ بَعْدَ خوْفٍ وَشِدَّةٍ بسِيْرَةِ عَدْلٍ مَا تُخَافُ غَوائِلُهْ

---

1) الديوان ص 105
2) الديوان ص 204
3) نقد الشعر ص 69
4) الديوان ص 169
5) العضب : السيف ، الصياقل : جمع صيقل وهو ما كانت صناعته صقل السيوف "اللسان مادة عضب"

قَدْ عَلِمْ الـمَعـرُوفُ إنَّـكَ خِـدْنُـهُ   وَيَعـلَـمُ هَـذا الجُوْعُ أنـَّكَ قَـاتِلـُهْ[1]

ومن صور العدل قضاء حوائج الناس كقوله :

لاَ تـَرْمِيَـنَّ بِحَاجَتِي وَقَضَائِهَا   ضَرْحَ الحِجَابِ كَمَا رَمَى بيْ مَنْ رَمَى[2]

وقـــــوله :

أقـرّوا بـلا خلـفٍ حَاجـتي   ألا مـثـلُ سائـلهم لـَمْ يَخِـبْ [3]

4/العـقـل :

وهـو إحدى الفضائل الأربعة التي عدَّها قدامة ، ومن أقسام العـقـل :" ثقابـة المعرفـة ، والحيـاء ، والصدع بالحجـة ، والبيّـان ، والسياسة ، والعلم ، والحلـم عن سفاهة الجهلة "[4]، وقد تغنى ابن هرمـة بهذه الصفة في مدحـه ، فـمـمـدوحه رجل مجـرَّب يعتمد عليه قومه إذا ما صعب عليهم أمر، وعجزوا عن حسمه يتركونه لـه؛ ليقطع بالرأي الصائب ويقدَّر الحل المناسب فيـقـــول :

شَدِيدُ الـتـَّأنـّي في الأمُورِ مُجَرِّبٌ   مَتى يَعرُ أمرُ القَوْمِ يـفْرِ وَيَخلـُقُ[5]

وقـــــوله :

لا عاجزٌ عـازبٌ مروءته   ولا ضعيفٌ في رأيـه زللُ [6]

وقـــــوله :

يـَزُرْنَ امرأً لاَ يُصلحُ القَومَ أمـرُهُ   وَلاَ يَنتَجي الأدنيينَ فـيمَا يُحَاولُ [7]

إذَا مَا أبى شَيئاً مَضى كالـَّذي أبى   وَإنْ قـَالَ إنـِّي فاعِلٌ فهوَ فـَاعِلُ [8]

---

1) الديوان ص 175
2) الديوان ص 54
3) الديوان ص 55
4) نقد الشعر ص 71
5) الديوان ص 159
6) الديوان ص 171
7) ينتجي أنتجاه ، إذا أفضى إليه سره وخصه به
8) الديوان ص 167

وقـد وصف ممدوحه بالتعقل والضمير الصاحي ، والتاني في تقرير الأمور، دون إن يشرك أحداً في سره أو يطلعه عـليه مهما اختلف النـاس واضـطربت بهم الآراء فيقـــــــــول :

إذَا مَا أرَادَ الأمْرَ نَاجى ضَمِيْرَهُ   فَنَاجى ضَمِيْراً غيرَ مُخْتَلِفِ العَقْل
ولَمْ يُشركِ الأدنينَ في جُلِّ أمْرِهِ   إذا اختَلَفَتْ بالأضعفِينَ قَوَى الحَبْلِ[(1)]

ويتغنى بمدح صاحب الرأي الصارم فيقـــــوله :

وَقُلْ قولاً تُطَبْقُ مِفْصَلَيْهِ   بَمدحَةِ صَاحبِ الرَّأيِ الصَّرومِ[(2)]

وقد يصف ممدوحه بأنَّه رجل نافذ البصيرة ذكي فطن راجح العقل فيقول :

إذا خلوت به ناجيت ذا طَبَنٍ   يأوي إلى عقلٍ صافي العقل مؤتمنِ[(3)]

ويفتخر برجاحة عقول قومه وحلمه ، ويشبههم بالجبال فيقول :

وَلَوْ وزنَتْ رضوى بِبَعْض حُلُومِهِمْ   لَشَالَتْ وَلَوْ زِيْدَتْ عَلَيْهِ تُضَارِعُ[(4)]

ويصف الخليفة المنصور بالحلم والعفو عند المقدرة فهو فيقول :

ولَيْسَ بمعطي العفو عَن غيرِ قُدْرَةٍ   وَيعفُو إذَا مَا أمكَنَتْه المَقَاتِلُ[(5)]

ومن أقسام العقل الحياء ويقول في ذلك :

حَيِيٌّ تَقِيٌّ سَاكنُ القَوْلِ وَادِعٌ   إذا لَمْ يُنَرِ،شَهْمٌ ،إذَا تيرَ مَانِعُ[(6)]

5/ العـفـة :

من الفضائل التي ذكرها قدامة ومن أقسامها " إنكار الفواحش ، والتنزه ، والقناعة ،وقلة الشره، وطهارة الإزار وغيرها مما يجري هذا المجرى "[(7)] ويتغنى

1) الديوان ص 189
2) الديوان ص 222
3) الديوان ص 231
4) رضوى :جبل بالمدينة ،تضارع:بضم الراء جبل بتهامة لبني كنانة ، (ياقوت)
5) الديوان ص 167
6) إذا تير : إذا أغضب ؛ الديوان ص 141
7) نقد الشعر ص 71

بقناعته وإكرام نفسه وإنه في سبيل ذلك يشرب الكدر من الماء ، ويظهر ذلك واضحا في شعره الحكمي حيث يقول :

وَأتركُ الثّوبَ يوماً وَهوَ ذُو سَعَةٍ   وَألبَسُ الثَّوبَ وهوَ الضَّيِّقُ الخَلَقُ
إكرامُ نفسي وَإنّي لاَ يُوَافِقُنِي   وَلَو ظَمِئتُ فَحُمْتُ المشْرَبُ الرَنقُ [1]

وفي هذا المعنى يقول

وَإنّي لِمَمَّا الْبَسُ الثَّوْبَ ضَيِّقاَ   وَأترُكُ لبسَ الثّوْبِ والثّوبُ وَاسِعُ
وَأصرفُ عَن بَعض المياه مَطِيَّتِي   إذا أعجَبَت بعضَ الرجَال المَشَارعُ [2]

وقد تظهر في غزله، ويصف محبوبته بالعفة ، وأنه لم يحدث بينهما ما يشيّن ، وإنَّها من عائلة كريمة في صميم النسب فيقول :

وَتَزْدَهيني من غَيرِ فَاحشَةٍ   أشيَاءُ عَنهَا بالغَيبِ أنبؤُهَا
لَو تُهنِّي العَاشقِينَ مَا وَعَدَتْ   لَكَانَ خَيرَ العِدَاةِ أهنؤُهَا
شَبَّتْ وَشَبَّ العَفَافُ يتبعُهَا   فلَم يُعَب خِدنُها ومَنْشَؤُها
وَبَوَّاتْ في صَميم مَعشَرِها   فَنَمَّ في قَومِهَا مُبَوَّءُهَا [3]

6/ الوفـاء :

هو من الفضائل التي تغنى بها ابن هرمة ، ومن أقسامه: الوفاء بالا يعاد ، والبر ، ومراعاة الصلة ، والإخاء ، وغيرها مما يجري هذا المجرى[4] :

وأنْتَ امرؤٌ حُلْوُ المُؤَاخَاةِ بَاذِلٌ   إذَا مَا بَخيلُ القَوْمِ لَم يَصْطَنِعْ يَدَا
وأنْت امرؤٌ أوْفى قُرَيشٍ حَمَالَةً   وَأكْرَمَهَا فيهَا مَقَاماً ومَقْعَدَا [5]

وقوله :

ذُو وَفَاءٍ عندَ العِدَاتِ وَأوصَاهُ   أبُوهُ ألاّ يَزَالُ وَفِيَّا

1) الديوان ص 158
2) الديوان ص 140
3) الديوان ص 49
4) نقد الشعر ص 72
5) الحمالة : الدية والغرامة / الديوان ص 92

فَـرَعى عُـقْدَةَ الوَصَـاةِ فأكْـرِمْ بهِـمَا مُوصـياً وهـَذا وصـيًّا [1]

وقـــوله:

أخٌ قلـتُ لِـلأدنـيـن لِـمَا مَـدَحْـتُـهُ هـَلـُمـُّـوا وَسَـاري اللّـَيْـلِ ـمِ الآنَ فاطـْرُقِ[2]

وقوله :

فَـأجِـبْ أخَـاكَ فـَقَدْ أنَـافَ بِـصَـوْتِـهِ يَـا ذَا الإخَـاءِ وَيَـا كَـرِيـْمَ الـمُرْتـَجَى[3]

ويصف نفسه بالوفاء ومراعاة الحقوق ، والحرمات :

إنِّي امرؤ من رعى عيني رعيتُ له مني الذمامَ ومن أنكرتُ أنكرني [4]

وقـــــــوله :

حَـمَـيْـتَ حمَـاكَ في مَنَعـاتِ قَـلْـبِي فـَلَـيْـسَ حِمَـاكَ عِـنْـدِي بِـالمُبَـاحِ [5]

ويصف ممدوحه بالوفاء ، وصدقه في وعـوده فيقول :

مَا قـال أوفـــت به مـقـالـتـه عـفـواً ولم تـعـترض لـه الـعـلـلُ

سالت به شعـبة الـوفـاء إلى حيث انتهى السهلُ وانتهى الجبلُ [6]

7/ العظمة والسؤدد :

مـدح ابـن هرمـة كبـار رجـال الدولـة مـن أمـراء ، وولاة ، وأشـراف وتغنـى بمجدهم وعظمتهم وهيبتهم حيث يقول في وصف عظمة وهيبة المنصور :

إذَا مَا أبى شَيئـــاً مَـضى كالـَّـذي أبى وَإنْ قَـالَ إنـِّي فاعِـلٌ فهـوَ فَـاعِـلُ

وقـــــــوله :

لَـهُ لَـحَـظَـاتٌ عَـن حَـفَـافي سَرِيرِهِ إذا كَـرَّهـَا فـيـهـَا عِـقَـابٌ وَنـائِـلُ

فَـأمّ الـذي آمَـنْـتَ آمِـنـَةٌ الـرَّدَى وَأمُّ الـّذي حَاوَلْـتَ بالثُّـكْـلِ ثـَاكِلُ [7]

---

1) الديوان ص 245
2) الديوان ص 159
3) الديوان ص 54
4) الديوان ص 229
5) الديوان ص 87
6) الديوان ص 172
7) الديوان ص 168

فالخليفة رجل فاحص النظر تنم نظراته عمًّا في نفسه من عقاب أو ثواب ، فإذا وهب أحدا الأمان فهو آمن ، وإن سخط على أحد فهو هالك لامحال ، وهذه صفة تكون للملوك وأصحاب الأمر والنهي 0

ويقول في الحكم :

سَلِيْلَ مَلُوكٍ سَبْعَةٍ قَدْ تَتَابَعُوا   هُم المُصْطَفَوْنَ وَالمُصَفَّونَ بالكَرَمْ [1]

ويتغنى بالمجد الذي ورثه ممدوحه :

لَك الفَضْلُ مِن هَنًّا وَهَنًّا وَراثَةً   أباً عَن أبٍ لَمْ يختَلِسْ تِلْكَ فعْدَدَا

بَني لَكَ (عَبَّاسٌ) مَن المَجْدِ غَايَةً   إلي عِزٍّ قُدْمُوسٍ مِن المَجْدِ أصْيَدَا

وَشَيَّدَ (عَبدُ اللهِ) إذْ كَانَ مِثلَهَا   وَشَدَّ بِإطْنَابِ العُلاَ فتَشَيَّدَا [2]

وقوله :

أنْتَ ابنُ مُسْلَنْطَحِ البَطْحَاءِ مَنْبَتُكُمْ   بَطْحَاءُ مكَةَ لاَ رُوسَ القَرَادِ يَدِ

لَكُمْ سِقَايَتُهَا قِدْماً وَنَدْوَتُهَا   قَدْ حَازَهَا والِدٌ منْكم لِمَولُوْدِ [3]

وقوله :

فَمَا بالحِجَازِ مِن فَتىً ذي إمَارَةٍ   وَلاَ شَرَفٍ إلاَّ ابنُ عمرانَ فَاضلُهْ

فَتىً لاَ يَطُورُ الذمُّ ساحَةَ بَيْتِهِ   وَتَشْقَى به لَيْلَ التَّمَامِ عَوَاذِلُهْ [4]

وقد يصف ممدوحه بالهيبة فيقول :

لا يرفعون إليه الطرفَ خشيتَهُ   لاَ خَوفَ فحشٍ ولكن خوفَ إجلال [5]

ويشيد ابن هرمة بكرم أصل ممدوحيه ، ولاسيَّما عندما يمدح بني هاشم ، فهم أشرف الناس منبتاً وأذكاهم حسباً ، وأطهرهم نسباً كيف لا وهم رهط النبي الكريم- صلى الله عليه وسلم – حيث قال في مدح إبراهيم الإمام :

---

1) الديوان ص 200
2) الديوان ص 92
3) الديوان ص 102
4) الديوان ص 176
5) الديوان ص 179

إذَا شَاءَ يَوماً عُدَّ مِن آلِ هَاشِمٍ   أباً ذكْرُهُ لاَ يقلبُ الوَجْهَ أسْوَدَا [1]

وقوله في عبد الله بن معاوية بن عبد الله :

كَرَيمٌ إذَا مَا شَاءَ عَدَّ لَـهُ أباً   لَـهُ نَسَبٌ فَوْقَ السِّمَاكِ المُحَلِّقِ

وَأمّاً لهَا فَضْلٌ عَلي كُلّ حُرَّةٍ   مَتى مَا تُسَابِقْ بابنِهَا القَوْمَ تَسبِقِ

حَلَلْتَ مَحَلَّ القَلْبِ مِن آلِ هَاشِمٍ   فَعُشَّكَ مَأوى بيضِهَا المُتَفَلِقِ

فَمَنْ مثلُ عَبدِ اللهِ أوْمَثَلَ جَعفرَ   وَمثلُ أبيْكَ الأريَحيَّ المُرَهَّقِ [2]

وقـــوله في المنصور :

لَـهُم طينَةٌ بَيْضَاءُ مِن آلِ هَاشِمٍ   إذَا اسْوَدَّ مِن لُؤْمِ التُرَابِ القَبَائِلُ [3]

وقــوله في النفس الزّكيَّة :

وَأنت من هاشمٍ في سرِّ نبعتها   وطينةٌ لم تفارقْ هُجنة الطِّيَنِ

لو راهنت هاشمٌ عن خيرها رجلا   كان أبوك الذي يُخْتَصُّ بالرهنِ

وَالله لولا أبوك الخيرُ قد نزلت   مني قَوافٍ بأهلَ اللؤم والوهنِ [4]

8/البخل :

من الصفا ت الذميمة التي تظهر بوضوح في هجائه ، وأنَّ ابن هرمة لا يحب البخل والبخلاء ، ولم يسبق له أن اتّصل بهم ؛إذ لا فائدة ترجي منهم غير الكدِّ والتعب ، وقد ألمح إلى ذلك في مدائحه0ودائما يقصد الرجل الكريم ، فوصف العباس بن الوليد بالبخل ؛لأنه لم يثبه على مدحه له فقال :

وَمُعْجَبٍ بَمدِيْح الشِّعْرِ يَمْنَعُهُ   مِن المَديحِ ثَوابُ المَدْح وَالشَّفَقُ

يَا آبيّ المَدْحِ مِن قَوْلٍ يَحَبِّرُهُ   ذُو نيقَةٍ في حَوَاشي شِعْرِهِ أنَقُ [5]

وفي هذا المعنى أيضا

---

1) الديوان ص 94
2) الديوان ص 160
3) الديوان ص 169
4) الديوان ص 236
5) الديوان ص 156

أبِاْلبُخْلِ تَطَلُبُ مَا قَدَّمَتْ   عَرانيْنَ جَادَتْ بِأمْوَالِهَا
فَهَيْهَاتَ خَالَفْتَ فِعلَ الكِرَامِ   خِلافَ الجِمَالِ بِأبْوالِهَا [1]

وقد صوَّر البخيل الذي يتجاهل سائله ، بناظم الخرز الذي ينهمك في عمله ولا يدري من حوله حيث يقول :

نكَّسَ لَمَّا أتَيْتُ سَائِلَه   وَاعتَلَّ تَنْكِيْسَ نَاظِمِ الخَرَزِ[2]

وقوله :

فَانّي وَمَدْحَكَ غيْرَ المُصيْبِ   كَالكَلْبِ يَنْبَحُ ضَوْءَ القَمَرْ
مَدَحْتُكَ أرْجُو لَدَيْكَ الثَّوَابَ   فَكُنْتُ كَعَاصِرِ جَنْبِ الحَجَرْ[3]

وقوله متغزلاً في سلمى يصفها بالبخل :

إنَّ سُلَيمَى وَاللهُ يَكلَؤُهَا   ضَنّتْ بشَيءٍ مَا كانَ يرزَؤُهَا [4]

9/الحمق :

وقد وصف الشاعر من يهجوهم بالحمق فيقول :

كَسَاعِيَةٍ إلى أوْلادِ أخْرى   لِتَحْضِنَهُمْ وتَعْجَزُ عَنْ بَنيهَا [5]

وقوله :

كَتَبْتُ إليكَ أسْتَهدي نَبِيْذا   وَأدْلى بالجِوَارِ وَالحُقُوقِ
فَخَبَّرْتَ الأميرَ بذَاكَ غَدْراً   وَكُنْتَ أخَا مُفَاضَحَةٍ وَمُوقِ[6]

وقد هجا ابن هرمة بمعاني أخرى ، مثل عقوق الوالدين ، النفاق ، وهوان الشأن كقوله :

عَقَقْتَ أبَاكَ ذَا نَشَبٍ وَيُسْرٍ   فَلَمَّا أفْنَتِ الدُّنْيَا أبَاكَا

---

1) الديوان ص 199
2) الديوان ص 109
3) الديوان ص 132
4) ضنت : بخلت ، يرزؤها ينقصها (اللسان) ، / الديوان ص 48
5) الديوان ص 247
6) الموق : الحمق / الديوان ص 161

عَلِقْتَ عَدَاوَتي هَذي لَعَمْري   ثِيَابُ الشَّرِّ تُلْبِسُهَا عِرَاكَا (1)

وقـــــوله :

قُلْ لِلَّذي ظَلَّ ذا لَوْنَيْنِ يَأكُلُني   لَقَدْ خَلَوْتَ بِلَحْمٍ عَادِمِ البَشَمِ (2)

وقـــــوله :

خَطَبْتَ إلى كَعْبٍ فَرَدُّوكَ صَاغِراً   فَحَوَّلْتَ مِنْ كَعْبٍ إلى جِذْمِ عَامِرِ

وَفي عَامِرٍ عِزٌّ قَدِيمٌ وَإنَّمَا   أجَازَكَ فِيهِمْ هَزْلُ أهْلَ المَقَابِرِ (3)

وقـــــوله :

فَهَلاً إذْ عَجَزْتَ عَن المَعَالي   وَعَمَّا يَفْعَلُ الرَّجُلُ القَرِيْعُ (4)

أخَذْتَ برأيِ عَمْرٍو حِيْنَ ذَكَّي   وَشَبَّ لِنَارِهِ الشَّرَفُ الرَّفِيْعُ

إذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعْهُ   وَجَاوِزْهُ إلى مَا تَسْتَطِيْعُ (5)

ولا يقف ابن هرمة عند الفضائل المعنوية بل، يتعداها إلى قيم أخرى من الصفات الحسيَّة مثل :

10/ الجمـــال :

نعت الممدوح بالجمال تقليد سار عليه الشعراء ، بالرغم من أن بعض النقاد عدَّه غير ذي بال * وقد وقف ابن هرمة عند هذه الفضيلة ، وتغني بجمال ممدوحه وحسنه ، ونعته بأنَّه طليق الوجه ، سمح المحيَّا ، حيث يقول :

كَرِيْمٌ له وَجهَانِ وَجْهٌ لَدى الرضَا   أسِيْلٌ وَوَجْهٌ في الكَرِيهَةِ بَاسِلُ (6)

وقـــــوله :

---

1) الديوان ص 163
2) الديوان ص 214
3) الديوان ص 128
4) القريع :السيد والرئيس
5) البيت مضمن من قصيدة عمرو بن معد يكرب الزبيدي / الديوان ص 147
*) قضية التمدح بالجمال ناقشها ابن رشيق رافضاً رأي قدامة بعد أن تحدث عن القيم النفسية في المدح ، فإن أضيف إليها فضائل عرضيّة أو حسيّة كالجمال والأبهة وبسطة الخلق وسعة الدنيا وكثرتها كان ذلك جيَّداً، انظر العمدة ج2/ ص125
6) وجه أسيل : فيه لين واستواء / الديوان ص 167

يَجِدونَ وَجهكَ بابن فـَرْعَـيْ مالك   سَهْلاً إذا غلظ الوجوه طليقا [1]

وممدوحه أغرُّ الوجه أبيض مثل ضوء الصبح حيث قال :

أغـَرُّ كـَضوءِ الصُّبْح يَستَمطِرُ النـَّدى   وَيَهْتَاشُ مُرتَاحاً إذَا هُوَ أنـفـَدَا[2]

ويقول في الحسن بن زيد ، واصفا إيَّاه بالأخلاق الحميدة ، والوجه الطليق والأصل الطيَّب فيقول :

أوصاف زيدٍ بأعلى الأمر منزلةٍ   فما أخذتَ قبيحَ الأمرِ بالحسنِ

خلاّتُ صدقٍ وأخلاقٌ خُصصتَ بها   فلم يضعْنَ ولم يُخلطْنَ بالدَرَنِ

تلقى الأيامنَ من لاقاك سانحة   وجهٌ طليقٌ وعودٌ غير ذي أبَنِ [3]

يتغنى ابن هرمة بجمال المرأة في شعره ، وتصادفنا الحسيَّة في غزله ، فقد كان بعضه ماديا تقليديًّا تحدث فيه عن ملامح المرأة التي يحبُّها ، فهي أسيلة الخدين ، نقيَّة اللون ، مكحلة الأماقي ، هضيمة الكشح،حيث يقول :

فـَكَمْ بَيْنَ الأقـَارعِ فـَالمُنـَقـَّى   إلى أُحُدٍ إلى أكـْنـَافِ رَيْـمِ [4]

إلىَ الجَمَّاءَ مِن خَدٍ أسيْلٍ   نَقيَّ اللـَّونِ لـَيْسَ بذِي كـُلومِ [5]

وَمِنْ عَيْنٍ مُكَحَّلـَةِ الأمَاقِي   بِلا كحْلٍ وَمِن كَشْحٍ هَضِيمِ [6]

وهي طيبة الرائحة حيث يقول :

أحِبُّ اللـَّيْلَ إنَّ خَيَالَ سَلـْمَى   إذَا نـمْنـَا ألـَمَّ بِنـَا فـَزَارَا

كَأنَّ الرَّكـْبَ إذْ طـَرقـَتـْك بَاتـُوا   بِمَنـْدِلَ أوْ بِقـَارعتـَيْ قـَمَارَا[7]

وهي دقيقة الخصر عظيمة العجز حيث قال :

---

1) الديوان ص 155

2) هششت للمعروف : إذ ارتحت له واشتهيته / الديوان ص 91

3) الأيامن : اليمين ، الأبن : العيب

4) الاقارع : جمع اقرع وهو جبل بين مكة والمدينة / المنقي : طريق بين أحد والمدينة / أحد حبل / ريم : واد لمزينة قرب المدينة (ياقوت)

5) الجمَّاء : حبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف (ياقوت)

6) الكشح : وهو من لدن السرة إلى المتن / الهضيم : اللطيف (اللسان) ، / الديوان ص 221

7) مندل : موضع بالهند / قمار : موضع بالهند ينسب اليه العود / الديوان ص 110

ثـُمَّ قـَامَتْ حَوْلـَهَا أتـْرَابُـهَا   وَعْـثـَةَ الأرْدَاف غـرْثـَي المُلـْتـَزَمْ [1]

وهي عـذبة الريق حيث يقول :

كَـأنـَّمَا مَضْمَضَتْ مِن مَاء مَوْهِبَةٍ   عَلى شبَـابيٍّ نـَخـْلٍ دُونـَهُ الـمَلـَقُ[2]

إذَا الكَـرَى غـيَّرَ الأفْـوَاهَ وانـقـَلـَبَتْ   عَنْ غـَيْـرِ مَا عَـهِدَتْ في نَوْمِهَا الرِّيـَقُ[3]

وقـــــــوله :

كَـأنَّ فَـاهَـا لِـمَـنْ تـُؤنـِّـسُـهُ   بَعدَ غـُبُـوبِ الـرُقـَادِ وَالـعِلـَلِ

كَـأسٌ فِلـسْطِيـَّـةٌ مـُعـَتـَّقـَةٌ   شِيـْبَـتَ بمَاءٍ مِـن مُـزْنـَـةِ الـسبَلِ [4]

وقوله :

خَوْدٌ تُـعَاطيكَ بَعْد رقـدَتِـهَا   إذَ ا يُلاقي العـُيونَ مَـهدَؤُهَـا [5]

كأساً بـفـيهَا صَهَبَاءَ مُعرقـَة   يَغلـُو بأيدي الـتـِّجَار مَسبـؤهَـا [6]

ويشبهها بالظباء والبقر، فالشاعر معجب بالعيون الواسعة الجميلة ، الشديدة البياض والسواد التي تشبه عيون المها   حيث يقول :

وَخـُرَّ دٌ كَـالمَهَا حُورٌ مَـدَامِعُـهَا   كَـأنـَّهَا بينَ كثـْبَان ِ الـنـَّـقـَا بـَقـَرُ [7]

ويقول :

فَلـَرُبَّ لـَذَّةِ لـَيْـلـَـةٍ قـَــدْ نِلـْـتـَهَا   وَحَرَامُـهَـا بحَلالِـهَا مَدْفـُـوعُ

بأوَانِس حـُورِ العـُيُون كـَأنــَّـهَـا   آرَامُ وَجـْــرَةَ جَـادَهُـنَّ رَبِـيـْعُ [8]

صَيْدُ الحَـبَـائِلِ تـَسْـتـَبـِين قـُلوبـَنـَا   وَدَلالـَـهُـــنَّ مُـخـَلـَّقٌ مَـمْـنـُوعُ [9]

---

1) الديوان ص 201

2) شباب : موضع باليمن ينسب إليه النخل / موهبة : حصن من أعمال اليمن / الملق: الأملس (اللسان)

3) الديوان ص 155

4)شييت وشجت : خلطت ومزجت (اللسان) / الديوان ص 187

5) هدء العيون : منامها وسكونها

6) معرقة : قليلة المزج / سبأت الخمر : اشتريتها لتشربها ، يريد من جودتها يغلو اشتراؤها (اللسان)؛ الديوان ص 49

7) الخرد : اللؤلؤة لم تثقب ، ويريد بها القتاة البكر / الديوان ص 119

8) وجرة : موضع بين مكة والبصرة ، وبينها وبين البصرة نحو أربعين ميلا ، ليس فيها منزل ؛ فهي مرب3للوحش

1) مخلق : مطبوع على السجية (اللسان خلق) ، / الديوان ص 146

في وصف مجلس آخر يقول :

وَمَجْلس ِأبْكَـارٍ كَـأنَّ عيُـونـَهـَا   عيُـُونُ المَهَا أنـْضَيْنَ قـُدَّامَ رَبـْرَبِ [1]

هذا بالإضافة إلى بعض المعاني الإسلاميَّة التي سارت جنباً إلى جنبٍ مع الفضائل المعنوية والتي ظلَّ الشعراء في ذلك العصر يتغنون بها مثل المدح بالتدين والعمل على رفعة شأن الدين وأعلا كلمته ، وهذا بجانب مدحه لآل البيت ، وذلك كقول ابن هـــرمة :

وَكَانَت أمُورُ الـنَّاس ِمُـنْـبَـتَة القـَوى   فَشَدَّ الوَليدُ حـينَ قَامَ نِظَامـَهَا

خَـليْـفَةٌ حَـقٍّ لا َخَـلَيْفـَةُ بَاطِــلٍ   رَمَى عَنْ قـَنَـاةِ الدِّين حتَّى أقَامَهَا [2]

وقـــــــوله :

فـَلاَ هُوَ في الـدُّنْيـَا مُضِيْعٌ نـَصِيبْـَهُ   وَلا عَرَضُ الـُّدنـْيَا عَنْ الدِّيْن ِشَاغِلـُهْ [3]

وفي مدح آل البيت :

هـَــدَانيَ اللهُ لــلحُسْنى وَوَفـَّـقـنِي   فـَاعـْتـَمْتُ خيرَ شَبَابِ النَّاس ِعـبَّـاسَا

قِدْحُ النَّبيِّ وَقِدْحٌ مـن أبي حَـسَـنٍ   وَمن حُسَيْنٍ جَرَى لـَمْ يَحـر حـَنَّاســَا [4]

والسماحة ، وصالح العمل ، وذلك كقوله :

أحَلـَّكَ اللهُ أعْلى كـُلِّ مَكـْرُمـَةٍ   وَاللهُ أعـْطـَاكَ أعْلى صَالح العـَمَلِ

سَهْلٌ مـَوَاردُهُ سَـمْـحٌ مـَوَاعِـدُهُ   مـُسَــوَّدٌ لِـكِرَامِ سـَادَةٍ حـُمـُـلِ [5]

ولعلـه تـأثر فـي ذلك بقـول الرسول الكـريم " رحـم الله امـرأ سـمحا ً إذا بـاع وإذا اشـترى وإذا اقتـضى "[6]، ومـن مدائحـه التـي تـضمنت معـاني إسـلاميَّة فـي العـصر العباسي قوله للخليفة المنصور عقب انتصاره على النفس الزَّكيَّة :

---

2) انضين : خرجن / ربرب : القطيع من بقر الوحش ، وقيل من الظباء(اللسان) / الديوان ص 69
3) الديوان ص 212
4) الديوان ص 177
5) الديوان ص 123
6) الديوان ص 181
1) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري "صحيح البخاري"، تحقيق مصطفى البقا،دار ابن كثير،بيروت ط3، 1407هـ -1997م ج2 ،ص730، حديث رقم 1970

غـَلـَبْتـَ عَلـى الخـَلافـَةِ مَـنْ تـَمَـنـَى   وَمَـنـَّـاهُ الـمُـضِـلَ بـِــهَـــا الـضَلـَـُولُ
فـَأهْـلـَك نـَفـسَـهُ سَـفـَهـاً وَجُـبْـنـَـاً   وَلـَـمْ يـَقـْـسَـم لـَــهُ مـــنـــهَـــا قـَــتِــيْـل
وَوَازِرَهُ ذوُو طـَمَـع ٍ فـَـكـَـــانـُـوا   غـُـثـَـاءَ الـسَّـيْـل يَجـِـمَـعُـهُ الـسّـيُـولُ
دَعَـوْا إبـلـيْـسَ إذ كـذبُـوا وَجَـارُوا   فـَـلـم يُـصْـرِخْـهُـمُ الـمُـغـوِ ِي الـخَـذُولُ
وَكـَانـُوا أهـْــــلَ طـَاعَـتِـهِ فـَوَلـَّـى   وَسَـــارَ وَرَاءَهُ مِـنـهُـم قـَـبِـيْـلُ [1]

فالشاعر يبين إن الثائر أغراه إبليس المضل الضلول على الخروج عن طاعة الخليفة ثم خذله بعد أن تورّط في الأمر ، واستجاب لوسوسته ، وهذه معاني إسلاميّة ، فالإسلام يبيَّن للإنسان إنَّ إبليس بعد حمل الإنسان على الخطأ يعود و يندمه كما يبين ذلك الله تعالى في كتابه العزيز " كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" [2]

2) الديوان ص 173
3) الآية 16 من سورة الحشر

الفصل الثالث

الـبـنــاء الــفـــــني

المبحث الأول: بناء القصيدة

المبحث الثاني: الموسيقا والأوزان

المبحث الثالث: الصورة الفنية

المبحث الأول

بناء القصيدة:

المقصود بـه شكل القصيدة والإطـار العـام لهـا مـن حيث وحـدة الموضـوع المقدمة ،والتخلص ،والخاتمة وقد وقـف النقاد طـويلا عند مطلـع القصيدة ، وعنـد الانتقال من فاتحتها إلي الغرض منها، ثم عند خاتمتها ، كما وقفوا عند الانتقال من بيت إلي بيت وعند الانتقال من شطر إلي الشطر الثاني ، بل عند الانتقال من كلمه في البيت إلي صاحبتها التي تجاورها [1]

ولعلَّ من يطَّلع علي بعض كتب النقـد القديم يجد مـا يشير إلـي إدراك النقاد لمعني وحدة الموضوع ، فابن طبا طبا يرى إنَّه سمـة من سمات الجودة في القصيدة إذ يقـول[2] : " وأحسن الشعر ما ينتظم فيه القول انتظاما ، يتسق به أوله مع أخره علـي مـا ينسقه قـائله ، بـل يجب أن تكـون القصيدة كلـَّها واحـدة فـي اشـتباه أولهـا بآخرهـا نـسجا وحـسنا وفـصاحة وجزالـة ألفـاظ ورقـة معـانٍ، وصـواب تـأليف ، ويكون خروج الشاعر من كلِّ معني يصنعه خروجاً لطيفاً ، حتَّـى تخـرج القصيدة كأنـَّها مفرغـه أفراغاً ، لا تنـاقض فـي معانيهـا ولا وهـن فـي مبانيهـا ولا تكلفـا فـي نسجها " ، فـظاهر كلام ابن طبـا طبـا يجعل الـمقـدمات التـي يجئ بهـا الشعراء، سواء أكانت طويلة أم قصيرة جزءاً أساسيا مـن أجـزاء القـصيدة ، وليست غرضـاً قائمـا بذاتـه، ومـا علـى الشعراء إلا مراعـاة الـصلة بـين أجـزاء القصيدة باعتباراتهـا المختلفة 0

وقـد كان العرب في جاهـليـتـهـم يطيلون قصائدهم ، ويضمنوها العديد مـن الأغراض ، وقد لاحظ النقاد إنّ القصيدة عند شـعراء الجاهليـة مقسَّمة إلـي أقسام ، وقد أوضح ابن قتيبـة هذا النظـام التقليدي للقصيدة العربيـة ، فهـي تبدأ بـذكر الـديار والدمن والآثار، ويشكو فيهـا الـشاعر، ويبكـي، ويخاطـب الربـع، ويستوقف الرفيـق؛ ليجعل ذلـك سـبباً لـذكر أهلهـا الظـاعنين عنهـا ، إذا كانـت نازلـة العمـد فـي الحلـول

1) أحمد أحمد بدوي" أسس النقد الأدبي عند العرب"، نهضة مصر للطباعة والنشر، بدون تاريخ، ص216
2) محمد أحمد بن طبا طبا العلوي "عيار الشعر" شرح وتحقيق عبد الساتر، مراجعة نعيم زر زور، دار الكتب بيروت ط1، 1982م، ص131

والظعن علـى خـلاف مـا عليـه نازلـة المدر لانتقـالهم من مـاء إلـي مـاء ، وانتجـاعهم الكلأ وتتبعهم مساقط الغيث حيث كـان ثـم وصـل ذلـك النسيب ، فيشكو شـدة الشوق وألـم الفـراق ، وفـرط الصبابة ؛ لـيمـيل نحـوه القـلوب ويـصرف إليـه الوجـود ، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه ؛ لأنَّ التشبيب قريب من النفوس لائطٌ بالقلوب ، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبَّة الغزل ، وإلف النساء ، ثم ينتقل بعد ذلك إلي مـا يستوجب بـه الحقوق ، فيصف رحلتـه فـي شعره ، ويشكو النصب والسهر وسرى الليل ، وهزال الراحلة والبعير وحر الهجير ، فإذا علم إنَّـه قد أوجب علـي صاحبه حق الرجاء ، وذمامة التأميل، وقرر عنده ما نالـه من المكاره فـي المـسير بـدأ في المديح ، فبعثه علي المكافأة ، وهزَّه للسماح وفضَّله على الأشباه [1] 0

فالشاعر المجيد عندهم، من يعدل بين هذه الأقسام من غير إطالة تبعث الملل إلي السامع، أو تقصير تود النفوس معه أن يطيل الشاعر[2]، هذا هو منهج القصيدة لمن أراد لشعره الذيوع وسط النقاد والرواة القدماء 0

وأمـا الـذين أرادوا التجديد والخـروج علـى هذه الأقسام التقليديـة فقد قوبلـوا بمعارضـة شـديدة من جانـب النقـاد والـرواة الـذين لـم يـسمحوا لـهم حتـى بإتبـاع هذه الأقسام إتباعاً حديثاً يفرضه التطوَّر الحضاريّ ، فابن قتيبة يقول : " ولـيس لمتـأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف علـي منـزل عـامر أو يبكي عند مشيد البنيان؛لأن المتقدمين وقفوا علي المنزل الداثر، والرسم العـافي ، أو يرحل علـي حمار أو بغل ويصفهما ؛لأن المتقدمين رحلـوا علـي الناقـة والبعيـر ، أو يرد علي المياه العذاب الجواري؛ لأن المتقدمين وردوا علـي الأرض الطـومي، أو يقطـع إلـي الممدوح منابت النـرجس والآسـي والـورد؛لأن المتقدمين جـروا علـي قطع منابت الشيح والحَنْوَة والعرارة 000" [3]

---

1) الشعر والشعراء ج1، ص 20-21
2) المصدر نفسه ص 21
1) الشعر والشعراء ص 22

ويبدو أن هؤلاء الرواة والنقاد قد أسرفوا علي الشعراء ؛لأنَّهم حينما قصَّدوا القصيد وضَّمنوا شعرهم تلك الإغراض التي أوضحها ابن قتيبة لم يكونوا يقصدون رسم منهج معين للقصيدة العربية ليسير عليه الشعراء إلى الأبد، وإنما كانوا يقصدون هذه الأغراض لذاتها بعد أن أملتها عليهم فطرتهم التي فطروا عليها، وقد كان النقاد متعصبين للقديم حني بلغ بهم هذا التعصب إلى أنَّهم لم يفضَّلوا الشعر الجاهلي لأسباب فنيَّه من صدق الإحساس والجودة في العبارة أو حسن التشبيه إنَّما مجرد سبقه فيقول أبو عمرو بن العلاء[1] :" لقد كثر هذا المحدث حني هممت بروايته" ، وكان ابن الإعرابي يقول : عن شعر المحدثين " إن كان هذا شعراً فما قالته العرب باطل " [2]، وهذا منتهي التعسف حتى إن ناقداً كابن قتيبة أخذ عليهم ذلك ووقف ضد هم في هذه النقطة برغم ميله للقديم ، فقد ثار علي استحسانهم للقديم لقدمه واستهجانهم للحديث لحداثته ، وكان يقول : " لم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختار له سبيل من قلَّد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منه بعين الجلالة لتقدمه وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل ، علي الفريقين وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه ، فإنِّي رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره، ويُرذِل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلاّ أنَّه قيل في زمانه ، أو أنه رأى قائله ، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة علي زمن دون زمن ولا خصَّ به قوم دون قوم بل جعل الله ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كلِّ دهر ، وجعل كلِّ قديما حديثاً في عصره وكل شرفٍ خارجيٍ في أوله فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدَّون محدثين 000 ثم صار هؤلاء قدماء عندما بعد العهد منهم 000 فكلُّ من أتي بحسن

---

2) نفس المصدر ص 11

3) الموشح ص304

من قول أو فعل ذكرناه له واثنينا به عليه للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه " [1] 0

وبعد هذه المقدمة التي قد تطول أو تقصر ينتقل الشاعر إلي الغرض الذي من أجله أنشأ القصيدة ويسمي بعض النقاد ذلك بالخروج وهو إن تخرج من النسيب إلي المدح أو غيره بلطف [2] ، ومنهم من سمّاه تخلصاً فابن خفاجة يقول[3] : " من صحة النسق والنصب أن يستمر الشاعر في معني واحد فإذا أراد أن يستأنف معني آخر أحسن التخلص إليه حتى يكون متعلقاً بالأول وغير منقطعٍ عنه " وقد استحسن التخلص ؛لأنه لا يجعلنا نشعر بانقطاع الكلام المسترسل ، وهو عنصر من عناصر وحدة القصيدة 0

وإذا لم يكن التخلص متصلاً عمَّا قبله ، بل انتقل الشاعر من معني إلي آخر من غير تعلق بينهم سمَّي اقتضاباً ، وطفراً، وانقطاعاً ، إذ كأن الشاعر استهلَّ كلاماً آخر [4] ومن قبيل حسن التخلص ما سمُّوه بالاستطراد ، وهو أن يأخذ المتكلم في معني فبينما يمرّ فيه يأخذ معني آخر[5] مثل قول حسان :

إنْ كُنْتِ كَاذِبَة الذي حَدّثْتِنِي   فَنَجَوْتِ مَنْجَي الحارثِ بن هشامِ
تَرَكَ الأحِبَّة أنْ يُقَاتِلَ دَونَهم   وَنَجا برأس طِمرَّةٍ ولجَـــــامِ [6]

وذلك إنّ الحارث بن هشام فرَّ يوم بدر عن أخيه أبي جهل0

ولابد للقصيدة من خاتمه حتى يكتمل شكلها، وهي لا تقل أهميه عن المقدمة، ويسمَّي القرطاجني الخاتمة بالتحجيل تشبيها لها بتحجيل الفرس حيث يقول: " إذا ذيلت أواخر الفصول بالأبيات الحكميَّة والاستدلاليَّة اتضحت شيات المعاني التي بهذه الصفة علي أعقابها، فكان ذلك بمنزله التحجيل، وزادت الفصول بذلك حسناً

---

1) الشعر والشعراء ، ص 10، 11
2) العمدة ج1 ص372
3) ابن سنان الخفاجي "سر الفصاحة"مطبعة محمد على هجو وأولاده القاهرة، 1996م بدون ط ، ص 259
4) العمدة ص157؛ خزانة الأدب ص 186
5) الصناعتين ص382
6) الطمرة : الفرس الشديد العدو / الأغاني 4/ 174

ووقعت في النفوس أحسن موقع " [1] ولذا يستحسن أن يكون الكلام بأحسن خاتمه ويقول ابن أبي الإصبع[2] : " يجب علي الشاعر والناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمه فإنَّها أخر ما يبقي في الأسماع ولأنَّها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال فيجب أن يجتهد في رشاقتها، ونضجها، وحلاوتها، وجزالتها " 0

والبلغاء يعنون بأن ينتهي كلامهم بالمعني البديع واللفظ الحسن الرشيق[3] ولذلك قيل أنه ينبغي أن يكون أخر بيت في القصيدة أجود بيت فيها، وأدخل في المعني الذي قصد إليه في نظمها [4]، ولا يختم الشاعر قصيدته مقطوعة تتعلق بها النفس وتكون راغبة فيها ، وتنتظر أن يكون للكلام بقية ، وله صلة ومن أمثلة المقاطع الجيدة قول ابن الزبعرى : يعتذر للنبي صلي الله عليه وسلم

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت   واقبل تضرع مستضيفٍ تائب

فجعل نفسه مستضيفا ومن حق المستضيف أن يضاف وإن أضيف فمن حقه أن يصان، وذكر تضرعه، وتوبته مما سلف ، فجعل العفو مع هذه الأحوال فضيلة ، فجمع في هذا البيت جميع ما يحتاج إليه في طلب العفو [5]

وبعد هذه المقدمة عن الشكل العام للقصيدة من حيث المقدمة، والتخلص، والخاتمة،وبالنظر إلي شعر ابن هرمه يبدو أنَّه سار علي نهج الأقدمين حيناً وخالفهم حيناً آخر، فقد ثار بعض الشعراء ولاسيَّما المولَّدين أمثال : أبو نواس ، وسلم الخاسر، وأشجع السلمي علي منهج القصيدة التقليدي ؛ ومن مظاهر هذه الثورة تلك المقطوعات اللطيفة التي نظمها الشعراء والمغنون والمغنيات في ذلك

---

1) حازم القرطاجني"منهاج البلغاء وسراج الأدباء "، تحقيق محمد الحبيب ،ط3، دار العرب الإسلامي بيروت 1986م ، ص 300

2) أبو محمد زكي الدين عبد العظيم عبد الواحد ابن ظافر المعروف بأبي الإصبع" تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وإعجاز القرآن"، تحقيق حنفي محمد شرف ، مطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة بدون تاريخ ج2، ص616

3) الصناعتين ص427

4) نفسه 429

5) نفسه 429

العصر وقد أورد أبو الفرج الكثير منها في أغانيه ، ولابن هرمة حظٌ لا باس به إذ ذكر له أبو الفرج بعض الأصوات 0

أمَّا المظهر الثاني فهو الثورة على مقدمات القصائد بسبب طولها والمطالبة بتقصيرها ولقد لقيت هذه الثورة تشجيعاً كبيراً حتى من الخلفاء أنفسهم ، ووجدت ميلا من الشعراء أيضا ، ولقد استجاب ابن هرمة لذلك النداء خصوصا في العصر العباسي ، ومن ذلك موقفه مع الخليفة المنصور حينما وفد إليه الشاعر مع ثلاثمائة من الشعراء ، ووقف الجميع بباب الخليفة فخرج إليهم الربيع حاجب المنصور فقال لهم إنّ الخليفة يقول :" من مدحنا فاقتصر أجزناه ومن أفرط وتجاوز عاقبناه وأنّ الجائزة ألف والعقوبة ألف فلما سمع الشعراء ذلك انصرفوا إلاّ ابن هرمة فإنَّه لم يبرح ودخل علي الخليفة وأنشده قصيدته التي قدم لها ببيتين فقط قـــــــــائلا:

سَرىَ ثَوْبَهُ عَنكَ الصِّبَا المُتَخَأيلُ   وَوَدَّعَ لِلبَيْنِ الخَلِيْطُ المُزَا يِلُ
عَفَا النَّعْفُ مِن أسْمَاءَ نَعْفُ رَوَاوَةٍ   فَرِيمٌ فَهَضْبُ المُنْتَضي فَالسَّلائِلُ[1]

ثم استأنف المدح فلم يتجاوز أبياته أربعه عشر بيتاً ، ولذلك أجازه الخليفة وأمر له بعشره ألاف درهم [2] ، ولعلَّ هذه القصيدة أطول قصائده في المنصور ، فمعظم قصائده الأخرى لم يقدّم لها أو لم يطل فيها كقوله :

إذَا قِيْلَ أيُّ فَتيً تَعْلَمُونَ   أهشَّ إلي الضَرْبِ بالذَّابِلِ
وَأضْرَبَ لِلْقِرنِ يَومَ الوَغى   وَأطْعَمَ في الزَّمَنِ المَاحِلِ
أ شَارَت إليْكَ أكُفُّ الأنَامِ   إشَارَةَ غَرْقي إلي سَاحِلِ[3]

أمَّا قصائده الأمويَّة فهي طويلة إلي حد ما ولكن لا يبلغ طولها المعلقات ، ومعظمها تبدأ بمقدمات غزلية مثل قصيدته التي يمدح بها عبد الواحد فقد قدم لها يقول:

1) كل المواضع التي ذكرها من نواحي المدينة / انظر الديوان ص 169
2) تاريخ بغداد ج6 ص127
3) الديوان ص 195

صَرَمْتَ حَبَائلاً من حُبِّ سَلْمى لِـهِـنْدٍ مَا عَمَــدْت لِمُسْتَـرَاحِ
فَإنـَّكَ إن تَقِمْ لاَ تَلْـقَ هِنْـداً وإنْ تَـرْحَلْ فَقَلْـبُكَ غَيرُ صَاحي
يَظَلُّ نَهَارَهُ يَهْذِي بِـهِـنْدٍ وَيَأرقُ لـيلَه حَـتَّى الـصَّبَـاحِ[1]

ثم يدخل في موضوع المدح وتبلغ القصيدة ستة عشر بيتاً 0

وفي قصيدة أخرى يمدح بها إبراهيم بن عبد الله بن مطيع بدأها بمقدمه لطيفه لا تعدو الثلاثة أبيات فيقول :

أرَّقتنِي تَلُومُني أمُّ بَكْرٍ بَعدَ هَدءٍ و اللَّومُ قَد يُؤذِيني
حَذَّرَتْني الزَّمَانَ ثُمَّتَ قَالَتْ لَيسَ هَذَا الزَّمَانُ بالمَأمُونِ
قُلتُ لمَّا هَبَّت تُحَذِّرُني الدَّهْـ ـرَ دَعي اللَّومَ عَنكِ وَاستَبقِيني
إنَّ ذَا الجُودِ وَالمَكَارِمِ إبرَا هيمَ يَعنيهِ كُلَّ مَا يَعنِيني [2]

ويستمر في المدح إلي أن تبلغ القصيدة بالمقدمة ثمانية أبيات 0

ومن مظاهر التجديد التي كان لها أكبر الأثر في إثارة الخصومة بين القدماء والمحدثين ، وهذا المظهر يتعلق بموضوع هذه المقدمات ، فقد اعترض بعض المحدثين علي افتتاح القصائد بذكر الأطلال ووصفها والبكاء عليها كما كان يفعل معظم شعراء الجاهليَّة ، ويوضح الدكتور هدَّارة أثر هؤلاء المولَّدين في إشعال هذه الثورة إذ إنهم كانوا يمثلون الغالبية العظمي لشعراء هذا العصر وكان معظمهم لا تربطهم بالبيئة العربية أي روابط عاطفية [3] فانصرف جماعه منهم ينددون بهذه المقدمات ليصوغوا محلَّها ما يناسب روح العصر الجديد ووجدت هذه الدعوة هوى في نفوس الشعراء فأخذوا يفتتحون قصائدهم بالغزل أو وصف الخمر أو التعبير عن مشاعرهم بالصورة التي تعجبهم وظهر هذا التجديد واضحا عند كثير من شعراء هذا العصر 0

---

1) الديوان ص 85
2) الديوان ص 238
3) اتجاهات الشعر، ص148 وما بعدها

وبالنظر إلي شعر ابن هرمة تجده لم يلتزم بديباجه معينه يبدأ بها قـصـائده ، وكذلك لم يتخلص من بكاء الأطلال مـنـقـاداً مع تيار المجددين ، وإنَّما بدأ بعضها بمقدمات تكشف عن مشاعر وأحاسيس كان يعانيها الشاعر كما بدأ بعضها تقليدياً ، ولكنه كان يختصر المقدمات تماشيا مع روح العصر ، ومحاباة للنقاد 0

أما مقدمات مدائحه في العصر الأموي نجده يفتتحها بوصف الأطلال علي عادة القدماء مثل مقدمة قصيدته التي يقول فيها :

يَا دَارَ سُعدَى بالجِـزْعِ مِـنْ مَـلَـلِ حُيِّيتِ مِن دِمْنَـةٍ وَمن طَـلَـلِ [1]

وقصيدته التي يقول فيها :

أرَسْمُ سَوْدَةَ مَحْلٌ دَارِسُ الطَّـلَـلِ مُعَطَّـلٌ رَدّهُ الأحْوَالُ كَالحلَـلِ [2]

وكذالك قـــوله :

قِفَا سَاعَةً واسْتَنْطِقَا الرَّسْمَ يَنْطقِ بسُوقَـةَ أهْوى أوْ بيُرْقَـةِ عَـوْهَـقَ
تَمَاشَتْ عَلَيْهِ الرِّيْحُ حَتَى كَأنَّـهُ عَصَائِبُ مَلبُوسٍ مَنَ العَصْبِ مُخْلِقِ[3]

هنا يستوقف الرفيق على عادة الجاهلين ؛ ليستنطق الرسم الذي أبلته الريح حتى اندثر ، تم يتطرق لذكر سلمى فيقول :

فإلاَّ تُواتِ اليومَ سَلْمَى فَرُبَّمَـا شَرِبْنَا بحَوْضِ اللَّـهْـوِ غَيرِ المُرَنَّـقِ
فَدَعْـها فَقَد أعذَرْتَ في ذِكرِ وَصلِهَا وَأجرَيْتَ فِيهَا شَأو غَـرْبِ وَمَشْـرقِ

يقول إذا لم يسعده الحظ برؤية سلمى فأنَّ قلبه لن يعرف اللهو الصافي الذي كان ينتظره منها وما يلبث أن يخرج من هذا الغزل ويعتذر عن ذكرها ويدخل في المدح فيقـــــول :

وَلَكنْ لِعَبدِ اللهِ فانْطِقْ بِمَدْحَـةٍ تُجيرُكَ مِن عُسرِ الزَّمَانِ المُطَبَّقِ [4]

---

1) الديوان ص 182
2) الديوان ص 179
3) الديوان ص 155
4) الديوان ص 159

ويستأنف المدح وتبلغ المدحة عشرة أبيات ، ثم يختم قصيدته يذْكر فيها الممدوح وأبـائه قــائلا ً:

فـَمَنْ مثلُ عـَبَدِ اللهِ أوْ مَثَلَ جَعفَـرٍ   وَمثـْلُ أبيْكَ الأريَحيَّ الـمُـرَهـَّقِ[1]

وأحيانا يخرج عن هذا القيد الذي فرضه عليه المتعصبون للقديم ، ويبدأ مدحته بالتعبير عمَّا يخالج نفسه من مشاعر فيقول :

عَاتِبِ الـنَّفسَ وَالفـُؤَادَ الغـَويَّا   في طِلابِ الـصّبَـا فـَلَسْتَ صبـَيَّا

يتجه ابن هرمة إلى معاتبة نفسه الميَّالة إلى اللهو وفؤاده التَّواق إلى الغوا يا بعد أن ولى عهد الصبا ووجب عليه أن ينزجر ، ويدخل في موضوع المدحة قائلا :

أُحْبُ مَدْحاً أبَا مُعَاويةَ المَـا   جِـدَ لاَ تلقـَهُ حَـصُوراً عَـيِـيَّـا

بَلْ كـَريْماً يَرتَاحُ للمَجْدِ بَسَّـا   ماً إذ ا هـَزَّهُ الـسُؤَالُ حَـيِيَّـا[2]

ويصل مدحه إلي خمسة عشرة بيتاً 0

إما مدائحه في عبد الواحد بن سليمان فقد كانت تقليديَّة بدأها بالنسيب ، وكان أحيانا يطيل في هذه المقدمة الغزلية كما في قــــوله :

أجَارَتـَنَا بـذِي نـَفَرٍ أقِـيْمِي   فَمَا أبكي عَلى الدَّهْرَ الـدَّميمِ

أقـَيْمِي وَجْهَ عَامكِ ثُمَّ سِيْري   بَلاَ واهي الجِوَارِ وَلا مُـليمِ

فـَكَمْ بَيْنَ الأقَارِعِ فَالمُـنَـقـَّى   إلى أُحُدٍ إلى أكْـنَافِ رَيـْمِ

إلىَ الـجَمَّاءَ مِن خَـدٍ أسيْلٍ   نَقيَّ اللـَّونِ لَيْسَ بذِي كُلومِ

وَمِنْ عَيْنٍ مُكَحَّلَـةِ الأمَـاقِي   بِلا كحْلٍ وَمِن كَشْحٍ هَضِيمِ[3]

فهو يطلب من جارته أن تقيم عامها في هذا الموضع الذي ذكره ثم ترحل معَّززه مكرمه ، ثم يتذكر جمال نساء هذه المواضع التي ذكرها ، فكم كان بها من خد أسيل ناعم ولون نقي، وعيون مكحله دون كحل وخصر دقيق ، وكلَّ هذا النسيب قد أرق

1) الديوان ص 160
2) الديوان ص244
3) الديوان ص 221

الشاعر ويستمر حتى يبلغ في غزله أحد عشر بيتا ، ثم يعبر عن نفسه بزفرات حارة سببها شيبه الذي غطّي رأسه مبكراً ، ودليلنا علي ذلك إنّ عمره في عهد الدولة الأمويَّة لم يتجاوز الأربعين عاماً حيث يقــول :

رأيتُ الـشَّيْبَ قَدْ نَـزَلَـتْ عَلينَا   رَوَائِـعُـهُ بـحُـجَّــةِ مُسْتَقِيـمِ

إذَ ا نَـاكَـرتَـهُ نَـاكَــرَتَ منْـهُ   خُصُوْمَـة َلا ألَـدَّ وَلا ظَـلُـومِ

وَودَّعَنـي الـشَّبَابُ فَصرتُ منهُ   كَـرَاضٍ بالصَّغيْرِ مِن العَظيْمِ

فقد حلَّ الشيب برأسه وهذا يدفعه للاستقامة فان الشيب ينذر بقرب النهاية ، فقد ودَّع حياة الشباب فأصبح راضياً بالقليل من هذه الدنيا ، ثم يتخلص من هذه المقدمة الطويلة إلي المدح فيقول :

فَدعْ مَا لاَ يَرُدُّ عَـلَـيْكَ شَيْئاً   مِنِ الجَارَاتِ أوْ دمَـن الرّسُـومِ

وَقُلْ قَـولاً تُطَبّقُ مِفْصَلَـيْهِ   بَمدحَهِ صَاحبِ الرَّأي الصَّرومِ

لعَبدِ الواحـدِ الفَـلْجِ المُعَلَّى   عَـلا خُلُقَ النَّفُورةِ وَالـخُصُومِ

دَعَتْه المَكرُمَـاتُ فَنَاولَـتْهُ   خِطَـامَ المَجْدِ في سِنَّ القَطيْمِ(1)

فيترك الدمن والجارات التي لا تنفع بعد كبر سنه ، يلتفت إلي المديح ويقول قولاً يأتي فيه بالمعاني الجيَّدة ، ويمدح صاحب الرأي السديد ويدخل في المدح ويقتصد فيه، ويقول في قصيدة أخرى :

أجارتَنا رَوِّحي نَغْـمةً   علي هائم النفس مُهتاجِها

ولاَ خيرَ في وُدِّ مُستَكرهِ   وَلاَ حاجةٍ دون إنضاجها

فإنَّه بدأها بمخاطبة جارته وطلب منها أن تروِّح عنه بنغمه حلوه حتى ينسي ما هو فيه من لوا عج العشق والحبُّ ؛ لأنَّه ملَّ من حبٍّ من لا يحبَّه ، ويبدو إنّ الوقت لم يحن بعد لإنضاج هذا الحبَّ من جهة محبوبته ، ثم يترك ذلك ليصف ناقته في رحلتها إلي الممدوح فيقول :

---

1) الديوان ص 222

كــأن قِــتودي عَلى خـاضبٍ زَفُوفِ العَشِيّات هَداجِها[1]

ونـــــــــاجيةٍ صادقٍ وخـذها رمـيت بهــا جد إزعـاجـها

وكـلـفـتهـا طامسـات الصَّوى بـتـهـجيرها ثم ادلالـجــهـــا[2]

ثم يستأنف المدح بعد أن أظهر لممدوحة ما أصابها من تعب في رحلتها وسيرها ليلاً ونهاراً حتى يصل إليه ؛ لينال عطاءه عادة شعراء المديح0

ويقـول في قصيدته التي قدمنا إليها سابقا[3] :

صَرَمْتَ حَبَائلاً من حُبِّ سَلْمى لِهِنْدٍ مَا عَـمَدْت لِـمُسْتَرَاحِ[4]

حيث قدَّم لها بثلاثة أبيات ، ثم يدخل في موضوع المدح مباشرة فيطيل هذه المرَّة إلـى أن يصل بالمدح ستة عشر بيتاً ، ويبدو أنَّ ابن هرمة قد أطال المدحة لأنَّ الموقف يتطلب ذلك ، فقد كان عبد الواحد غاضباً عليه؛ لانقطاع مدحه عنه مدة عزله عن الإمارة ، وهنا يحاول استرضاء الأمير بعد أن أعيَّد إلي ولايته ؛ ويكسب ودَّه وقد ضمن المدحة اعتذاراً لـه وفخراً بشعره ، ويقول : أبو الفرج عن هذه القصيدة إنـَّها من فاخر شعره [5] 0

ويبدو إنَّ ابن هرمة قد بدأ معظم مدائحه الأمويَّة بذكر الأطلال تقليداً للنقاد ، وبالغزل استرضاءً للذوق العام ، وافتتح القليل منها بالتنفيس عن نفسه ومشاعره ، وابن هرمة في غزله لم يفحش ولم يبدأ بالغزل بالمذكر كما كان يفعل شعراء عصره ولم يبدأ بوصف ماجن للخمر بالرغم مما عرف عنه من حبِّه للخمـــر0

أمَّا مدائحه العباسيَّة نجده يبدأ بذكر الأطلال علي نهج القصيدة العربية ، ولعلـَّه في ذلك كان خاضعا لطلب ممدوحيه ؛ فقد كان الناس علي فريقين ، فريق ساير المحدثين في تجديدهم وتشجيعهم فيما يدعون إليه ، وفريق ساير النقاد والرواة

---

1) القتود : خشب الرحل ، وقيل من أدوات الرحل / الخاضب : ذكر النعام / الزفوف : سرعة المشي ، وقيل هو أول عدو النعام (اللسان 136/9) / الهداج :الذي في مشيه أو سعيه ارتعاش
2) الأغاني ج6 /ص 119
3) ص 108 من هذا البحث
4) الديوان ص 85
5) الأغاني ج2 ص104

في مذهبهم ، ويبدو أنّ السَّريّ بن عبد الله كان من أنصار الفريق الثاني ، فمدائحه فيه تسير علي نهج الجاهليين حيث يقول فيه :

عَوْجَا عَلى رَبْعِ لَيْلي أمِّ مَحْمُودِ   كَيْمَا نُسَائِله مِن دُوْنِ عَبوَّدِ [1]

عَنْ أمِّ مَحْمُوْد إذْ شَطَّ المَزَارُ بِهَا   لَعَلَّ ذَلِكَ يشْفِي دَاءَ مَعْمُودِ [2]

فَعَرَّجَا بَعدَ تَغْوِيرٍ وَقَدْ وَقَفَتْ   شَمْسُ النَّهَارِ وَلاَذَ الظِّلُّ بالعُودِ [3]

شيئاً فَمَا رَجَعَتْ أطلالُ مَنْزِلَةٍ   قفْرٍ جَوَاباً لمَحْزُونِ الجَوَى مُودِي [4]

ثم يتخلص من هذه المقدمة إلي المديح فيقول :

ذَاكَ السَّرِيُّ الذي لَوْلاَ تَدَفُّقُهُ   بالعُرْفِ مَات حَلِيف المَجْدِ والجُودِ

مَنْ يَعْتَمِدْكَ ابنَ عَبدِ اللهِ مُجْتَدِيَاً   لِسَيْبِ عَرْفِكَ يَعْمَدْ خَيْرَ مَعْمُودِ [5]

ويستمر في المدح حتى يبلغ ثمانية أبيات ثم يختم قصيدته قائلاً:

لَوْلاَ رَجَاؤُكَ لَمْ تَعسِفْ بنَا قُلُصٌ   أجْوَازَ مَهْمَهَةٍ قَفْرِ الصَوى بِيْدِ

لَكِنْ دعَانِي وَمِيْضٌ لاحَ مُعْتَرِضاً   مِن نَحْوِ أرْضِكَ في دُهْمٍ مَنَاضِيْدِ [6]

وقد تحمل عناء السفر للممدوح ، وقطع المهمة القفر حنى يصل إليه وقد دعاه إلى ذلك أمله في عطائه 0

وفي مدحه أخرى للسَّريّ يقـــول فيها :

أفي طَلَلٍ قَفْرٍ تَحَمَّلَ آهِلُهُ   وَقَفْتَ وَماءُ العَيْنِ يَنْهَلُّ هَامِلُهْ [7]

تُسائِلُ عَنْ سَلْمى سَفَاهاً وَقَد نَأتْ   بَسَلْمى نَوّى شَحْطٌ فَكَيْفَ تُسَائِلُهْ

وتَرْجُو وَلَمْ يَنْطِقْ وَلَيْسَ بنَاطِقٍ   جَوَاباً مُحِيلٌ قد تَحَمَّل آهِلُهْ [8]

---

1) عبود جبل بين المدين والسيَّالة (ياقوت)
2) شطّ : بعد ، المعمود : سقيم الهوى والعشق
3)تغوير : يقال غوري الشمس أي غربت وغور النهار : زالت شمسه
4) المودي : الهالك
5) الديوان ص 101-102
6) الديوان ص 103
7) هامله : فيضه ، يقال : هملت العين : سالت وفاضت
8) المحيل : الذي أتت عليه أحوال فغيرته

ونـَؤْيٌ كَخَطِّ النُّون مَا إنْ تَبيِّنُه   عـَفـَتْهُ دُيُولٌ مِن شَمَالٍ تُذَايلـُهْ [1]

فقد وقف علي الطلل البالي يبكيه بعد أن رحل عنه ساكنوه، وقف يزرف الدمع ويسأل عن سلمي سفاهاً بعد أن بعدت ، وهو يعلم إنّ الأطلال التي رحل عنها ساكنوها، ولم يبق من أثارها غير نؤي كخط النون عفته الرياح وذهبت به فلم يبين، وهو في هذه المقدمة يصف الأطلال علي عادة الأقدمين يلتزم بنهجهم في الوقوف عليها واستنطاقها وبكائها والشكوى إليها 0

أمَّا قصيدته في مدح المنصور فقد بدأها بوصف الأطلال، ولكنه لم يطل فيها بل اقتصر إلي حد كبير فقد بدأها بهذين البيتين:

سَرىَ ثـَوْبـَهُ عـَنكَ الصِّبَا الـمُـتَخَـأيلُ   وَوَدَّعَ لـلـبَـيْـنِ الـخـَلـيْطُ الـمُزَا يـــلُ

عـَفَا الـنَّـعْفُ مِن أسْمَاءَ نَعْفُ رَوَاوَةٍ   فـَريمٌ فـَهَـضْبُ المُـنـْتـَضي فـَالـسَّلائِلُ[2]

والقصر هنا أنسب لابن هرمة لأنَّه علاقته بالمنصور لم توطدت بعد،ولعلـَّه لو أطال لجعل الخليفة يشعر بالملل فيعرض عن المدح0

ومدحه في قصيده أخرى استهلها :

ألا إنَّ سَلْمى اليوْمَ جَدَّتْ قُوى الحَبْلِ   وَأرْضَتْ بنَا الأعْدَاءَ مِن غـَيرِ مَا دَخْلِ

كـَأنْ لـَمْ تـُجَـاوِرْنـَا بأكـْنـَافِ مـَتْعـَرٍ   وَأخْرَمَ أوْ خـيفِ الحُمَيْرَاءِ ذي الـنَخْلِ

فـَإنْ نـَبْكِـهَـا يـَومـاً نـَبـْكِ بـَعـَوْلـَةٍ   عـَلى لـُطـُفٍ في جـَنـبِ سَـلْمى وَلاَ بَذْ لِ

وقد تقدمت به السن واشتعل رأسه شيبا فيذكر ذلك قائلا:

سَوى أنْ رَأيْنَ الشَّيْـبَ أبيضَ واضِحاً   كـَأنَّ الّذي بي لـَمْ يَنَلْ أحَداً قـَبـْلـِي[3]

ويدخل في المدح ، ولم يطل المدح هذه المرة 0

ويبدو إنّ ابن هرمة لم يساير شعراء عصره في نبذ الأطلال ، وإنما استجاب لدعوة التجديد ومسايرة روح العصر التي أثيرت0

---

1) نؤي : مجرى يحفر حول الخيمة أو الخباء يقيها السيل ، الذيول: جمع ذيل وهو ما تتركه الريح من الرمل كأثر ذيل مجرور ، تذايله : تجر علية ذيولها وتخفي أثره (اللسان) / الديوان ص 174
2) كل المواضع التي ذكرها من نواحي المدينة / انظر الديوان ص 169
3) الديوان ص 188

كما ثار المحدثون علي المقدمات كذلك ثاروا علي طريقه الخروج من هذه المقدمات إلي المدح ، وحسن التخلص هذا مما عنيّ به المتأخرون دون العرب ومن جرى مجراهم من المخضرمين ، وكانت العرب تقول عند فراغها من نعت الإبل وذكر القفار وما هم بسبيله " دع ذا وعد عن ذا " ويأخذون فيما يريدون ، أو يأتون بأنَّ مشدده ابتداء للكلام الذي يقصدون(1) ومع ذلك لم يفتهم حسن التخلص وذلك كقـــــول زهير بن أبي سلمى :

إنَّ البخيل ملوم حيث كان   ولكن الكريم -علي علاته - هرم(2)

وقد استقبح المحدثون هذا الخروج والذي يسمَّيه الآمدى(3) بالخروج المنقطع لأنَّ الشاعر ينقطع بذلك عن المقدمة ليدلف إلي المدح ، وفضَّل المحدثون الانتقال بدون اى رابط واه مثل دع ذا ، وعد عن ذا0

وإذا تتبعنا مدائح ابن هرمة وجدنا القليل منها يسير على طريقة المحدثين في هذا الخروج فمثلا يصل النسيب بالمدح عن طريق وصف الناقته، وفي إحدى مدائحه في عبد الواحد يقول :

وكلفتها طامسات الهوى   بتهجيرها ثم ادلاجها
إلي مَلكٍ لا إلي سُوقه   كسَتْه الملوك دُرًا تاجها
تَحُلّ الوفود بأبوابه   فَتَلْقى الغِنى قَبْل إرتجاجها
بقَرّاع أبواب دور الملو   كِ عندَ التحية وَلاَجها(4)

ويستأنف المدح، ويقول في قصيده أخرى :

سَرىَ ثَوْبَهُ عَنكَ الصِّبَا المُتَخَأيلُ   وَوَدَّعَ للبَيْن الخَليْطُ المُزَا يلُ

---

1) العمدة 1: 159
2) أسس النقد الأدبي عند العرب ص 309 ديوان زهير ص
3) الموازنة ج 2 ص
4) الأغاني ج6/ ص0 12

عـَفَا الـنـَّعـْفُ مِن أسْمَاءَ نَعـْفُ رَوَاوَةٍ   فـَرِيمٌ فـَهَـضْبُ المُنْتـَضي فـَالـسَّلائِلُ[1]

إليكَ أمــيرَ المُؤْمـنــيـنَ تَجَـــاوَزَتْ   بـنَــا بِـيْـدَ أجْـوَازِ الفـَلاةِ الرَوَاحِـلُ[2]

ويستمر في المدح ، وهذا الخروج عند ابن هرمة قليل جداً لأنَّه كان يفضَّل الخروج المنقطع علي عادة الجاهليين و الإسلاميين فيقول في قصيده يمدح بها عبد الله بن معاوية :

فإلاَّ تُـواتِ اليومَ سَلـْمَى فـَرُبـَّمَـــــا   شَرِبْـنَـا بحَوْضِ اللـَّـهْـو غـَيرِ المُرَ نـَّـقِ

فـَدعْـها فـَقـَد أعذَرْتَ في ذِكرِ وَصلِهَا   وَأجرَيْـتَ فِيهَا شَـأو غـَـرْبِ وَمَـشْــرقِ

وَلَـكنْ لِـعَبدِ اللهِ فـانْـطِقْ بِـمَـدْحـَـةٍ   تـُجـيرُكَ مِـن عـُسرِ الزَّمَانِ المُطـَبَّقِ[3]

ويستمر في المدح

ويقول في قصيدة يمدح بها السّري :

*عوجا تحي الطلول بالكثيب *

دَعْ عـَنْـكَ سَلـْمَـى وَقـُـلْ مُـحَـبَّرَةً   لِمَاجِدِ الجَدِّ طـَيِّبِ الـنـَّسَـبِ[4]

ويمدحه بقصيده أخري قائلا :

شيئاً فَمَا رَجَعَتْ أطلالُ مَنْـزِلـَةٍ   قفـْرٍ جَوَاباً لمَحْزُونِ الجَوَى مُودِي

ذَاكَ السَّـرِيُّ الذي لَـوْلا تـَدَفـُّقـُهُ   بالعـُرْفِ مَات حَليف المَجْـدِ والجُـودِ[5]

ويستمر في المدح بعد تذكر ليلي وربعها 0

ويقول في قصيدة يمدح بها عبد الواحد بعد مقدمة غزلية طويلة

فـَدعْ مَا لاَ يَرُدُّ عـَلـَيْـكَ شَيْـئاً   مِن الجَارَاتِ أوْ دمَـنِ الرّسُـومِ

وَقـُلْ قـَولاً تُطـَبـّقُ مِـفْـصَلـَيْـهِ   بَمدحَهِ صَاحبِ الرَّأيِ الصَّرُوم[6]

---

1) كل المواضع التي ذكرها من نواحي المدينة

2) الديوان ص169

3) الديوان ص 159

4) الديوان ص68

5) الديوان ص101

6) تطبق مفصليه : تصيب فيه الحجة ، واصله إصابة المفصل وهو طبق العظمتين أي ملتقاهما فيفصل بينهما / الصروم : القاطع

ويختم قصيدته بقوله

دَعَتْه المَكْرُمَاتُ فَنَاوَلَتْهُ   خِطَامَ المَجْدِ في سِنَّ الفَطِيْمِ [(1)]

فهذا البيت يوحي للسامع بانتهاء الكلام وهو من جيَّد الخواتم عنده0

وهكذا في معظم مدائحه تشبها بشعراء الجاهلية ، ولعلَّ هذا ما دفع الرواة للاحتجاج بشعره مع إنَّه من طبقة المحدثين فابن الأعرابي كان يعيب شعر المحدثين فيقول : "إن كان هذا شعرا فما قالته العرب باطل" [(2)]

وهكذا رأينا مدي مسايرة ابن هرمة لحركة التجديد في بناء القصيدة ورأينا كيف غلب عليه التقليد في بناء قصائده ولكن هل كان هذا البناء محكماً ؟ و أكانت أجزاء القصيدة الواحدة وأغراضها المتباينة متماسكة يأخذ بعضها بتلابيب بعض أم ظهر عليها التفكك نتيجة لعدم وجود الوحدة العضوية ؟0

وهل توفرت في قصائد ابن هرمة عوامل الالتحام المكونة للوحدة العضويَّة التي ينبغي أن تتوفر في الخلق الغنى أيَّا كان نوعه ؟

ناقش نقاد العرب إمكانية وجود هذه الوحدة في الشعر العربي خصوصا بعد أن شاع القول : " بأن أقبح عيب يمكن أن تؤخذ به القصيدة العربيَّة في الشعر القديم خاصة هو إنَّها ليست ملتئمة الأجزاء وإنَّما تأتيها الوحدة من القافية ومن الوزن"[(3)]

وقد عزَّ على البعض أن تبلغ القصيدة العربيَّة هذا المستوي الرفيع من الصياغة الشعريَّة والصنعة الفنيَّة ثم لا تتحقق فيها الوحدة العضويَّة 0 فالدكتور طه حسين يرى إنّ القصيدة العربيَّة حققت وحدة عضويَّة كاملة، وإنَّ تفكك القصيدة العربيَّة واقتصار وحدتها على الوزن والقافية دون المعنى أسطورة من الأساطير التي أنشأها الافتتان بالأدب الأوربي الحديث والقصور عن تذوق الأدب العربي القديم والذين ينكرون الوحدة العضويَّة للقصيدة العربيَّة القديمة إنَّما يدفعهم ذلك

1) الديوان ص 222
2) أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني" الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء"، تحقيق علي محمد البيجاوي ، دار نهضة مصر ،1965م ، ص 304
3) طه حسين "حديث الأربعاء"، دار المعارف مصر دون ط ، 1958م ، ج1، ص 30 وما يليها

للسببين: **الأول** : إنهم لا يدرسون الشعر العربيّ كما ينبغي ... إنَّما يدرسون درس تقليدي ويصَّدقون ما يقال لهم من الكلام من غير تحقيق ولا استقصاء وهم يحفظون البيت أو الأبيات وقل منهم من يحفظ القصيدة ويدرسها كاملة0

الثاني : يأتي من إنَّهم يقبلون ما يقوله الرواة في غير تحفظ ولا احتياط ولا تحقيق، وينسون إنّ كثيراً من الشعر القديم لم ينقل إلي الأجيال مكتوباً وإنَّما نقلته الذاكرة فأضاعت منه ، وخلطت فيه ، ولم تحسن الروايَّة ، فكثر الاضطراب في هذا الشعر 000ثم يمضي الناقد عارضاً قصيدة لبيد مبينا ما فيها من وحدة واتساق [1]

وقد تحدث ابن قتيبة [2] أيضا عن وحدة القصيدة العربيَّة فرسم لنا منهج القصيدة العربيَّة " التي تبدأ بذكر الدَّيار والدمن ، ومخاطبة الربع واستيقاف الرفيق، وذكر أهلها الظاعنين عنها ثم يذكر شدَّة الشوق وألم الوجد 000 ثم يصف رحلته في شعره وما ناله من مكارة المسير ثم يبدأ في المديح 000 " ، فهذا القول من ابن قتيبة ينقض هذا الاتهام ؛لأنَّه يدلنا على :

أولاً :على إنَّ الشاعر كان يتصور عمله وحدة متَّصلة الأجزاء يسلَّم الواحد منها إلى صاحبه وتقدم بعضه بعضاً؛ لأنَّ ذلك هو الترتيب الطبيعي ، فلم يكن يعتقد إنّ قصيدته أخلاط متفرقة لا انسجام فيها 0

ثانيا : كذلك أدرك دارسو الشعر العربي إنّ الشاعر لم يكن يلقي القول على عواهنه ، أو يكون قريضه من أجزاء لا صلة بينها 0 وإنَّ إدخال الشاعر الحكمة والوصف في ثنايا قصيدته لا يجعلها أشتاتا متفرقة؛ لأنَّ الشاعر لا يأتي بها إلاّ إذا كانت الحالة تستدعي وجودها استشهاداً على غرض يريده الشاعر أو استخلاصاً من فكرة عرضها وكذلك يأتي الوصف أيضا 0 [3]

1) حديث الأربعاء ص 32
2) الشعر والشعراء ص 20
3) أسس النقد ص 320

ومن النقاد القدماء الذين تحدثوا عن وحدة القصيدة الجاحظ الذي يقول(1):" إنّ أجود الشعر ما رايته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج فتعلم بذلك أنَّه أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكاً واحداً "ومعنى سهولة مخارجه حسن انتقاله من معنى إلى معنى ومن غرض إلى غرض ، حتى يصبح الشعر وحدة مترابطة 0

أما أبو هلال العسكريّ فيرى إنَّ الكلام إذا انقطعت أجزاؤه ، ولم تتصل فصوله ذهب رونقه وغاض ماؤه (2) ، ومن أقوي النصوص التي وردت عن نقاد العرب في وحدة القصيدة هو ما رواه ابن رشيق إذ يقول(3) : " إنَّ القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتي أنفصل وأحد عن الأخر، وباينه في صحَّة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفي معالم جماله ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال احتراساً يحميهم من شوائب النقصان،ويقف بهم علي محجة الإحسان"، فقد شبه القصيدة بجسم الإنسان ، وهذا تشبيه من حيث دلالته على إنَّ القصيدة وإن اختلفت أجزاؤها تكون وحدة مترابطة منسجمة كاملة الاتصال مثلها في ذلك مثل جسم الإنسان 0

ويري الدكتور محمد زكي العشماوي إنَّ هناك نوعاً من الوحدة قد تحقق فعلا في القصيدة العربيَّة القديمة وهذه الوحدة كانت نتيجة طبيعيَّة لوحدة الفكر والصراع والشخصيَّة الإنسانيَّة ويقول: إنَّ الفرق كبير بين وحدة الفكر التي تنبعث من حياة ذات إبعاد خاصة وبين وحدة القصيدة التي هي تجسيَّد لحظة شعوريَّة وموقف نفسي واحد، ويبين إنَّ معلقة لبيد التي أتخذها الدكتور طه حسين دليلاً على تحقيق الوحدة العضويَّة في الشعر الجاهلي ، وقد استطاعت فعلاً أن تحقق هذه الوحدة برغم طول القصيدة وتعدد أقسامها وانتقالها من غرض إلي آخر ، لا عن

1) البيان والتبيين ج1 / 150
2) الصناعتين ص 42
3) العمدة 14/2

طريق حسن التخلص والترتيب المنطقي بين أجزائها فحسب، وإنَّما الذي ساعد على تحقيق هذه الوحدة أيضا قدرة لبيد علي نقل إحساس واحد مهيمن عن طريق صورها وكلماتها وخصائص أسلوبها ، ولكن هذه الوحدة غير موجودة في معظم قصائد الشعر القديم ومقطوعاته [1].

ومن هذا العرض يبدو إنَّ نقاد العرب منذ القدم، ومنذ أن تحدثوا عن خصائص الشعر العربيّ ، بحثوا أمر وحدة القصيدة وتلمسوا هذه الوحدة ، وأوجبوا علي من يتعرض لنظم القصيدة أن يرعى هذه الوحدة ويعمل علي انتظامها [2] .

وواقع الأمر إن الدراسة التحليليَّة العميقة لهذا الشعر تكشف عن أمكان وجود وحدة بمعناها الحديث في بعض قصائده التي يتحقق فيها موقف شعوري واحد يسيطر علي جميع أجزائها وأغراضها من دون خلاف للجو النفسي خلال أغراض القصيدة المتعددة التي تجعلها مهارة الشاعر وسيلة توصل إلينا الموقف النفسي المراد تصويره 0

وإذا نظر إلي قصائد ابن هرمة نجد الوحدة العضويَّة محققة في بعضها وخصوصاً القصائد ذات الموضوع الواحد إذ ترسم لنا صورة انفعاليَّة خاصة مرَّ بها الشاعر وسيطر عليه إحساس وأحد مهيمن ظهر في موسيقا شعره الداخلية وصوره وكلماته وأسلوبه الشعري كمدحه للمنصور فقد استجمع الشاعر قوته واستحضر فطنته ، وأصاب فيها فواصل الكلم ، ونتج عن ذلك عملاً فنيا متناسقاً رضي عنه المنصور فأثابه عليه إذ قال له الخليفة : " قد أمرت لك بعشره ألاف درهم وألحقتك بنظرائك من طريح بن إسماعيل ، ورؤية بن العجاج " [3]،أمَّا قصائده التي تعددت أغراضها فقد تحققت في بعضها هذه الوحدة ، وخصوصاً التي

1) محمد زكي العشماوي " قضا يا النقد الأدبي بين القديم والحديث "، دار النهضة بيروت ، دون ط ، 1984م، ص121 وما يليها
2) أسس النقد ص 324
3) تاريخ بغداد 6/ 128

سلمت من الانتحال والاضطراب في جمعها ، بينما انعدمت هذه الوحدة من بعض قصائده التي وجد فيها اضطراب وضاع الكثير من أبياتها 0

وبعرضنا عناصر الشكل عند ابن هرمة يمكننا التعرف علي الوحدة العضويَّة في شعره حيث إنَّـها جميعها متعاونـة فـي أظهـار هذه الوحدة وسوف نـرى ذلك واضحا من خلال موسيقا شعره وأسلوبه الشعري وألفاظه وصوره ،لأن كلَّ هذه العناصر مكملة للوحدة العضويَّة0

المبحث الثاني

الموسيقى في شعر ابن هرمة

أولا : الأوزان والبحور

تمهيد :

للموسيقا صلة وثيقة بالشعر ؛ وذلك لأنَّ " الانسجام الموسيقي في توالي مقاطع الكلام، وخضوعه إلى تركيب خاص مضافاً إلى هذا تردد القوافي وتكرارها، أهم خاصيَّة تميز الشعر من النثر " (1)

والنظم العربي - كما هو معروف- يقوم علي عمادين رئيسين هما البحر والقافية ، وقد حصر الخليل بن أحمد بحور الشعر في خمسة عشر بحراً ، استخرجها من الدوائر الخمس التي بناء عليها علم العروض ، ثم استدرك الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة 215هـ) علي الخليل الوزن السادس عشر ، ولم يزد العلماء بعد الأخفش شيئاً جديداً ، وقد بذل الشعراء محاولات تمثلت في كلمة رزين العروضي (2)

قربوا جمالهم للرحيل   غدوة أحبتك الأقربوك

ولكن لم يتبعه أحد ، لعلَّ السبب يرجع إلى إنّ " هذه البحور تمثل تنوعا موسيقياً واسع المدى يتيح للشعراء أن ينظموا في دائرته كلَّ عواطفهم وخواطرهم وأفكارهم " (3)الشعر ويري أحمد الشايب إنّ أوزان الموسيقا والعروض تعود إلى أصل واحد من حيث الكم والكيف ، علي تفاوت بينهما ، فتعقيد وكثرة في الأولى لكثرة ألحانها ، وبساطة وقلة في الثانية لقيامها على الكلمات ذات الحركات الواضحة المتميزة" (4) ،" فمن أهم أركان علم العروض أوزنه وتفاعيله وهي

---

1) إبراهيم أنيس "موسيقى الشعر"، الطبعة الثالثة ، لجنة مطبعة البيان العربي 1965م ، ص 21
2) معجم الأدباء" إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب " تحقيق أحمد فريد رفاعي ، مصر ج15 ص 256
3) هدارة " اتجاهات الشعر العربي " ص 535
4) أحمد الشايب " أصول النقد الأدبي " دار النهضة المصرية ط 2، 1946م ، ص 320

متحركات وسكنات متتابعة على وضع معروف يوازن بها أي بحر من البحور"[1] "فالشعر جاءنا منذ القدم موزوناً مقفى ، والشعر لا يزال في جلَّ الأمم موزوناً مقفى ، نرى موسيقاه في أشعار البدائيين ، وأهل الحضارة يستمتع به هؤلاء وهؤلاء ، ويحافظ عليه هؤلاء وهؤلاء000 وليس الشعر في الحقيقة إلاّ كلاماً موسيقياً ، تنفعل لموسيقاه النفوس و تتأثر القلوب " [2] ومما لاشك فيه إنّ التطور الحتمي الذي فرضته الحضارة على مرِّ العصور قد أثَّر على أوزان الشعر وموسيقاه تأثيراً واضحاً خاصة بعد شيوع الغناء في القرن الثاني الهجري حيث انصرف الشعراء عن الأوزان الطويلة المعقدة ، واقبلوا على الأوزان الرشيقة الخفيفة مثل : الوافر، والخفيف، والرمل، والهزج، والمتقارب، وأخذوا يجزئون الأوزان الطويلة المعقدة كما يجزئون للمغنين الأوزان السهلة البسيطة [3] ، وهذا لا يعني إنَّ جميع الشعراء اتجهوا إلى هذا الاتجاه ، إنَّما هناك شعراء محافظون ، استمروا في نظم أشعارهم على البحور الطويلة إقتداءً بالقدماء وتمسكاً بهم ، فهل كان ابن هرمة منهم أم ساير شعراء عصره في تمردهم علي الأوزان الطويلة ؟0

إنَّ من يمعن النظر في شعر ابن هرمة يجده قد نظم شعره في قوالب البحور التالية : البسيط، والطويل، ثم الوافر، فالكامل ، وحتى البحور الخفيفة لم يلجأ إليها كثيرا مثل: الهزج، والرمل، والرجز، إمَّا البحور المجزوءة فلم يلجأ إليها كثيراً مع شيوعها في عصره مثل مجزوء الكامل ، ومجزوء الرجز، ومجزوء الرمل، ومجزوء المنسرح، ومجزوء المقتضب، ومجزوء المتقارب ، ويبدو إنَّ هذا ليس عيبا فيه أو قصورا في نظمه ، ويبدو أنَّه كان يتبع الطريقة البدويَّة الجزلة علي غرار الجاهلين والفحول من الشعراء كما إنَّ معظم شعره في مدح الخلفاء والأمراء والقواد ؛ وطبيعة المدح تحتاج إلي الأوزان الطويلة التي تضفي على القصيدة جوّاً

---

1) سيد أحمد الهاشمي " ميزان الذهب في صناعة شعر العرب " 1399هـ -1979م ص 5
2) موسيقا الشعر ص 17
3) شوقي ضيف " الشعر الغنائي في الأمصار الإسلامية "(المدينة)، دار الفكر العربي ، القاهر 1949م بدون ط ، ص 161

من الفخامة، والجديَّة ،والجزالة ، وفيما يلي سنستعرض جانبا من هـــذه البحور التي اختارها لتكون قالباً لموضوعاته المختلفة :

1/ بحر البسيط :

هو أخو الطويل في الجلالة والروعة ، وإن كان لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني ولا يلين لينه للتصرف بالتراكيب ؛ ولكن يفوقه رقة وجزالة [(1)]

والأغراض التي نظمها ابن هرمة فيه دارت حول المدح ، والمدح ليس من الموضوعات التي تنفعل لها النفوس وتضطرب لها القلوب وأجدر به أن يكون قصائده طويلة وبحوره كثيرة المقاطع كالطويل والبسيط والكامل [(2)] ، ويغلب علي مدائح البسيط إذا كان المدح خالصاً لا يراد به اعتذار أو شي من ذلك الفخامة وعنصر القوة [(3)] علي نحو ما نرى في قصيدته التي يمدح بها السَّريّ قـــائلاً :

أمَّا السَّريُّ فَإنِّي سَوْفَ أمَدَحـُهُ   وَمَا المَادِحُ الذِّاكِرُ الإحْسَانَ كالهَاجي

ذَاكَ الَّذِي هُو بَعدَ اللهِ أنقَذَني   فلَسْتُ أنْسَاهُ إنْقَاذِي وَإخْرَاجي

لَيْثٌ بَحجْر إذَا مَا هَاجَهُ فزَعٌ   هَاجَ إليْه بِالْجَـامٍ وَإسْرَاجِ

لأحْبُوَنَّك مِمَا أصْطَفِي مِدَحاً   مُصَاحِبَاتِ لِعُمَّارٍ وَحُجَّاج [(4)]

وهنا تعلو الإيقاعات وتقوى أشعاره بعظمة الممدوح،" ولإحساس الشعراء بما في منزلة البسيط من ملائمة العنف وبما بمجراه من الكلام الصارخ الجهير، نجدهم قد أكثروا فيه من قصائد التعريض،والعتاب، والهجاء المقذع " [(5)] كما نرى ذلك في قصيدته التي يهجو فيها المسوَّر المخزومي الذي عاب شعره فيقول :

قُلْ لِلَّذي ظَلَّ ذَا لَوْنَيْنِ يَأكُلُني   لَقَدْ خَلَوْتَ بِلَحْمٍ عَادِمِ البَشَمِ

إيَّاكَ لاَ أُلْزِمَنْ لحيَيْكَ مِنْ لَجَمي   نكْلاً يَنكِّلُ قَرَّاصاً مِن اللُّجَمِ

---

1) عبد الله الطيب " المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها "ط 4، مطبعة جامعة الخرطوم للنشر 1991م ، ج1،ص507 ؛ أنظر كذلك أصول النقد الأدبي ص 322

2) موسيقا الشعر ص 178

3) المرشد ج1/ ص526

4) الديوان ص 78

5) المرشد ج1/ص 527

يَدقُّ لَـحيَيكَ أوْ تَنْقَـادُ مُتـَّبـعـاً مَشيَّ الـمُقيـَّدِ ذِي القِردَانِ وَالحلَمِ
إنِّي إذ مَا امـروءٌ خَفـَّتْ نَعَـامَتُهُ إليَّ وَاستُحْصَدت منه قوى الـوذمِ
عَـقَدْتُ في مُلْتـَقى أوداجِ لُبَّتِـهِ طَوْقَ الحَمَامَةِ لا يبلى علَى القِدمِ
إنِّي امروءٌ لاَ أصوغُ الحليَ تَعْمَلُهُ كَفـَّايَ لَكنْ لِسَاني صَائِغ الكَلِمِ[1]

وإذا رثى سمعنا له نغما حزينا وأنات مكبوتة تعلو حتى تصبح عويلا وندبا كما في رثائه لإبراهيم الإمام قائلا :

قَدْ كنْتُ أحسبُنِي جَلدًا فَضَعْضَعَتِي قَبْرٌ بحَرَّانَ فيهِ عصمَةُ الدِّيْـنِ
فيهِ الإمَامُ وَخَيْرُ النـّاسِ كُلـِّهُمُ بينَ الصَّفائِحِ والأحجَارِ وَالطـِينِ
فيهِ الإمَامُ الـّذي عَمَّتْ مُصِيْبَتـهُ وَعَيَّلَتْ كُلَّ ذي مَالٍ وَمسكينِ
إنَّ الإمَـامَ الـّذي وَلـَّى وَغَادَرَنِـي كَأنـَّني بَعْدَهُ في ثَوْبِ مَجْنُونِ[2]

2/ بحر الطويل :

ثـاني أكثر البحور التي نظم فيها ابن هرمة شعره " وليس بين بحور الشعر ما يضارع البحر الطويل في نسبة شيوعه ، فقد جاء ما يقارب من ثلث الشعر القديم من هذا الوزن " [3] وهو البحر المعتدل ، ونغمه من اللطف بحيث يخلص إليك وأنت لا تكاد تشعر به ودندنته من الكلام المصوغ بمنزلة الإطار الجميل من الصورة ؛ تزينها ولا يشغل الناظر عن حسنها وهو في هذه الناحية يخالف سائر البحور[4] 0

والأغراض التي نظمها ابن هرمة في الطويل كان اغلبها يدور حول المدح، والغزل، والرثاء، ولنبدأ بإحدى طويلياته في مدح المنصور حيث يقول :

إليكَ أميرَ المُؤْمنينَ تَجَاوَزَتْ بنَا بِيْدَ أجْوَازِ الفَلاةِ الرَوَاحِلُ
يَزُرْنَ امرأً لاَ يُصلحُ القَومَ أمرُهُ لاَ يَنتَجي الأدنيينَ فيمَا يُحَاوِلُ

1) الديوان ص 214
2) الديوان ص237
3) موسيقا الشعر ص 59
4) المرشد 1/ 443 ، 444

إذَا مَا أبى شَيَئاً مَضى كالّذي أبى   وَإنْ قَالَ إنّي فاعِلٌ فهوَ فَاعِلُ

كَرِيْمٌ له وَجهَان ِوَجْهٌ لَدى الرضَا   أسيْلٌ وَوَجْهٌ في الكَريهَةِ بَاسِلُ (1)

وفد استطاع الشاعر أن يختار هذا الوزن في أعراض أخرى غير المدح سوى أكانت هذه الأغراض ضمن قصائد المدح أو مستغلة عن تلك القصائد؛ وهذا البحر يصلح فيه الغزل إذا خالطه شيء من الجدِّ والعمق علي نحو قوله في ذكر الأطلال :

أفي طَلَلٍ قَفْرٍ تَحمَّلَ آهِلُهْ   وَقَفْتَ وَماءُ العيْنِ يَنْهَلُّ هَا مِلُهْ

تُسَائِلُ عَنْ سَلْمى سَفَاهاً وَقَد نَأتْ   بَسَلْمى نَوّى شَحْطٌ فكَيْفَ تُسَائِلُهْ(2)

المتأمل للأبيات يجد إن ألفاظ الغزل قد امتزجت بالجدِّ والعمق ولم تعتمد علي دندنة النغم وجلبة التفاعيل ، فقد جعل من هذا البحر مسرحا لتأملاته وذكرياته بالوقوف علي الأطلال وله في إحياء الذكريات في هذا البحر روائع حيث يقول:

ليَعْلَمَ أنَّ البُعْدَ لم يُنْسِ ذكرَهَا   وَقَدْ يُذهِلُ النأيُ الطَويلُ وقَد يُنسي

فَانْ سَكَنَتْ بالغَوْرِ حَنَّ صَبَابَةً   إلى الغَوْرِ أوْ بالجَلْسِ حَنَّ إلى الجَلْسِ

تَبَدَّتْ فَقُلتُ:الشّمْسُ عندَ طُلُوعِهَا   بلَوْنٍ غَنِيٍّ الحلْدِ عَن أثَرِ الوَرْسِ

فلَمَّا ارتَجَعْتُ الروحَ قُلتُ لصاحبي   عَلي مِرْيَةٍ مَا هَاهُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ(3)

نلمح في هذه الأبيات الصورة التي يريد الشاعر أن ينقلها إلينا وهي المكوث عند أثار المحبوبة وقتاً طويلاً 0

وإذا تغزل بسلمي نجد موسيقاه تتسرب إلي النفوس تسرباً خافتاً حيث يقول:

تَذَكَّرتُ سَلْمَى وَالنَّوى تَسْتَبِيعُها   وَسَلْمى المُني لَو أنَّنَا نَستَطيعُهَا

فكَيَّفَ إذَا حلَّتْ بأكْنَافِ مُفْحلٍ   وَحَلَّ بوَعْسَاءِ الحُلَيْفِ تَبيْعُهَا

أرى الدَّهْرَ يُنْسِيني أحَادِيْثَ جَمَّةً   أتَتْ مِن صَديقٍ أوْ عَدُو يُشيْعُهَا

وَلَمْ يُنْسِنِيهَا الدَّهْرُ إلاّ وَذِكْرُهَا   بحَيثُ تَحَنَّتْ دُونَ نَفْسي ضُلُوعُهَا

---

1) الديوان ص 167
2) الديوان ص 174
3) الديوان ص 133

وَإنْ لَـمْ يكُنْ مِنهَا لنَا غَيرُ ذ كَرْةٍ   وَقَوْلِ لَعَلَّ الـدَّهْرَ يَـوماً يُرِيْعُهَا[1]

وإذا رثى ، سمعنا له نغما حزين ينمَّ عن حزن عميق فيقول:

أتَـاني وَأهْلِي بَاللـّوى فوقَ مَثْعَرٍ   وَقَدْ زَجرَ اللـَّـيْلُ الـنَّجْوَمَ فَوَلَّـتِ

وَفَـاةُ ابن ِعَبَّاسٍ وَصيِّ مُحَمَّـــدٍ   فَـأْبَتُ فِراشي حَسْرَةٌ مَا تَجَلَّتِ

فَإنْ تَـكُ أحْدَاثُ المَنَـايَـا اخْتَـرَ مَنْهُ   فَقَدْ أعْظَمَتْ رزْأً بِـهِ وَأجَلَّتِ[2]

وهو يحاول أن يخفي لوعته وحزنه ويأبى ذلك إلاّ أن يظهر من خلال تأملاته البعيدة ولا نكاد نحسّ لوزنها إلا انسجامه مع اللفظ والمعنى في لطف وخفاء وهو بذلك يكسب الأداء جلالة وتؤدة تلائم مقام الأسف علي الفقيد [3] 0

ولما كان الطويل رحيب الصدر ، طويل النفس ، فأن العرب قد وجدت فيه مجالاً واسعاً من التفصيل ، ولهذا فقد كان أصلح من غيره لتسجيل الأخبار والأساطير ؛ فهو ميدان الوصف والتأمل والبلاغة الحرَّة وقد فضَّله الشعراء الأولون علي غيره في باب القصص فحظّه في ذلك هو الأوفر [4]0

3/ بحر الوافر:

الوافر " ألين البحور ، يشتد إذا شددته ويرق إذا رققته ، وأكثر ما يجود به النظم في الفخر" [5] وإغراض الشاعر في الوافر تمثلت في المدح فقد مدح عبد الواحد بن سليمان بقصيده قائلاً :

هَشَشْتَ لحاجَةٍ وَوَعَدتَ أُخْرى   وَلَمْ تَبْخَلْ بِنَاجِـزَةِ السَّـــرَاحِ

حَمَيْتُ حمَاكَ في مَنَعَاتِ قَلْبي   فَلَيْسَ حِمَاكَ عِنْدِي بالمُبَـــاحِ

وَجَدْنَا غَـالباً خُـلِقَـتْ جَنَـاحاً   وَكَـانَ أبُـوكَ قَـادِمَـةَ الـجَنَـاحِ

وَأنْتَ مِن الغَـوائِلِ حيْنَ تُرمى   وَمِن ذَمِّ الـرِّجَـالِ بمُـنْتَزَاحِ[6]

---

1) الديوان ص 143
2) الديوان ص 69
3) المرشد 1/ 447
4) المرشد ج1/ ص 450 ، 452 ، 460
5) أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ص 323
6) الديوان ص 87

كما يصلح هذا البحر في الفخر والتفخيم في معرض المدح(1) كما في قوله:

فَدعْ مَا لاَ يَرُدُّ عَلَيْكَ شَيْئاً   مِن الجَارَاتِ أوْ دمَنِ الرّسُومِ
وَقُلْ قَولاً تُطَبّقُ مِفْصَلَيْهِ   بَمدحَهِ صَاحبِ الرَّأي الصَّروم
لعَبدِ الواحدِ الفَلْجِ المُعَلَّى   عَلا خُلقَ النَّفُورةِ وَالخُصُومِ
دَعَتْه المَكْرُمَاتُ فَنَاوَلَتْهُ   خِطَامَ المَجْدِ في سِنَّ الفَطيْمِ(2)

والوافر يعدَّ من أصلح البحور للقطع ؛لأن القطع تتطلب من الشاعر أن يحصر نفسه في غرض واحد وأن ينفق كلَّ ما عنده من بلاغة وحذق في أدائها (3) ومن ذلك قــــوله :

فإنَّكَ واطِّراحَكَ وَصْلَ سُعْدَى   لأخْرَى في مَوَدَّتِهَا نُكوبُ
كَثَاقِبَةٍ لِحِلْــي مُسْــتَعَارٍ   بأُذْنَيْهَا فَشَانَهُمَا الثُقُــوبُ
فَرَدَّتْ حَلْيَ جَارَتِهَا إلَيْهَا   وَقَدْ بَقِيَتْ بأذْنَيْهَا نُدُوبُ (4)

وهذه الأبيات تجري مجرى الأمثال ؛ لخفتها وحلاوتها وقد غناها إسحاق بن إبراهيم لما تمتاز به من خفة الوزن وحلاوة الإيقاع 0

وله في الهجاء أيضاً :

فَهَلاَّ إذْ عَجَزْتَ عَنِ المَعَالي   وَعَمَّا يَفْعَلُ الرَّجُــلُ القَرِيْــعُ
أخَذْتَ برأيْ عَمْرٍو حِيْنَ ذَكَّى   وَشَبَّ لِنَارِهِ الشَّرَفُ الرَّفيْعُ
إذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعْهُ   وَجَاوِزْهُ إلى مَا تَسْتَطِيْعُ (5)

مع إنّ هذه الأبيات في الهجاء والتعريض إلاّ أن خفتها ورشاقتها أغرت المغني مغرماً بتلحينها وغنائها أمام الخليفة المأمون واشتهرت كصوت ذكره أبو الفرج في أغانيه (6) فقد بلغت وافرات ابن هرمة من الرقة ما دعا تهافت المغنون عليها

1) المرشد ج1/ ص 407
2) الديوان ص 222
3) المرشد 407/1
4) الديوان ص 59
5) الديوان ص 147
6) الأغاني 388/4

وإعجاب الخلفاء بها ، يقول أبو الفرج : وغنى إسحاق بن إبراهيم أمام الواثق قول ابن هرمة :

عَفَا رَسْمُ القُرِيَّةِ فَالكَثِيبُ   إلى مَلْحَاء لَيسَ بَهَا عَرِيبُ
تَأبَّدَ رَسْمُهَا وَجَرَى عَلَيْهَا   سَفِيُّ الرِّيحِ وَالتُّرْبُ الغَرِيبُ [1]

فقال له الخليفة قد أحسن ابن هرمة في البيتين فأيِّ شيء أحسن فيها من جميعها قال: قوله: " الترب الغريب " يريد أن الريح جاء إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضع بعيد فقال صدقت وأحسنت وأمر له بخمسين ألف درهم[2] ويكمن سر جمال هذه الأبيات في الألفاظ الرقيقة، والوزن الرشيق الذي اختاره ابن هرمة، وهكذا كان ابن هرمة يرق حين يريد أن يكون رقيقاً ويغلظ حين يريد أن يكون غليظاً فأنظر إليه يهجو جماعة نزاريَّة

فَمَا عَادَتْ لِذِي يَمَنٍ رُؤُوساً   وَلا ضَرَّتْ بفرقَتِهَا نِزارَا
كَعَنزِ السوءِ تَنْطَحُ مَن خَلاَهَا   وَتَرْأمُ مَن يَحَدُّ لَهَا الشِّفَارَا[3]

4/ بحر الكامل :

الكامل من الأوزان التي لها الصدارة في شعر ابن هرمة ، " فالكامل أتم البحور السباعية يصلح لأكثر الموضوعات ، وهو في الخبر أجود منه في الإنشاء" [4] ، وإنَّه لا يصلح للحكمة والتأمل إلاّ من شاعر حاذق؛لأنهما يحتاجان إلى الهدوء[5] تأمل قوله :

قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الفَتي وَرِدَاؤُهُ   خَلَقٌ وَجَيْبُ قَميصِهِ مَرْقُوعُ
وَيَنَالُ حَاجَتِهِ الَّتي يَسْمُو لَهَا   وَيطِلُّ وَتْرَ المَرءِ وَهْوَ وضيْعُ
أمَّا تَرَيْني شَاحِباً مُتَبَذِّلاً   وَالسَّيْفُ يَخلقُ غِمْدُهُ فَيَضِيْعُ [6]

---

1) الديوان ص 58
2) الأغاني 4/ 388
3) الديوان ص 111
4) أصول النقد ص 232
5) المرشد 303/1
6) الديوان ص 145

وهي تأمل وفكر لا غناء عنه ، وقد لا يناسب موسيقا هذا البحر ، لكن حذق ابن هرمة هو الذي يشغل الأذن عن الصخب ، يريد الشاعر إنَّ الشَّرف لا يقتصر على الأغنياء والعظماء وإنَّما قد يدرك المرء الفقير الشرف الرفيع 0

وإذا تركت ذلك إلى غزلياته في هذا البحر تسمع له ترنيما يفيض عذوبة ورقة ، " فالكامل إن أريد به الجدَّ كان فخماً جليلاً مع عنصر ترنمي ظاهر يجعله إن أريد به إلى الغزل وبما يمجراه من أبواب اللين والرقة ، مع صلصة كصلصة الأجراس ونوع الأبهة يمنعه من أن يكون نزقاً أو خفيفاً شهوانياً " [1] كما في قـــــوله :

طَرَقَتْ عُلَيَّةُ صُحْبَتِي وَرِكَابي أهْلاً بِطَيْفِ عُلَيَّةَ المُنْتَابِ

طَرَقَتْ وَقَدْ خَفَقَ العَثُومُ رِحَالَنَا بِتَنُوْفَةٍ يَهْمَاءَ ذَاتِ خَرَابِ

فَكَانَّمَا طَرَقَتْ بِرِيَّا رَوْضَةٍ مَن رَوْضِ عَوْهَقَ طَلَّةٍ عْشَابِ [2]

إنَّ صنعته الفنية تختلف كثيراً عن صنعة غيره من الشعراء من حيث تأثيرها وخفتها علي النفس، ولعلَّ ذلك يرجع إلى اتصال عمله فتأمل وصف ابن هرمة للنجوم :

وَبَنَاتُ نَعْشٍ يَسْتَدِرْنَ كَأَنَّهَا بَقَرَاتُ رَمْلِ خَلْفَهُنَّ جَآذِرُ

وَالفَرْقَدَانِ كَصَاحِبَيْنِ تَعَاقَدَا تَاللهِ تَبْرَحُ أوْ تَزُول عَتَا يرُ

وَالجَدْيُ كَالرجُلِ الَّذي مَا إنْ لَهُ عَضدٌ وَلَيْسَ لَهُ حليفٌ نَاصرُ

وَتزَاوَرَ العَيّوقُ عَن مَجَدَاتِهِ كَالثَّورِ يُضْرَبُ حينَ عَافَ البَاقِرُ

وَتَرَفَّعَ النِسرانِ هَذَا بَاسِطٌ يَهْوِي لسقطَتِهِ وهَذَا كَاسِرُ

وَالنَّطْعُ يَلْمَعُ وَالبطَينُ كَأَنَّهُ كَبْشٌ يَطَرَّدُهُ لحَتْفٍ ثَائِرُ

وَالحَوتُ يَسْبَحُ في السَّماءِ كسِبْحِهِ في المَاءِ وهوَ بِكُلِّ سَبحٍ مَاهِرُ [3]

---

1) المرشد 1/ 302
2) الديوان ص 66
3) الديوان ن ص 114 / الحوت برج من أبراج السماء

نجد حسن اختيار لألفاظه . وتوفيقه بين أسماء النجوم، مع للكامل نغمات حلوة تساعد علي الترنم فقد شكا بها ابن هرمة وبكي وحول أنغامه إلى أنات في قوله :

أنِّي دَعَوْتَـــكَ إذْ جُـفيْتُ وَ شَفّـني مَرَضٌ تـَضَاعَفَني شَـديدُ المُشْتَـكَـى
وَحُبِسْتُ عَنْ طـَلَب المَعِيشَةِ وَارْتَقَـتْ دُوني الحَوائِجُ في وُعُور المُرْتـَقَى
فَـأجِبْ أخَاكَ فـَقَدْ أنـَافَ بِصوْتِـهِ يَا ذَا الإخَـاءِ وَيَا كَـرِيْمَ الـمُرْتَـجَى [1]

5/ بحر المنسرح :

قال عنه عبد الله الطيب[2] : " بحر لين ذو لين جنسي لم يكد يخرج عن صنفي الرثاء النائح، والنقائض الهجائية، وما يتبعها من غزل أو شبهه "، وهو ما يلي الكامل في النظم عند ابن هرمة نجد أن ما وصل إلينا من شعره قليل، وأطول قصائده المهموزة التي تصدرت الديوان وسنوردها أنموذجاً لنظم ابن هرمة في هذا البحر الذي يحتاج من الشاعر إلى المزيد من الجهد لإتقان الصناعة فيه ولعلَّ ذلك يرجع إلى طبيعة تفعيلات المنسرح المختلفة التي يكثر فيها التنوع والتغيُّر مما يجعل موسيقاه ثقيلة

إنَّ سُلـيَمَي – واللهُ يَكـلـؤُهَا- ضَنَـتْ بشَيءٍ مَا كانَ يَرزَؤُهـَا
وعَـــوَّدَتـْني فـبمَا تُعَـــوِّدُني أظـْماءَ وِرْدٍ مَا كنتُ أجزَؤُهــَا
ولا أرَاهـَـــا تـَزَالُ ظـَــــالِمَةً تُحـِدثُ لي نَـكبَـةً وَتَـنكؤُهـَــا
وَتـَزْدَهيني من غـَير فَاحشَـةٍ أشيـَاءُ عَنهَا بالغَيَبِ أنـبؤُهَـا
لـَو تـُهنِّي العَاشقِينَ مَا وَعَـدَتْ لـَكـانَ خَيـرَ الـعِدَاةِ أهـنؤُهـَـا
شَبـَّتْ وَشَـبَّ العَـفَافُ يـتبعُـهَا فلـَم يـُعَب خِدنـُها ومَنـَشَؤُهـا
وَبَوَّأتْ في صَميم مَعشَـرهـَــا فـَنـَمَّ في قـَومِـهَا مُبـَوَّءُهــَـا
خَـوْدٌ تُـعَاطِيكَ بَعْـد رقـدَتِـهَا إذَ ا يُلاقي العـُيونَ مَـهدَؤُهـَــــا

1) الديوان ص54
2) المرشد 1/ 227

كأساً بـفـيـهَا صَهَباءَ مُـعـرقَــةً   يَغلـُو بأيدي الـتـِّجَار مَسبـؤهـَا [1]

فهذه طريقة ابن هرمة في اختيـار الألفـاظ المناسبة لمعانيـه فيرققها فـي مجـال الرقـة ويفخمها في مجال القوة فنحسّ هنـا أبياتـه لينـة فـي لغتهـا ونغماتهـا وأسلوبها بـالرغم من أن هذا البحـر ثقيل الـوزن مختلف التفاعيل الأمـر الـذي جعل كثيـر مـن شـعراء الفخامة في العصر الأموي أمثـال : كثيـر، والأخطـل، والقطـا مـي ، وجريـر، وابـن الرَّقاع ، والفـرزدق يقلـّون منـه، ولـم يتعاطـه طـلاب الجزالـة، والفحـول إلاّ الكميت و الطـِّرماح [2] ، وقد وجد فيه الإسلاميون الحجازيون بحـراً يلائـم مذاهبهم الغنائيـة اللينة كما وجـدوا في السريع، ولا سيَّما ابـن قيس الراقيَّات وابـن أبـي ربيعــــــة 0[3]

وقد أكثرت طبقة المولدين الأولي من النظم في المنسرح كما أكثروا في الأحذ والسريع إذا كانوا يحرصون علي محاكاة عمر بن ربيعة [4] ولابن هرمة قصيده في مدح داؤد بن علي نظمها علي المنسرح حيث يقــول:

وَقـلْ لـداؤد مـنك مـمــدحـة   لهـازهـا منْ خـلـفـها نغلُ
أروع لا يخلف العـدات ولا   تمـنع من ســؤالـه العللُ
لـكـنه ســابغ عــطـيـتــه   يدرك منه السؤَّال ما سألوا
لا عـاجزٌ عـازبٌ مـروءته   ولا ضعيفٌ في رأيه زلـلُ
يحمده الجارُ والمعقـّب والـ   أرحام تثني بحسن ما يصلُ
يسبق بالفضل ظنَّ صاحـبه   ويقتـل الريثَ عرفه العجلُ[5]

هذه القصيدة فخمة جادة لكنها لا تناسب هذا الوزن ولو كـان أتـي بهـا فـي الطويل أو البسيط لكان أفضل0

---

1) الديوان ص 49
2) المرشد 1/ 228
3) نفسه ص127
4) نفسه ص129
5) الديوان ص 171

6/ بحر الخفيف :

" هـو بحـر يـصلح للتغنـي بالألفـاظ العذبـة، والعواطـف الرقيقـة ، فـي غيـر تعمق، فالمنظوم فيـه لـيس بكثيـر ولا مشهور" (1) فمـا أثـر عن ابـن هرمـة فيـه قليل جداً، وإن كان فـي أعراض متعددة ، فـالخفيف يجنح صـوب الفخامـة وهذا بالقيـاس جنب السريع والأحذ أما إذا وازناه بالطويل والبسيط فهو دونهما في ذلك (2) 0

وقـد اختلفـت أغـراض هـذا البحـر بـين طرفـي الغـزل، والحماسـة، والمـديح، والهجـاء والرثـاء، والفخـر ، ومـع ذلـك فقـد كـان ذا طـابع واحـد فـي جميـع هـذا مـن وضـوح النغم، واعتداله بحيث لا يبلغ حدَّ اللين ، ولا حدَّ العنف، ولكن يأخذ من كلٍّ نصيب (3) ، وقد تنوعت أغراض ابن هرمـة في هذا البحر مع قـلـَّة شعره فـيه ، حيث يقـــــــــــول راثياً :

مَا أظُنُّ الـزَّمَانَ يَا أمَّ عَمْرِو   تَـاركاً إنْ هَـلَكْتُ مَن يَـبكِيـني

كَـمْ أخٍ صَالِحٍ وعَـمٍّ وَخَـالٍ   وَابنَ عَـمٍّ كَـالصَّـارِمِ الـمَسْنُونِ

قَـدْ جَلَـتْهُ عَنـَّا المَنَايَا فأمْسى   أعـظُماً تَحْتَ ملحدَاتٍ وَطينْ

رَهْنَ رَمْسٍ بِبُهْرَةَ أوْ حَزِيْزٍ   يَا لَقَوْمٍ لِـلـميّتِ الـمَدْفُـونِ (4)

" وهو بحر وسط بين الفخامة والرقة ؛ لذلك نجده صالحاً للحماسة ،والفخر، وغير موضوعات الرقة واللين " (5) وإذا فخر بكرمه تلمح حركة دائبة وضوضاء للوليمة

وَسَلْ الجَارَ والمُعَصِّبَ وَ الأضْـــيَافَ وَهْنـاً إذَا تَـحَيَّوْا لَـدَيَّـا

كَـيْفَ يَـلْقَوْنَنِي إذَا نَـبَحَ الـكَلْــبُ وَرَاءَ الـكُسُورِ نَـبْحاً خَفِيَّا

وَمَشى الحَالِـبُ المُبِسُّ إلى النَّا   بِ فَـلَـمْ يقْرِ أصْفَرَ الحَيَّ ريَّا

لَـمْ تَـكُنْ خَارِجيَّةً مِن تُـرَاثٍ   حَادِثٍ بَلْ وَرِثْـتُ ذَاكَ عَلَيَّا (6)

---

1)خزانة الأدب 412/2
2) المرشد 238/1
3) المرشد 242/1
4) حزيز : المكان الغليظ ، وهو مواضع كثيرة في بلاد العرب (ياقوت) / الديوان ص 242
5) أصول النقد ص 323
6) الديوان ص 246

وإذا مدح سمعنا له نغماً رزيناً فخماً حيث يقول :

عَاتِبِ النَّفسَ وَالفُؤَادَ الغَوِيَّا   في طلابِ الصِّبَا فلَسْتَ صبِيَّا

أُحِبُ مَدْحاً أبَا مُعَاويةَ المَا   جدَ لاَ تلقَهُ حَصُوراً عَيِيَّا

بَلْ كَرِيْماً يَرتَاحُ للمَجْدِ بَسَّا   ماً إذَ ا هَزَّهُ السُؤَالُ حَيِيَّا [1]

7/ بحر المتقارب :

هو" بحر بسيط النغم ، مضطرد التفاعيل ، منساب طبلي الموسيقي يصلح لكل ما فيه تعداد للصفات ، وتلذذ بجرس الألفاظ وسرد للإحداث في نسق مستمر والناظم فيه لا يستطيع أن يتغافل عن دندنته فهي أظهر شيء فيه" [2]

وقد نظم ابن هرمة فيه في المدح حيث يقول :

إذَا قِيْلَ أيُّ فَتيً تَعْلَمُونَ   أهشَّ إلي الضَرْبِ بالذَّابِلِ

وَأضْرَبَ لِلْقِرنِ يَومَ الوَغى   وَأطْعَمَ في الزَّمَنِ المَاحِلِ

أ شَارَت إليْكَ أكُفُّ الأنَامِ   إشَارَةَ غَرْقي إلي سَاحِلِ [3]

وقال أيضا يمدح عبد الواحد :

إذا قِيلَ مَن خَيْر مَن يُجُتَدىَ   لمعُترٍ فِهْرٍ و محتَاجَهَا

ومَن يُعجل الخيلَ يومَ الوغَى   بالجامها قَبْلَ إسرَاجِهَا

أشارت نساءُ بنِي غَالِبِ   إليك به قَبْلَ أزواجَها

وقد علّق أبو الفرج علي هذه القصيدة قائلا : " وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة " [4] فان ابن هرمة استطاع أن يعبر عن عظمه الممدوح، وعلو شأنه، وذلك ببراعته في استخدام الألفاظ ، هذا وجميع ما نظم ابن هرمة في المتقارب يشهد له بأنَّه صانع ماهر ذو حسّ مرهف

1) الديوان ص244
2) المرشد 383/1
3) الديوان ص 195
4) الأغاني 6/ 112

8/ بحر الهزج :

فلم يكثر ابن هرمة فيه، ويصلح هذا الوزن للقصص الخفيف الذي يراد منه الإمتاع ، وأحسن أسلوب يرد فيه ما كان عماده علي التعجب ولاستتاره، والتكرار، وسرد الكلمات المتشابهة في الوزن والجرس [1]0

وقد نظم فيه ابن هرمة أسطورته القصصية التي وصف فيها البرق والمطر، حيث يقـــــول :

أَلـَمْ تـَأرَقْ لِـضَوْءِ الـبـَـرْ ق ِ في أسْـحَـمَ لـَمـَّـاحِ
كـَأعْـنـَاقِ نِسَاءِ الـهِـنِـْـــدِ قـَدْ شـِيْبَتْ بـَأوْضَاحِ
تـُوءَامِ الـوَدْقِ كـَالـــزَّا حِـفِ يُـزْجَـي خَلـْفَ أطْلاحِ
كـَأنَّ الـعَـازِفِ الـجِـنـّـيَّ أوْ أصْـوَاتَ أنـَـواحِ
عـَلى أرجـائها الـغُـــر تـَهَـدِّيـهـا بـِمِـصْبـَاحِ
فـَقـَالَ الـضـَّبُّ للضِّفْـدَ عِ في بَـيْـدَاء فِـرْوَاحِ
تـَأمَّـلْ كـَيْفَ تـَنْجُـو اليـوْ مَ مِـن كـَربٍ وَ تَطـْرَاحِ
فـإنِّي سـابحٌ نـَـاجٍ ومـَا أنـْتَ بِـسَـبَّـاحِ [2]

9/ بحــر الرجــز :

أمَّا الرجز فلم ينظم فيه ابن هرمة سوى بضعة أبيات

كأنَّهَا إذْ خُـضِبَـتْ حِنـَّا وَدَمْ وَالحُـرضُ العيـن والهَرمُ للعُصُمْ [3]

في شعر منسوب له مثل :

أصْـبـَرَ مِن ذي ضَاغِطٍ عـَرَ كـْرَكِ ألقـَى بَوانِي زَوْرِهِ للمَـبْـرَكِ [4]

ويبدو أنَّ ابن هرمة لم ينظم فيه وإنَّما كان يتمثل به0

10/ بحر الرمل :

1) المرشد 1/ 137
2) الديوان ص 88
3) الديوان ص 199
4) الضاغط : انفتاق في إبط البعير ، العركرك : الجمل الغليظ ، الواني : التعب ، ويضرب / الديوان ص 273

له فيه أبيات متفرقة قليلة جداً منها

ثـُمَّ قـَامَـتْ حَـوْلـَهَـا أتـْـرَابـُـهَـا   وَعْـثـَـة َالأرْدَاف غـَرْتـَـي الـمُلْـتـَزَمْ [1]

وقـــوله :

أسَـدٌ في الـغِـيـْلِ يَحْـمي أشْبُـلاً   قـَلـَّمَـا يَعْـتـَادُهُ فـيـهِ الـقـَـــرَمْ

مُطْرِقْ يَكـْذِبُ عَـنْ أقـْرَانِـه   يَنْـقـُضُ الكلِمَ إذَا الـكـلـمُ الـتـَأمْ [2]

هكذا استطاع ابن هرمة يوفق في جميع ما نظم من بحور كما أخضع ميزانه للأغراض المختلفة ؛ ذلك لأنَّه كان يقول الشعر بسليقة عربية، وحسّ مرهف، مما جعله يختار البحر المناسب لأفكاره ومعانيه ، أمَّا الإقلال في بعض البحور يبدو أنَّ سببه ضياع معظم شعره وأخباره

ثانياً : قوافي ابن هرمة :

يقـول صاحب العمدة: " القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمي شعراً حتى يكون له وزن وقافية " [3] وهي لا تقل أهميَّة عن الوزن، ومن أجل ذلك رأينا أن نسلط الضوء علي بعض أنواع القوافي عند ابن هرمة :

1/ القوافي المقيدة :

وهي القوافي التي يكون فيها حرف الروي ساكناً[4] ، وقد نظم ابن هرمة في هذا النوع في مدح الحكم قائلا :

فـانْ مَـعشرٌ بخـلـوا والـتـــووا   عَـلـي ذِي قـرابـتـهم لـَمْ يـَصِـبْ

فـانِّ الإلـــهَ كـَفـــاني الــتـي   بــهم و بسيبِ بني المطـَّلـبْ

وَكـَـنـت إذا جـئـتـُهـم راغــبـاً   مجيءَ الـمصابِ إلي المحتسبْ

أقـرّوا بـلا خـلـفٍ حَـاجـتي   ألا مـثـلُ سائلهم لـَمْ يَخِـبْ [1]

---

1) الديوان ص 201
2) الديوان ص 200
3) العمدة ج 1/ص 151
4) المرشد ج1/ ص 53

وقوله من المتقارب أيضا متعرضا لمعاوية بن عبدا لله :

فَـاِنّي وَمَـدْحَكَ غـيْرَ المُـصيـْــــــبِ كَـالـكَـلْـبِ يَـنْبَحُ ضَوْءَ القَمَرْ
مَدَحْتُـكَ أرْجُو لَـدَيْكَ الـثَّـوَابَ   فَكُنْتُ كـعَاصِرِ جَـنْبِ الحَجَرْ[2]

وله في الطويل ، والطويل أصلح الأوزان للروي المقيد [3] كما في قوله :

وَإنّـكَ إذْ أطْـمَعتـَنِي مِـنـكَ بالرِّضَا   وَ أيأسْنَـنِي مِـن بَعدِ ذلكَ الغَـضَبْ
كَـمُمْكِنَةٍ مِن ضَرعِهَا كـفَّ حَالِـبٍ   وَدَافِقَـةٍ من بَـعدِ ذلكَ مَا حـلَـبْ[4]

وقوله في الرمل :

أسَـدٌ في الغِـيْلِ يَحْمي أشْبُـلاً   قَلَّـمَـا يَعْتَـادُهُ فيـهِ الـقَـرَمْ
مُطْـرِقْ يَـكْذِبُ عَـنْ أقْرَانِه   يَـنْقُضُ الكلمَ إذَا الكلمُ التَـأمْ[5]

ومن الطويل أيضا :

لَـمَّا رَأيْـتُ الحَادِثَـاتِ كـنَـفْنَنِي   وَأوْرَثْـنَنِي بـُؤْسَي ذكَـرْتُ أبَا الحكَـمْ
سَلِيْلَ مَلُوكٍ سَبْعَـةٍ قَدْ تَتَـابَعُوا   هُم المُـصْطَـفَوْنَ وَالمُصَفَّوْنَ بالكَـرَمْ[6]

وقد تجـيء قافيـة الطويـل منتهيـة بالهـاء الـساكنة بعد حـرف روي ملتـزم فـتحسن جــــداً [7] كما في قـــــوله :

أفي طَـلَـلٍ قَـفْرٍ تَـحـمَّلَ آهِلُـهُ   وَقَفْتَ وَماءُ العَيْنِ يَـنْهَلُّ هَا مِلُـهْ[8]

وقوله مادحاً محمد بن عمران :

الَـمْ تَـرَ إنَّ القَولَ يَخْـلُصُ صِدقُـهُ   وَتَـأبى فمَا تَـزْكـُو لِـبَاغٍ بَواطِلُـهْ

ذَمَمْتُ امرَأً لَم يَطْبَعِ الذَّمُّ عَـرضَهُ   قَـليلاً لَـدى تَحصيلِهِ مَنْ يَشَاكلُهْ[1]

---

1) الديوان ص 55
2) الديوان ص 109
3) المرشد 1/ 55
4) الديوان ص 55
5) الديوان ص 200
6) الديوان ص 200
7) المرشد 1/ 55
8) الديوان ص 174

ولـه في الـمنسـرح :

عُوْجَـا نـقَـضِّ الدمُوعَ بَالوقـفَـةْ   عَلَى رسُـوم ٍ كَـالبُـردِ مُنْتَـسَـفَـهْ

بَـادَتْ كَـمَا بَـادَ مَـنـزلٌ خَـلَـقٌ   بَـيْنَ رُبى أرْيَـمَ فَـذي الـحلَـفَـةْ[2]

2/ القوافي الذلل:

وهي التـي تنتهي بحـروف :" البـاء، والتـاء، والـدال،والعين، والميم، واليـاء المتبوعـة بـألف الإطـلاق ، والنـون فـي غيـر التـشديد أسـهلها جميعـا لمـا يعتريهـا مـن حالات الإسناد والجمع والتثنية و لما يقع فيها من صفات علي وزن فعلان والجموع علي وزن فِـعلان وفـُعلان " [3] 0

والباحث في ديوان بن هرمة يرى أنـّه أكثر فـي نظمـه علـى حرف الـراء فقد نظم فيه من البسيط قـــوله :

وفي الشيبِ زجرٌ له لو كان ينزجرُ   وَبَـالـغٌ مِنه لـولا أنــّه حـجــرُ

أبيضّ وأحمرّ مِن فوديه وارتجعت   جليـّةُ الصبح ما قـد أغـفل السحرُ[4]

وله في الطـــــويل :

أدَارَ سَلَيْمَى بينَ يـَيْن ٍ فَمُـتْـعَـرٍ   أبينِي فـَمَا اسْتُخْبِـرتِ إلاّ لـَتَخبري

أبيـنِي حَبـَتـْكِ البَـارقَـاتُ بِوَبْلِهَا   لـَنَا مَنْسماً عَن آل ِ سَلْمَى وَشَغْفَر ِ[5]

وله في الكامــــل :

وَبـَنـَاتُ نَعْش ٍ يـَسْتـَدِرْنَ كَأنـَّهَا   بـَقـَرَاتُ رَمْل خَلـْفـَهُنَّ جَآذِرُ

وَالفَرْقـَدَان ِكَـصَاحِبَيْن ِتـَعَاقـَدَا   تَاللهِ تـَبْرَحُ أوْ تـَزُول عَـنـَا يرُ[6]

أمـا فيمـا يتـصل بداليـاتـه فلـه مـن البـسيط قـصيدته التـي تعـدّ مـن جيَّـد شـعره والتـي يستهلها قائلا :

---

1) الديوان ص176
2) الديوان ص 151
3) المرشد 12/ 58
4) الديوان ص 118
5) الديوان ص 121
6) الديوان ص 114

عـَوْجَا عـَلى رَبْعِ لـَيْلي أمِّ مَحْمُودِ   كـَيْمَا نـُسَائِلـه مِـن دُوْنِ عَـبـَّوْدِ
عـَنْ أمِّ مَـحْـمُـوْد إذْ شَطَّ الـمـَزَارُ بَـهَـا   لـَعـَلَّ ذَلـِكَ يشْـفِـي دَاءَ مَعْمُودِ [1]

وله من الوافــــر:

سَـتَـكْفِـيكَ الحَـوائِجُ إنْ ألـمَّـتْ   عـَلَيْكَ بـصَرَفِ مِـتـَلافٍ مُـفـيْـدِ
فـَتـَّي يَتَـحَـمَّلُ الأثـقـَـالَ مَـاضٍ   مُـطـيْـعٌ جَـدَّهُ آلُ الأسـِــيـْدِ [2]

وله من الكامل :

نـَبْكِي عـَلـَى دِمَنٍ وَنـُؤْيٍ هَـامِدٍ   وَجَـواثِـمٍ سَـفْـعِ الـخـُدُودِ رَوَاكِـدِ
عـُرِّينَ مِن عـقـبِ القـُدُورِ وَأهـلـِهَـا   فـَعـَكـَفـْنَ بَعْدهُـمُ بِـهَـابٍ لأبدِ [3]

وله في الباء من الكامل :

طـَرَقـَتْ عـُلـَيـَّـةُ صُحْبَتِي وَرِكَـابي   أهْلاً بـِطـَيْفِ عُـلَيَّـةَ الـمُـنْـتَـابِ [4]

وله من المنســرح :

دَعْ عـَنْـكَ سَلْمَـى وَقـُلْ مُـحَـبَّرَةً   لِمَاجِدِ الجَدِّ طَيِّبِ الـنـَّسَـبِ
مَحْضٍ مُصَـفـَّى العُرُوقِ يَحْمَـدُهُ   في العُسْرِ وَاليُسْرِ كـلُّ مُـرْتَغِـبِ
الـوَاهِـبِ الخَـيْلِ في أعَــنـَّتِـهـا   وَالوَ صَفَـاءِ الحِسَانِ كَـالـذَّهِبِ
مَجْـداً وَحَـمْـداً يـُفِيْدُهُ كـَرَمـــاً   وَالحَمْدُ في الـنَّاس خَبْرُ مكتَسَبِ [5]

وعنده من التائيات قوله في الطويل :

أتَـاني وَأهْـلِـي بَاللـّوى فوقَ مَـثـْعَرٍ   وَقـَدْ زَجَرَ اللـَّيْلُ الـنَّجْوَمَ فـَوَلـَّتِ
وَفـَاةُ ابنِ عَـبَّاسٍ وَصيٍّ مُـحَمَّـدٍ   فـَأبْـتُ فِـراشي حَـسْرَةً مَا تَجَلـَّتِ [6]

وقد بني ابن هرمة عدداً من قصائده على حرفي اللام والميم فقد نظم حوالي ستة وأربعين قصيده ومقطوعة في اللام ، وخمسه وثلاثون قصيده ومقطوعة في

1) الديوان ص 101
2) الديوان ص 100
3) الديوان ص 104
4) الديوان ص 66
5) الديوان ص 68
6) الديوان ص 69

الميم "والميم واللام من أحلي القوافي ، لسهولة مخارجها وكثرة إصولهما في الكلام من غير إسراف 000 والباء والراء والدال تليانهما " [1] وقد جاء نظم ابن هرمة على حرف اللام وتليها الراء ثم الميم فقد قال في اللام من الطويل

إلَـيْكَ أميـرَ الـمُـؤْمنينَ تَـجَـاوَزَتْ   بَـنَـا بِـيْدَ أجْوَازِ الـفَلاةِ الرَوَاحِلُ [2]

وله من البسيط :

أرَسْمُ سَوْدَةَ مَحْلٌ دَارِسُ الـطَّـلَـلِ مُـعَـطَّـلٌ رَدَّهُ الأحْـوَالُ كَـالـحـلَـلِ

لَـمَّـا رَأى أهـلَـهَا سَدُّوا مَطَـالِعَهَـا   رَامَ الـصُّدُودَ وَعَادَ الـوَدُّ كَـالمَـهَـلِ [3]

وله من المنسرح :

لاَ أمْـتِـعُ الـعُـوْدَ بالـفِـصَـالِ وَلاَ   أبْـتَـاعُ إلاَّ قَـرِيْـبَـةَ الأجَـلِ

لاَ غَـنَـمِـي في الحَـيَـاةِ مُـدَّ لَـهَـا   إلا دِرَاك الـقِـرى وَلاَ إبـلِـي

كَمْ نَـاقَـةٍ قَدْ وَجَأتُ مَـنْـحَرهَا   بِمُسْتَـهَـلِّ الـشُّؤْبُوبِ أوْجَمَلِ [4]

وله من المتقارب :

أتَتْكَ الرَّواحِلُ و المُلجَمَـاتُ   بعيسَي بنِ مُوسي فَلا تَعْجَلِ [5]

وله في الـمـيـم :

قُلْ لِلَّـذي ظَـلَ ذَا لَـوْنَيْنِ يَـأكُـلُـني   لَـقَـدْ خَـلَـوْتَ بِـلَـحْمٍ عَادِمِ البَـشَمِ [6]

ونظم ابن هرمة علي حرف العين برغم أن العين " فيها شيء من عسر بالنسبة إلى غيرها من الذلل " [7] وله في العين من الطويل :

إذ أنـتَ لَـمْ تَـأخُذْ مِـن اليأسِ عِصْمَةً تُـشَـدُّ بَهَا في راحَتَيكَ الأصَابِـعُ

شَرِبْتَ بِطَـرْقِ المَاءِ حَيثُ وجَدَتهُ   عَلَى كَدَرٍ وَاسْـتَعْبَدتـْكَ المَطَـامِعُ [8]

---

1) المرشد 1/ 60
2) الديوان ص 167
3) المهل ما ذاب من صفر وحديد (اللسان) / الديوان ص 179
4) الديوان ص 183
5) الديوان ص 186
6) الديوان ص 214
7) المرشد 60/1
1) الديوان ص 140

وله من الكامـل :

أذكَـرْتَ عَصرْكَ أمْ شَجَتْكَ رُبُـوعُ   أمْ أنـتَ مُـتَـبَّـلُ الفـُـؤَادِ مَضـُـوعُ

أحَمَامَةٌ حَلَبَـتْ شـُؤُونـَكَ أسْجـمَا   تـَدْعُو الهَدْيلَ بذي الأراكِ سُجوعُ

أمْ مَـنـزِلٌ خَـلَـقٌ أضرَّ بِــهِ الـبلِى   وَالـريْـحُ والأنـْوَاءُ وَالـتـّـوْدِيْـعُ [1]

أما الكاف إذا جاءت مفتوحة أو مكسورة فأمرها أيسر ، لإمكان استعمال الضمائر ، ومع ذلك فأكثر الفحول قد أقلـّوا منها [2] وقد نظم ابن هرمة في الوافـر :

عـَقـَقـْتَ أبَاكَ ذَا نَـشَـبٍ وَيُـسْرٍ   فـَلـَمَّـا أفـْنـَتِ الـدُّنـْيَـا أبـَاكـَا

عَلِقـْتَ عَدَاوَتي هَذي لـَعَمْري   ثِيَابُ الشرِّ تـُلـْبِسُهَا عِرَاكـَا[3]

القاف حرف متحامي عنه وجياده ليست كثيرة[4] وقد استعمله ا بن هرمة في البسيط في قـــــــوله :

وَمُعْجَـبٍ بَمدِيْح الشـّعْرِ يَـمْـنـَعـُهُ   من المَديحِ ثـَوابُ المَدْحِ وَالـشَّـفـَقُ

يَا آبيّ المَـدْحِ مِن قـَوْلٍ يَحَبِّـرُهُ   دُونـيـقـَةٍ في حَوَاشي شِعْـرِهِ أنـَقُ [5]

وله من الطــويل :

كـَرَيمٌ إذا مَا شَـاءَ عَـدَّ لـَـهُ أبـاً   لـَهُ نـَسَـبٌ فـَوْقَ الـسِّمَاكِ الـمُحَلـِّقِ

وَأمّـاً لهَا فـَضْلٌ عَلى كـُلِّ حُـرَّةٍ   مَـتى مَا تـُسَايقْ بابنِهَا القـَوْمَ تَسبِقِ [6]

أما الفاء فصعبة جداً ومع عسرها ففيها جيِّد كثير[7] ،ولم يكثر فيها ابن هرمـة ، فلـه فيها أبيات متفرقة :

فـَقـُلتُ لِقـَيْـنـَيَّ ارفـَعـَاهَا وَحَرِّقـَا   لـَعَلّ سَنـَا نـَاري بآخَرَ تـَهـْتِـفُ [8]

---

2) الديوان ص 144
3) المرشد 1/ 61
4) الديوان ص 163
5) المرشد 61/1
6) الديوان ص 156
7) الديوان ص 160
8) المرشد 62/1
1) الديوان ص 153

" الجيم حرف خداع ظاهره فيه الرحمة، وباطنه من قبله العذاب، والمتخيرات فيه قليلة جدا، وأكثر ما استعملت الجيم عند القدماء في الوافر، والطويل، والرجز، وجاء شيء منها في البسيط [1] ولابن هرمة في الجيم من الوافر مقطوعته التي يقـــول فـــيها :

غَدَا بَلْ رَاحَ واطـَّرَحَ الخُلاجَا وَلـمَّا يَقْضِ مِنْ أسْمَاءَ حَاجَا

كَيْفَ لِقَـاؤُهَا بِعُفَارِيَاتٍ وقَدْ قَطَعَتْ ظَعَائِنُهَا النَّبَاجَا [2]

ومـــن البســـيط لـه :

أمَّا السَّرِيُّ فَإنِّي سَوْفَ أمْدَحُهُ وَمَا المَادِحُ الذَّاكِرُ الإحْسَانَ كَالهَاجي

ذَاكَ الَّذِي هُوَ بَعدَ اللهِ أنقَذَني فَلَسْتُ أنْسَاهُ إنْقَاذِي وَإخْرَاجي [3]

والحاء مهملة دون الجيم في العسر وجيادها أكثر [4] ولابن هرمة قصيدة مدح بها عبد الواحد يقول فيها :

حَمَيْتُ حمَاكَ في مَنَعَاتِ قَلْبي فَلَيْسَ حِمَاكَ عِنْدِي بِالمُبَـــاحِ

وَجَدْنَا غَـالِباً خُلِقَتْ جَنَاحاً وكَانَ أبُوكَ قَادِمَةَ الجَنَاحِ

وَأنْتَ مِن الغَوائِلِ حيْنَ تُرمى وَمِن ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ [5]

وله مقطوعة حائيه حسنة وصف فيها المطر حيث يقول :

ألَـمْ تَـأرَقْ لِضَوْءِ البَـــرْ قِ في أسْـحَـــمَ لَـمَّاحِ

كَأعْنَاقِ نِسَاءِ الهِنْـــــدِ قَدْ شِيبَتْ بَأوْضَاحِ [6]

والسين قليلة الأصول في المعاجم ،أصولها أقلَّ عددا من أصول الفاء ، والقاف ومع ذلك ففيها جيَّد كثير ، وأكثره في الخفيف والمنسرح والسريع[1] ولابن هرمة في السين مقطوعتين الأولي من البسيط ، والثانية من الطويل يقول في الأولي

2) المرشد 1 /64
3) النباجا: عدد ياقوت عدة مواضع بهذا الاسم في بلاد العرب / الديوان ص 75
4) الديوان ص 77
5) المرشد 66/1
6) الديوان ص 87
7) الديوان ص 88

لَـمَّا تَعرَّضْتُ للحَاجَاتِ وَاعـتـَلـَجَتَ   عِنْدي وَعَادَ ضَمِيرُ القَلْبِ وَسْوَاسَا [2]

" فالطويل فيه مقطوعات حسنه من السين " [3] ولابن هرمة من الطويل قوله:

قِفَا فَـهرِيقـَا الدَّمْعَ بالمَنـْزِل ِالدَّرْس ِ وَلا تـَسْتـَمِلاً أنْ يَطـُولَ بهَا حَبْسي [4]

الهمـزة قريبــة مـن القـوافي الـذلل لكثـرة مـا ورد فيهـا مـن الكلمـات ذوات الألـف الممـدودة للتأنيـث والإلحـاق وأكثـر مـا تجـيء الهمـزة سـهله إذا كانـت بعـد ألـف ممدودة[5] ولابن هرمة همزيَّة منسرحة نظمها بلسان قريش قال فيها :

إنَّ سُلـيَمَي – والله ُ يَكـلــَؤُهَـا   ضَنَتْ بشَيءٍ مَا كانَ يَرزَؤُهـَا

وعَـــوَّدَتـْني فـبـمَا تُعـَـــوِّدُني   أظـْماءَ ورْدٍ مَا كنتُ أجزَؤُهـَــا

ولا أرَاهــَـــا تـَزَالُ ظـَــــالِمـَة ً   تُحـِدثُ لي نَكبَـة ً وَتـَنكـؤُهـَــا

وَتـَزْدَهـيني من غـَيـر فـَاحشـَةٍ   أشـيَاءُ عَنهـَا بالغـَيبِ أنـبـؤُهـَا [6]

3/ القوافي النفر :

هي التي تنتهي بحروف :" الصاد ، الزاي ، الضاد ، الطاء ، الهاء الأصلية والواو " أما الزاي فجاءت فيها كلمات نادرة وهي من غريب الكلام [7]

ولابن هرمة في هذا النوع من القوافي أبيات في الطاء ، وله بيت في الزاي وبيت واحد في الصاد ، حيث قال :

نـَكـَّسَ لـَمَّا أتـَيْتُ سـَــــائِلـَه   وَاعـتـَلَّ تـَنْكِيْسَ نـَاظِم ِ الخَرَز ِ[8]

وقـــــولـه :

وَخـِيْلـَت حِرَاءٌ مِن رَبـِيْع ٍ وَصَيْفٍ   نـَعَامَة رَمْلٍ وَافِــراً وَمُقـَرْ نـصَا[9]

---

1) المرشد 1/ 69
2) الديوان ص 132
3) المرشد 1/ 73
4) الديوان ص 133
5) المرشد 1/80، 81
6) الديوان ص 50
7) المرشد 75/1
8) الديوان ص 109
1) حراء : حبل من بمكة ، (ياقوت) ، الوافر : الكثير الريش ، المقرنص : الذي سقط ريشه فشبه حراء في الربيع والصيف بهذه النعامة ، / الديوان ص 134

وله في الطاء من الكامل :

لِمَن الدَّيَارُ بَحائِلٍ وَالأنْبَطِ   آيَاتُهَا كَوَثَائِقِ المُسْتَشْرِطِ (1)

وقال في الطويل :

أبوك غداةَ المرجِ أورثَكَ العُلى   وخاضَ الوغى إذْ سَال بالموتِ راهط (2)

4/ القوافي الحوش :

هي التي تقوم على حروف : " الثاء والخاء والذال والشين والظاء والغين وكلّها قد ركبها الشعراء فلم يجيئوا إلا بالغث (3) والباحث في ديوان ابن هرمة يرى إنه تنكب عنها طبيعة مثل سائر الشعراء 0

ثالثاً / موسيقا شعره الداخلية :

تهدف الموسيقا الداخلية إلي تقويَّة الإيقاع وجرس الألفاظ ، وإلى زيادة النغم والرنين في القصيدة، ولعلّها ظاهــرة واضحة في الشعر العربي القديم تحكي ولوع العرب بالموسيقا 0

فالعروض " يقيس الموسيقا الخارجية للشعر ، أمَّا هذه الموسيقا الداخلية فإنه يفشل في قياسها؛ لأنها قيم صوتيه خفية ، لا يمكن ضبطها" (4)

ويرى الدكتور عبد الله الطيب أن الانسجام في القصيدة يكون : " من توازن أجزاء الكلّ الواحد ، وهذا التوازن ينشأ من أمرين هما تكرار وحدة الكلّ 000 وتنويع هذه الوحدة ، ولما كان الانسجام كلّه مداره علي التنويع والتكرار ، فمظاهر التكرار لا تتعدى التكرار المحض، والجناس، ومظاهر التنويع لا تتعدى الطباق،

---

2) حائل : موضع بين أراضي اليمامة وبلاد بأهلة ، والانبط : موضع في ديار كلب ابن وبرة (ياقوت) الديوان ص 135

3) الديوان ص 138

4) المرشد 79/1

5) شوقي ضيف " الفن ومذاهبه في الشعر العربي " الطبعة السادسة ، دار المعارف ، مصر بدون تاريخ ، ص78

والتقسيم ، فـهـذه الأصـناف الأربعـة التـي يقـوم عليهـا رنـين البيـت بعـد الـوزن، والقافــــية " [1]

التكـــــــرار:

من مظـاهر الموسيقا الداخليـة التكـرار، ويكـون بتكـرار الألفـاظ بغـرض تقويـة النغم ، ومن صور التكرار عند ابن هرمة قـــوله :

طَـرَقَـتْ عُـلَـيَّـةُ صُحْـبَتِي وَرِكَـابي أهْلاً بِـطَـيْفِ عُـلَـيَّةَ المُـنْـتَـابِ
طَـرَقَـتْ وَقَـدْ خَـفَقَ الـعَـتُومُ رِحَـالَـنَا بِـتَـنُـوفَـةٍ يَـهْـمَاءَ ذَاتِ خَـــرَابِ
فَكَـانَّـمَـا طَـرَقَـتْ بِـرَيَّـا رَوْضَـةٍ مِـنْ رَوْضِ عَوْهَـقَ طَـلَّـةٍ مِعْشَـابِ [2]

وقــــــوله :

شَبَّـتْ وَشَبَّ العَفَـافُ يـتبعُـهَـا فَلَـمْ يُـعَب خِـدنُـها ومَـنْشَـؤُهـا [3]

وقــــــوله :

فِيهِ الإمَامُ وَخَيْرُ النَّـاسِ كُـلِّـهُـمُ بينَ الصَّفَائِحِ والأحجَـارِ والطِّـينِ
فِيهِ الإمَامُ الَّـذي عَمَّتْ مُصِيبَـتُـهُ وَعَيَّـلَـتْ كُلَّ ذي مَالٍ وَمِسكِـينِ
إنَّ الإمَـامَ الَّـذي وَلَّـى وَغَـادَرَنِـي كَأنَّـنِي بَـعْـدَهُ فِي ثَوْبِ مَجْـنُـونِ [4]

فنلاحظ في هذه الأبيات إن التكرار يفيد من قوة الجرس وتأكيد المعنى ، وقد كرر لـفـظ الإمـام ، فأفـاده تأكيـد معنـي الفجيعـة التـي عمَّـت النـاس كلّـهم ، ولـيس عليـه وحـده، وكذلك كرر لفظ "الجار" في قـــــوله :

إنّي إذَا الجَارُ لَـمْ تُحْـفَظْ مَحَارِمُـهُ وَلَـمْ يُقَلْ دُونَـه هَـيْـدِ وَلاَ هَـــادِ
لاَ أخْذُلُ الجَارَ بَلْ أحمي مَبَـاءَتَـهُ وَلَـيْسَ جَارِي كَعُشٍ بَيْنَ أعْوَادِ [5]

وأيضا نلاحظ تكرار" النأي" في قــــــوله :

---

1) المرشد ج2/ص 53- 58
2) الديوان ص 66
3) الديوان ص 49
4) الديوان ص237
5) الديوان ص 105

أفَـاطِمَ إنَّ الـنَّأيَ يُسْلِـي ذَوِي الــهَـوى   وَنَـأيُكِ عَنِّـي زَادَ قَلبي بكُـمْ وَجْـدَا
أري حَـرجاً مَا نِلْـتُ مِن وُدِّ غَيرِكُـمْ   وَنَـافِلَــةً مَـا نِلْتُ مِن وُدِّ كُـمْ رُشْدَا
وَمَا نَلْتَقِـي مِن بَعْدِ نَـأْيٍ وَفُـرْقَـةٍ   وَشَحْطِ نَوي إلاّ وَجَدْتُ لَـهَا بَـرْدَا [1]

فهذا التكرار الذي ألفيناه في الأبيات السابقة ؛ إنما أحدث نغماً وترنيماً في تلك القصائد ، واكسبها حلاوة وطلاوة ، إلاّ أن بعض علماء البلاغة سمّوا هذا النوع تطويلا ً ، ويرى الدكتور عبد الطيب [2] :" إنـَّه ليس من التطويل في شيء ، بل ضرب حسن من التكرار لجرسه وتأكيده للمعنى " ، ومن أمثلة التكرار عند ابن هرمة تكراره لأسماء الحبائب كما في قــــــوله :

صَرَمْتَ حَبَائلاً من حُبِّ سَلْمى   لِهِـنْدٍ مَـا عَـمَدْت لِـمُـسْـتَـرَاحِ
فإنَّكَ إن تُقِمْ لا َ تَلْـقَ هِـنْـداً   وَإنْ تَـرحَلْ فَقَلْبُكَ غَيرُ صَاحي
يَظَلُّ نَـهَــارَهُ يَهْـذِي بِهِـنْـدٍ   وَيَـأرقُ لَـيلَـهُ حَتـَّى الـصَّبَـاحِ [3]

وقـــــــوله :

تَـذَكَّرتُ سَلْمَى وَالـنَّوى تَسْتَبِيعُها   وَسَلْمى المُنى لَو أنَّنَا نَستَطيعُهَا[4]

وقـــــــوله :

أ تَـعذُرُ سَـلْمَى بالنَّوى أمْ تَلُومُهَا   وَسَلْمَى قَذَى العَيْنِ الَّتي لا يَرِيْمُهَا
وَسَلْمَى الَّتي أبهَتْ مَعيناً بعَيْنـِهِ   وَلَـولاَ هَوى سَلْمى لَقَلَّتْ سجُومُهَا[5]

وقـــــــوله :

أرقْـتُ وَغَـابَ عَنِّي مَن يَلُـومُ   وَلَـكِنْ لَـمْ أنَـمْ أنَـا لِـلْـهُـمُـــومِ
أرقـتُ وَشَـفَّـني وَجَـعٌ بِقَـلْـبي   لِزَيْـنَـبَ أوْ أُميـمَةَ أوْ رَعُـومِ [6]

1) الديوان ص 95
2) المرشد إلى فهم أشعار العرب 2/ 139
3) الديوان ص 85
4) الديوان ص 142
5) الديوان ص 209
6) الديوان ص 221

نلمح في هذه الأبيات جوّ النسيب من تذكّر، وتفكّر، وحزن، وحنين، ونزوع إلى الماضي ، وهذه الصورة من التكرار؛ تهدف إلى إشاعة لون عاطفي غامض يقوي الصورة التي عليها بنية القصيدة، ومثل ذلك تكرار المواضع وما له من الأثر السحري ، فقد أكثر الجاهليون من تعداد أسماء المياه والمضارب والمراعي والمراحل [1] وأكثر ابن هرمة من ذكر المواضع على غرار الجاهلين كما في قـــــوله :

حَيِّ الدِّيَارَ بمُنْشدٍ فَالـمُنْتَضَى فَالهَضْبِ هَضْبِ رَووا تَيْنِ إلى لأى [2]
لَعبَ الزَّمَانُ بَهَا فَغيَّرَ رَسمَهَا وَخَرِيْقَه يُغْتَالُ مِن قَبْلِ الصِّبَا [3]

وكذلك قوله :

سَلاَ القَلْبُ إلاَ مِن تَذكَّر لَيْلَةٍ يَجَمْعٍ وَأخْرَى أسْعَفَتْ بالمُحَصَّبِ[4]

وقـــــوله :

أتَاني وَأهْلِي بَاللّوى فوقَ مَثْعَرٍ وَقَدْ زَجَرَ اللّيْلُ النُّجْوَمَ فَوَلَّتِ [5]

وقـــــوله :

فَكَيَّفَ إذَا حَلَّتْ بأكْنَافِ مُفْحلٍ وَحَلَّ بوَعْسَاءِ الحُلَيْفِ تَبيْعُهَا [6]

فهذا التكرار يهدف إلي إشاعة جوّ من الشجو والحنين يضفي على موسيقا القصيدة لونا من الحزن والأسى من خلال الإيقاع 0

رد الأعجاز إلى الصدور :

ويدخل في باب التكرار ما اسماه بعض البلاغيين برد الأعجاز إلى الصدور، وهو أن ترد كلمة من صدر البيت إلي عجزه ، وقد قسّمه أبو هلال إلى

1) المرشد 2/ 94
2) منشد : موضع بين ر ضوى وبين الساحل جبل من حمراء المدينة / المنتضى ، ورواوة : أودية بين الفرع والمدينة والشاعر ثنى رواوة لإقامة الوزن / لأى من نواحي المدينة (ياقوت)
3) الديوان ص 53
4) الديوان ص 68
5) الديوان ص 69
6) الديوان ص 142

ثلاثة أقسام فمنه ما يوافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في النصف الأول ، ومنه ما يكون حشو الكلام، ومنه ما يقع في حشو النصفين [1] وفي ذلك قول ابن هرمة :

وَبَوَّاتْ في صَمِيم مَعشَرها فَـنَمَّ في قَـوْمِهَا مُبَوَّءُهَا [2]

فردَّ عجز البيت على صدر المصراع الأول (بؤات 000مبوءها) كقوله أيضا :

كَثَاقِبَةٍ لِحِلْيٍ مُسْتَعَارٍ بأذْنَيْهَا فَشَأنَهُمَا الثُقُوبُ [3]

فردَّ كلمة " الثقوب" على "ثاقبة "، ومن ذلك أيضا قوله :

تُسَائِلُ عَنْ سَلْمى سَفَاهاً وَقَد نَأتْ بِسَلْمى نَوّى شَحْطٌ فَكَيْفَ تُسَائِلُهْ [4]

فردَّ كلمة "نسائله" على " نسائل" ومما يقع في حشو الكلام قوله

وَحُبِسْتُ عَنْ طَلَب المَعِيشَةِ وَارْتَقَتْ دُوني الحَوائِجُ في وُعُورِ المُرْتَقَي[5]

وقوله :

أتَيْنَاكَ تُزْجي حَاجَةً وَوَسيْلَةً إليكَ وَقَدْ تَحْظَى لَدَيْكَ الوَسَائِلُ [6]

فردَّ "المرتقي" على" ارتقت" في البيت الأول ، و"الوسائل "على "وسيلة " في البيت الثاني 0

وما وقع في حشو النصفين قوله :

مَنْ يَعْتَمِدْكَ ابنَ عَبدِ اللهِ مُجتَدِيَاً لِسَيْبِ عَرْفِكَ يَعْمَدْ خَيْرَ مَعْمُود[7]

الجنــــــاس:

من مظاهر الموسيقا الداخلية الجناس، وهو ضرب من التكرار، وله ما للتكرار من تأكيد النظم وزنته ، " فتكرار بعض الحروف أو الكلمات يكسب الشعر

1) الصناعتين ص 385
2) الديوان ص 49
3) الديوان ص 59
4) الديوان ص 174
5) الديوان ص 54
6) الديوان ص 168
7) الديوان ص 102

لوناً من الموسيقا تستريح إليه الأذن وتقبل عليه " [1] ومن الجناس في شعر ابن هرمة قـــــــوله :

وَعـَادَ أمْوَاهُـهَا سَدْماً وَطَارَ لهَا   سَهْــمٌ دَعَا أهْلَـهَا للصّرْمِ وَالعِلَـلِ
صَدُّوا وَصَدَّ وَساءَ المَرءَ صَدُّهُمُ   وَحَام لـلوِرْدِ رَدهاً حَوْمَـةَ العَلَـلِ [2]

فقد جانس بين لفظي" العِلَلِ" في البيت الأول ، و "العَلَلِ" في البيت الثاني فالأول بكسر العين والثانية بفتحها 0

وينقسم الجناس اللفظي إلى نوعين تام وغير تام فالتام هو ما أتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة " نوع الحروف ، وعددها ،وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، و ترتيبها " مع اختلاف المعني 0

والجناس التام ليس بالكثير عند ابن هرمة شأنه في ذلك شأ ن القدماء لم يكثروا من الجناس التام ؛ لأنَّه لا يتفق للبليغ إلا ندرة وقلـّة 0

أمَّا الجناس الناقص فهو ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان في واحد أو أكثر من الأمور الأربعة السابقة كقول ابن هرمة :

عَفَا رَسـُمُ الـقـُرِيَّةِ فَالكَثِيْبُ   إلى مَلـْحَاء لَيسَ بَهَا عَرِيْبُ
تَأبَّدَ رَسْمُهَا وَجَرَى عَلَـيْهَا   سَفـِيُّ الرِّيْحِ وَالتُّرْبُ الغـَرِيْبُ [3]

فجانس بين كلمتي" عريب ، وغريب "، ومن أمثلة الجناس الناقص قوله

وفي الشيبِ زجرٌ له لو كان ينزجرُ   وَبَالِغٌ مِنه لولا أتـّه حَجرُ [4]

فجانس بين " زجر، وحجر " وهو جناس ناقص لاختلاف اللفظين في توع الحروف كقوله أيضا

وَإنّي وَإنْ كَانَتَ مَراضاً صُدُورُكُـمْ   لَمُلْتَمِسُ البُقْيَا سليْمٌ لَكَمْ صَدْري

---

1) موسيقا الشعر ص 49
2) الديوان ص 180
3) الديوان ص 58
4) الديوان ص 118

وإنْ ابنَ عـَمِّ الـمَـرْءِ مَن شَدَّ أزْرَهُ وَأصْبَحَ يَحْمي غـَيْبَـهُ وَهـوَلا يَدْ ري[1]

وجانس بين " صدرى ، ويدرى" ، فاستعمال ابن هرمة للجناس يجعل موسيقاه قويه تأثر في النفس 0

المقابلة :

ومن مظاهر الموسيقا الداخلية المقابلات ، والمقصود بها أن يأتي الشاعر بلفظ أو تركيب ثم يقابله بلفظ آخر أو تعبير يكون ضده من جهة المعني ؛ وذلك لتقوية الجرس اللفظي وإيجاد الانسجام بين الألفاظ والمعاني، والمقابلات كثيرة في شعر ابن هرمة كقوله :

أمَوتُ إذا شَطـَّتْ وَأحيَـا إذا دَنـَتْ وتـَبْعَثُ أحزَاني الصّبَـا وَنسيْمُهَا [2]

قابل بين لفظي " أموت وشطت " من جهة وبين " أحيا و دنت " من جهة على الترتيب ، ومثله أيضا :

وَإنَّ الكـَرِيْمَ مَن يُكرِّمُ مُعْسِراً عَلي مَا اعْتَرَاهُ لاَ يُكَرِّمُ ذَا يُسْرِ[3]

قابل بين الشطرتين على الترتيب فلفظة " يكرم " في الشطر الأول يقابلها " لا يكرم " في الشطر الثاني " معسرا " يقابلها " ذا يسر" فقد جمع لفظين في جهة وقابلهما بلفظين متضادين معهما في المعني من الجهة الأخرى علي الترتيب وكذالك قـــوله :

ألـَمْ تـَرْ إنَّ القـَوْلَ يَخْلصُ صِدِقـُهُ وَتـَأبى فـَمَا تـَزْكـُو لبَاغٍ بَـواطـِلـُهْ [4]

قابل بين " يخلص صدقه" أي يبقي وبين " ما تزكو بواطله " أي لا تبقي ، ومن جيَّد مقابلاته :

وَإنّـكَ إذْ أطـْمَعـتـَنِي مِنكَ بالرِّضَا وَ أيأسْتَنِي مِن بَعدِ ذلكَ الغـَضَبْ

1) الديوان ص 126
2) الديوان ص 211
3) الديوان ص 126
4) الديوان ص 176

كَمُمْكِنَـةٍ مِن ضَرعِهَا كَفَّ حَالِبٍ   وَدَافِقَـةٍ من بَعدِ ذلكَ مَا حلَبْ [1]

مقابل بين " أطمعتني بالرضا " و " أيأستني بالغضب"، حيث رسم لنا صورة لهذا الرجل في حالتي الرضا والغضب 0

كلَّ ما سبق من طباق ومقابلات تظهر لنا قدرة ابن هرمة علي تمكنه من استخدام هذا الفن البديعي استخداماً يقرّب الصورة ويزيدها حسناً دون إسراف أو إلحاح 0

التقسيم:

من سمات الموسيقا الداخلية كذالك التقسيم ، وقد اختلف الناس في تعريفه فابن رشيق يقول[2] : هو " استيفاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به " وأبو هلال العسكري يعرفه : " التقسيم إن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي علي جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه ، من ذلك قوله تعالي : " هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً " وهذا عنده أحسن تقسيم؛ لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع ، وليس فيهم ثالث" [3] 0

وعرَّف المحدثون كذلك التقسيم فقال عبد الطيب في تعريفه : " هو تجزئة الوزن إلي مواقف يسكت فيها اللسان،أو يستريح أثناء الأداء " [4] والتقسيم ترصيع ، والترصيع موسيقا حلوة، يزيدها التقسيم عذوبة ونغماً ،والتقسيم ضروب وأنواع ، ولكننا نقتصر الحديث عن التقسيم السجعي المرصع لما فيه من موسيقا واضحة تناسب ما نحن فيه من درس ويتجلى التقسيم السجعي عند ابن هرمة في قوله :

إذَا مَا أبى شَيئـاً مَضى كالـَّذي أبى   وَإنْ قَالَ إنـِّي فاعِلٌ فهـوَ فَاعِلُ

1) الديوان ص 55
2) العمدة 2/ 30
3) الصناعتين ص 341
4) المرشد 2/ 303

كَرِيْـمٌ له وَجهَان ِوَجْهٌ لَدى الرضَا   أسِيْلٌ وَوَجْـهٌ في الكَريهـَةِ بَاسِـلُ [1]

فقد جعل للخليفة وجهين مختلفين أحدهما في حالة الرضا والأخر في حالة البأس ثم أضاف لكل حالة صفة تناسبها " فالطلاقة في الرضا والبسالة في الحرب "

ومن ذلك قوله أيضا :

فَقَدَ أحرَزَتْ منـِّي فـُؤَاداً مُـتَيَّماً   وَعـَيْناً عـلَيهـَا لاَ تَجفُّ دُمُوعـُهَا [2]

فأي شيء يمكن أن تحرزه المحبوبة من المحب غير الفؤاد المتيم والعين التي لا تجف دموعها

وَأنْتَ مِن الغَوائـِلِ حيْنَ تُرمى   وَمِن ذَمِّ الـرِّجَالِ بمُـنْـتَـزَاحِ [3]

وقــوله :

إلي مَلـكٍ لا إلي سُوقــة   كسَتْه المـلوك دُرًا تاجـهـا

تَحـُلّ الـوفــود بـأبـوابـه   فتَلْقى الغِنى قَبْل إرتجاجها [4]

أيضا من بديع تقسيمه :

لَـهُ لَـحَظَـاتٌ عَن حـفَـافي سَريرهِ   إذَا كَـرِّهَا فيهَا عِـقَـابٌ ونـَائِلُ [5]

فجعل للخليفة لحظات تنبي عمَّا فيها من عقاب ونائل فالخليفة إما أن يعاقب المخطئ إما إن يكافئ المحسن 0

حَيِيٌّ تَقِيٌّ سَاكنُ الـقَـوْل وَادِعٌ   إذا لَمْ يـُنـَر، شَـهْـمٌ،إذَا تـِيْرَ مَانِعُ [6]

وصف ممدوحه بأنَّه شهم إذا لم ينر، ومانع إذا تير، ولبس هناك حالة اخري0

التصريع :

ومن حرصه علي الموسيقا ، وحلاوة النغم ؛عمد ابن هرمة في كثير من قصائده علي أن يشاكل بين الكلمتين الأخيرتين في البيت العروض والضرب ،

---

1) الديوان ص 167
2) الديوان ص 143
3) الديوان ص 87
4) الأغاني 6/ 120
5) الديوان ص 168
6) الديوان ص 141

كأنـّه بذلك يحاول أن يجعل للبيت قافية واحدة داخلية وأخري خارجية ومن أمثلة ذلك عند ابن هرمة قـوله :

إنَّ سُلـَيمَي - وَاللهُ يَكـلـَؤُهــَا- ضَنّتْ بشَيء ٍ مَا كانَ يرزَؤُهَا [1]

وقـــــــوله أيضا :

عَفَا رَسْمُ القـُريَّةِ فَالـكَثِيْبُ إلى مَلْحَاء لَيسَ بَهَا عَـرِيْبُ [2]

وقــــــوله :

غَدَا بَلْ رَاحَ وَاطـَّـرَح الخـُلاجَا وَلمَّـا يَقـْض ِ مِنْ أسْمَاءَ حَاجَا [3]

وقـــــــوله :

أألحمَامَةُ في نـَخَل ِابـنَ هَدَّ أج ِ هَـاجَتْ صَبَابَةُ عَاني القَلْبِ مُـهـْتَاج ِ[4]

وقـــــــوله :

عَوْجَا عَلى رَبْع ِ لَيْلي أمِّ مَحْمُود ِ كـَيْمَا نـُسَائِلـه مِن دُوْن ِ عَبـَّوْدِ [5]

وقـــــــوله :

تـَذَكـَّرتُ سَلـْمَى وَالـنَّوى تـَسْتـَبِيعُها وَسَلـْمى الـمُنى لـَو أنـَّنـا نـَسْتـَطيعُهَا [6]

وقـــــــوله :

أذكـَرْتَ عَصْرَكَ أمْ شَجَتـْكَ رُبُـوعُ أمْ أنـْتَ مُـتـَبَّـلُ الفُؤَادِ مَضـُوعُ [7]

وقـــــــوله :

أفي طَـلـَلٍ قـَفْرٍ تـَحـمَّـلَ آهِـلـُهْ وَقـَفـْتَ وَماءُ العَيْن ِيَنـْهَلُّ هَا مِلـُهْ [8]

وقـــــــوله :

---

1) الديوان ص 48
2) الديوان ص 58
3) الديوان ص 57
4) الديوان ص 76
5) الديوان ص 101
6) الديوان ص 142
7) الديوان ص 143
8) الديوان ص174

سَرىَ ثَـوْبَـهُ عَنكَ الصِّبَا المُتَخَايلُ وَوَدَّعَ للبَيْنِ الخَليْطُ المُـزَا يلُ [1]

الملاحظ إن الشاعر في الأبيات السابقة أتي بالتصريع في أوائل القصائد إلاّ إنـَّه قد يأت به في أول القصيدة ويصرَّع خلالها كما في قصيدته التي يقول فيها :

أجَارَتَنَا بـذِي نَـفَرٍ أقِـيْمِـي فَمَا أبكي عَلى الـدَّهْرَ الـدَّمـيـمِ

وصرَّع في البيت السادس قائلا:

أرقْـتُ وَغَـابَ عَنـِّي مَن يَلـُومُ وَلـَكـنْ لـَمْ أنـَمْ أنـَا لـلـهُمُــومِ [2]

وقـــــــوله :

يا ذَا الـمنوّهُ تـدعوني لـتـُسـمـعَني مواعـظـاً من جميلٍ رأيُهُ حَسَنِ

وصرَّع في البيت الخامس قائلا :

إلاّ مقالـة أقـوامٍ ذوي إحـن وما مقالُ ذوي الشحناءِ والإحنِ [3]

وقد يترك التصريع في أول القصيدة لبجيء بـه في وسطها ، كأنـَّما يفتتح القصيدة من جديد حيث يقـول :

وَجَدْنَا غَـالِباً خُـلِقَـتْ جَنَـاحـاً وَكَـانَ أبـُوكَ قَـادِمَــةَ الـجَـنـَـاحِ [4]

وقـــــــوله :

فَلَـمْ أرَ في الأقْوَامِ مِثـْلَكَ سَيِّدَاً أهَشَّ بَمعْرُوفٍ وَأصْدَقَ مَوْعِـدَا [5]

الـتطـــــــريـز :

ومن مظاهر الموسيقا عند ابن هرمة التطريز، وهو وقـوع كلمات متساوية الوزن علي مدي القصيدة كلـَّها أو بعضها، وليست محصورة في بيت واحد ومثله وقــــــوله :

وَلَمْ يَنـْسَ أظـْعَانـاً عَـرضْنَ عَـشِيَّةً طَـوالِع من هَـرْشَي قَـوَ اصِدَ عَزْوَرَا

---

1) انظر الديوان ص 169
2) الديوان ص 221
3) الديوان ص 235
4) الديوان ص 87
5) الديوان ص 94

حَوَائِمُ في عَينِ الـنَّعيْمِ كـَأنـَّمَـا   رَأيْنـَا بهِنَّ العِيـْنَ من وَحْش صَوَّرَا[1]

فالكلمـات : " طوالـع ، و قواصـد ، و حـوائم" ،علـى وزن واحـد فـي غيـر بيـت مـن أبيات القصيدة وواضح ما خلفته من أثر في موسيقا القصيدة

وكذلك قـــــــوله :

إذَا قِـيْلَ أيُّ فَتـيً تـَعْـلـَمـُــونَ   أهـشَّ إلي الضرْبِ بالـدَّابـِلِ

وَأضْرَبَ لِلْقـِرنِ يَومَ الوَغى   وَأطـْعَمَ في الـزَّمَنِ المَاحِـــلِ

أ شَارَت إلـيـْكَ أكـُفُّ الأنـَـامِ   إشَارَةَ غـَرْقي إلي سَاحِـــلِ [2]

فالكلمات : " أهش، وأطعم، وأضرب " كلـَّها متساوية الوزن ، وقد وقعت فـي غيـر بيـت ، فاختيـار الـشاعر لـصفة التفضيل لمـا تحملـه مـن معـانٍ أصـاب بهـا مفاصـل الكلمة، فقد جعل ممدوحه فضلا ًعن غـــيره في هذه الصفات كلـَّها 0

1) الديوان ص 112
2) الديوان ص 195

المبحث الثالث

الصورة الفنية :

ارتبط العرب ببيئتهم ارتباطاً وثيقاً، وامتزجوا بها، وألفوها، وأحسوا بجمال سمائها ، ووهج شمسها ، وتلألؤ بدرها ، كما عرفوا حيوانها ، ونباتها وكثيرا من تفاصيلها ، وهذا الارتباط منح أهل البادية صفاء الذهن وتوقد القريحة ، وميّز تعابيرهم بالدقة وسعة الخيال ، والاحتفاء بالصورة الفنية، وجعلوها عنصرا أساسيا في حديثهم لاسيَّما إذا كانت شعرا، وقد جاءت تشبيهاتهم متشابهة ومتكررة 0

أ / التشبيه :

يعدّ التشبيه عنصراً مهمَّا من عناصر التصوير ، ولعلَّ ذلك يرجع إلى أنَّه يجسد المحسوسات ويصوّرها تصويراً حسياً ، بل هو وسيلة من وسائل الإيضاح تهدف إلي تقوية المعاني ، ويقول ابن رشيق [(1)] : " التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جيهاته ؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه "0

وقد عرفه القزويني فقال [(2)] : " التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى 000 أعلم إنَّه مما اتفق العقلاء على شرف قدره ، وفخامة أمره في فن البلاغة ، وإن تعقيب المعاني به لاسيَّما قسم التمثيل منه أقواه في تحريك النفوس إلى المقصور بها ، مدحا كانت أو ذمَّا أو افتخاراً، أو غير ذلك " ، ويري السكاكي[(3)] : " إن التشبيه يستدعي طرفين مشبها ومشبها به ، واشتراكا بينهما من وجه وافتراقا من آخر"

---

1) العمدة ج1 / ص468
2) القز ويني" الإيضاح في علوم البلاغة " ص121
3) السكاكي "مفتاح العلوم "، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب بيروت ، الطبعة الأولى،2000م ص 439

بما إن الصورة البلاغية في الشعر تهدف إلى كشف الغموض، وتحديد الصورة تحديداً تاماً ، اقتضي ذلك أن يضع الشعراء الشيَّء المجهول لدي المخاطب في صورة الشيَّء المعلوم لديه ، ولعلَّ أهمية التشبيه نشأت من هذا الجانب 0

التشبيه وصوره عند ابن هرمة :

بني ابن هرمة صوره الفنية علي الموازنة الدقيقة بين العناصر التقليدية في الشعر القديم والعناصر التجديدية المستحدثة من الحضارة والثقافة المعاصرة وقد استمدَّ صوره التشبيهيه من البيئة البدويَّة، حيث يتجلى ذلك في وصفه للناقة :

تَرىَ ظِلَّهَا عِنْدَ الرَّوَاحِ كَأنَّهُ إلى دَفِّهَا رَألٌ يَخبُّ جَنِيْبُ [(1)]

يشبه اضطراب ظل الناقة من شدّة سرعتها بولد النعام، وذلك عند الرواح، وهو وقت كلال الإبل ، يريد أن ناقته تكون نشيطة عند ما تكون غيرها متعبة من طول السير ، ومن صوره الحسيَّة التي جارى فيها الأقدمين وصفه الأطلال ، حيث يشبه الرسوم الدارسة بالبرود البالية التي لم يبق منها شيَّء ، حيث يقول :

عُوْجَا نقَضِّ الدمُوعَ بَالوقَفَةْ عَلى رسُومٍ كَالبُردِ مُنْتَسَفَةْ [(2)]

أو كأنَّها سطور فيقول :

أتمضي ولَمْ تُلْمِمْ عَلى الطَلَلِ القَفْرِ لِسَلْمى وَرَسْمٍ بالغَرِيَّيْنِ كَالسَّطرِ[(3)]

وقوله أيضا في وصف الأطلال :

لِمَن الدَّيَارُ بَحائِلٍ وَالأنْبطِ آيَاتُهَا كَوَثَائِقِ المُسْتَشْرِطِ[(4)]

ومن صوره التشبيه عنده قـوله متغزلاً :

وَخُرَّدٌ كَالمَهَا حُورٌ مَدَامِعُهَا كَأنَّهَا بينَ كثْبَانِ النَّقَا بَقَرُ [(5)]

وقـــــوله :

---

1) الديوان ص 60
2) الديوان ص 151
3) الديوان ص 125
4) الديوان ص 135
5) الخرد : اللؤلؤة لم تثقب ، ويريد بها القتاة البكر / الديوان ص 119

وَمَجْلس ِأبْكَارٍ كَأنَّ عُيُونَهَا   عُيُونُ المَهَا أنْضَيْنَ قُدَّامَ رَبْرَبِ [1]

وقــــوله أيضا :

بأوَانِس حُوْرِ العُـيُون ِكَـأنـَّهَـا   آرَامُ وَجْرَةَ جَادَهُنَّ رَبِـيْعُ [2]

فقد شبه عيون النساء بعيون المها والغزلان، و يشبه ابن هرمة فاه محبوبته وريقها بطعم الخمر فـيقــول :

كَأنَّ فَاهَا لِـمَنْ تـُؤنـِّسُهُ   بَعدَ غـُبُوبِ الرُقَـادِ وَالـعِلـَلِ

كَأسٌ فِلِسْطِيـَّةٌ مُعـَتـَّقَةٌ   شِيْبَتَ بمَاءٍ مِن مُزْنـَةِ السبَلِ [3]

ومن ذلك قــوله :

خَوْدٌ تُعَاطيكَ بَعْد رقدَتِـهَا   إذ ا يُلاقي العُيونَ مَهدَؤُهَا [4]

كأساً بـفيهَا صَهبَاءَ مُعرِقَـةً   يَغلُو بأيدي التـِّجَار مَسبَؤهَا [5]

تلمح هنا إن طرفي التشبيه حسيين ، وقد نجده يشبه حسيَّ بعقلي كما في قوله :

كـَأنَّ الـعَـازفِ الـجِـنـّـــيَّ أوْ أصْـوَاتَ أنـَـواحِ

شبه أصوات الرعد بعزيف الجن ، وأحيانا يشبه معقولا بمعقول كما في قوله :

قـَدْ خَبَرْنَاهُ في القَدِيْمِ فألفـيْـ   نا مَـواعِـيدَهُ كَعَيْنِ اليَقِيْنِ [6]

وكثيراً ما يلجأ ابن هرمة إلى صور التشبيه المركبة مثل قوله :

وَإنّـكَ إذْ أطـْمَعـتـَنِي مِنـكَ بالرِّضَا   وَ أيأسْنـَنِي مِن بَـعدِ ذلكَ الغَضَبْ

كَمُمْكِنـَةٍ مِن ضَرعِهَا كَفَّ حَالِبٍ   وَدَافِـقَـةٍ مـن بَـعدِ ذلكَ مَـا حـَلـَبْ [7]

---

1) الديوان ص 69
2) الديوان ص 146
3) الديوان ص 187
4) هدء العيون : منامها وسكونها
5) الديوان ص 49
6) الديوان ص 238
7) الديوان ص 55

يصوّر الشاعر حالته التي سبّبها له الممدوح بعد أن أطمعه بالرضا ثم انقلب عليه غاضبا وأسلمه لليأس ، بصورة ناقة حلوب مكّنت الحالب من درّها ثم ثارت فدفقت في لحظة كلَّ ما حلب 0

ومن صور التشبيه المركب أيضا قوله :

فَإنّي وَمَدْحَكَ غَيْرَ المُصيْــــــبِ كَالكَلْبِ يَنْبَحُ ضَوْءَ القَمَرْ

مَدَحْتُكَ أرْجُو لَدَيْكَ الثَّوَاب فَكُنْتُ كَعَاصِرِ جَنْبِ الحَجَرْ[1]

أراد أن يظهر بخل ممدوحه وموقفه من الشاعر ، فرسم صورتين فصوّر نفسه بالكلب الذي ينبح ضوء القمر فلا يصيب منه شيّء ، والثانية صورة ظمآن يعصر جنب الحجر ليحصل علي الماء وهذا مستحيل ، وقد استخلص هذه الصورة من واقع الحياة وشبه معقولا بمحسوس ، وهذا تشبيه مركب من الطراز الرفيع المسمى تشبيه التمثيل، ومن ذلك قـــوله أيضا :

كأنَّ تَلألُؤَ المَعْروفِ فيهِ شُعَاعُ الشَّمسِ في السَّيفِ الصَّقِيْلِ[2]

وشبه معقولاً بمحسوس فالمعروف أو الخير ينعكس علي وجه الممدوح فيشع علي الناس كما تنعكس الشمس علي السيف الصقيل فيلمع ، ومثله أيضا :

تَرَي الخَيْرَ يَجري في أسِرَّةِ وَجْهِهِ كَمَا لألأتْ في السَّيْفِ جَرْيَةٌ رَونَقِ[3]

جعل الخير يضفي علي وجه الممدوح حياة وشباباً بجريانه في أسرة وجهه فصوّره بصورة تلألؤ السيف ذي الرونق والجمال ، وفي البيت استعارة في قوله :" الخير يجري" ، وقد جمع الشاعر بينهما دون تعقيد أو مجافاة للذوق0

ابن هرمة من أوائل من فتحوا باب التجسيم وتوسع في إدراك العلاقة بين الأشياء ، وصبغها بالحالة النفسية حتى تبدو كلوحة رائعة ، حيث قال :

كَأنَّ عَيْنَيَّ إذْ وَلَّتْ حُمُولُهُمُ مِنّي جَنَاحَا حَمَامٍ صَادَفَا مَطَرا

---

1) الديوان ص 109
2) الديوان ص 191
3) الديوان ص 160

أوْ لُؤْلُؤٌ سَلِسٌ في عِقْدِ جَارِيَةٍ   وَرْهَا نَازَعَهَا الوِلْدَانُ فَانْتَرَا [1]

فهو يصوّر عدم تمكنه من فتح عينه لثقل جفنيه بالدموع المنهمرة بجناحي حمامة ابتلا من المطر فلم يقويا علي الطيران ، ولم يكتف بذلك، فعدل عنها إلى تصوير آخر فصوّر دموعه المنهمرة من عينه بلؤلؤ من عقد على جارية- خرقاء- نازعها الولدان فانتشر، فالخرقاء لا تستطيع أن تتحكم فيَّما معها فتترك الأولاد يعبثون بها حتى كان من أمرها ما كان، وهو كذلك لم يعد يستطيع التحكم في شعوره فترك الأشواق والأحزان تعبث به، ولم يجد رداً لدموعه المنهمرة ، وقد ابتكر الشاعر علائقاً جديدة بين المشبه والمشبه به في هذه الصورة المركبة 0

ويصور نفسه في موضع آخر بعد رحيل أحبابه عنه فيقول :

فَكأنَّمَا اشْتَمَلَتْ مَوَاقِي عَيْنِهِ   يَومَ الفِرَاقِ عَلى يَبِيْسِ الخَمْخَمِ [2]

فصوَّر إحمرار عينيه من كثرة البكاء عليهم ، بصورة من وضع في عينيه يبس الخمخم 0 ويقول في موضع آخر:

ظَعَنَ الخَلِيْطُ بِلُبِّكَ المُتَقَسّمِ   وَرَمَوكَ عَن قَوْسِ الجِبَالِ بِأسْهُمِ

سَلَكُوا عَلى صَفَرٍ كَأنَّ حُمُولَهُم   بالرَّضْمَتَيْنِ دُرَي سَفِيْنٍ عُوَّمِ [3]

ويصوّر رحيل أحبابه عنه، ويقول إنهم رحلوا بعقله الذي شتته الهم والتفكير في فراقهم ، فصوّر حاله وهو يراقب رحلتهم وراء الجبال التي كالقوس ، وأحسَّ بفراقهم فكأنَّما سهم انطلق من هذا القوس وشكا فؤاده ، ثم صوّر حمولهم وهم سائرون بها بين مرتفع ومنخفض بأشرعة السفن العائمة 0

وقد يشبه ظعائن محبوبته بين الأحجار والرمل بصغار النخل حيث يقول :

أظْعَانَ سَوْدَةَ كَالإشَاءِ غَوَادِياً   يَسْلُكْنَ بَينَ أيَارقٍ وَخَمَائِلِ [4]

---

1) الديوان ص 112

2) الديوان ص 219 / الخمخم : نبت له شوك دقيق لصاق بكل ما يتعلق به ، وهو نبات تعلف الإبل،يوضع في العين فتحمر؛ لأنه مؤلم

3) الديوان ص 213

4) الديوان ص 197

ومن صور التشبيه المركب عند ابن هرمة الذي شبَّه فيه لمعان البرق في الليل البهيم بأعناق نساء هنديات مشوبة بوضوح ، وتشبيه المطر المنهمر الثقيل بالبعير الذي لحقه التعب والإعياء وصوت الرعد بعز يف الجن أو أصوات نائحات يندبن ميتا ، فرسم صورة رائعة مطبوعة بطابع البداوة ، توضح مدى إدراكه بالعلاقة بين الأشياء ، حيث يقول :

أَلَمْ تَأرَقْ لِضَوْءِ البَرْ   قِ في أسْحَمَ لَمَّاحِ
كَأعْنَاقِ نِسَاءِ الهِنْـــدِ قَدْ شِيْبَتْ بَأوْضَاحِ
تُوءَامِ الوَدْقِ كَالزَّا   حِفِ يُزْجَي خَلْفَ أطْلاحِ
كَأنَّ العَازِفِ الجِنّيَّ أوْ أصْوَاتَ أنَوَاحِ
عَلَى أرجائها الغُر   تَهَدِّيها بِمِصْبَاحِ [1]

هكذا كانت تشبيهات ابن هرمة زاخرة متعددة الأنواع وخرجت من الجمود والتقليد بما أضفى عليها من حياة وحركة ، وقد غلب التشبيه عنده على الاستعارة وهذا أمر طبيعي؛ لأنَّ العرب منذ الجاهلية أولعوا بالتشبيه فكانوا يكثرون منه في الشعر والنثر على السواء وكانوا يستعملونه في حياتهم اليومية ، وفي ذلك يقول المبرد [2] : " والتشبيه جارٍ كثير في كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد " ، فأمَّا قدامة فقد جعله غرضا من أغراض الشعر الرئيسية كالمديح والنسيب، والهجاء ، والمراثي، والوصف [3] 0

وقد اهتمَّ العلماء بالتشبيه وتتبعوه في أشعار القدماء ، وقاموا بتوضيح الدور الذي يقوم به فابن رشيق يقول[4] : " وسبيل التشبيه - إذا كان فائدته إنَّما هي تقريب المشبه من فهم السامع وإيضاحه له –إن تشبيه الأدون بالأعلى إذا أردت مدحه والأعلى بالأدون إذا أردت ذمه " فأما قدامة فقد خالف المبرد، وابن رشيق في

1) الديوان ص 88
2) المبرد – الكامل في اللغة والأدب ج2/ ص 79
3) قدامة – نقد الشعر ص 51
4) العمدة ج1/ ص 40

بيان دور التشبيه ، فيرى إن التشبيه الجيَّد :" هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد " [1] ، أما ابن طبا طبا فيرى [2] : " إن العرب ضمَّنت أشعارها من التشبيه ما أدركه عيانها وحسها "

ب/ الكـــنايـة :

أحد عناصر البيان عند العرب ، وقد عرفها السكاكي بقوله [3] :" الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك " وقريباً من ذلك تعريف عبد القاهر الجرجاني للكناية حيث يقـــول[4] :" المراد بالكناية إن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكنه يجئ إلى معنى تاليه وردفه "

وهي عند صاحب العمدة [5] " إن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح "

أمَّا القزويني فقد قسم الكناية إلى ثلاثة أقسام فقال : " إن المطلوب بها إمّا غير الصفة ولا النسبة ، أو الصفة أو النسبة " [6] وهي " إنَّما تكون حسنة إذا جمعت بين الفائدة ولطف الإشارة" [7] ، وقد عبَّر ابن هرمة من خلال الكناية عن مشاعره وأفكاره ، ويتجلى ذلك من خلال تصويره لعزة نفسه قائلاً :

أمصُّ ثِمَادِي والمَياهُ كَثِيْرةٌ ... أعَالجُ مِنْهَا حَفْرَهَا وَأكْتِدَادَهَا

وَأرضَى بهَا مِن بَحرٍ آخَرَ إنَّهُ ... هُوالرَّأيُ أنْ تَرضَى النُّفُوسُ ثَمَادَهَا [8]

فكنى في البيتين عن عزة نفسه ، وقناعته بالقليل ، ومثله قوله :

وَأصرفُ عَن بَعضِ المياهِ مَطِيَّتِي ... إذا أعَجَبَت بعضَ الرجَال المَشَارعُ [9]

---

1) نقد الشعر ص 108
2) ابن طبا طبا " عيار الشعر" ص 11
3) مفتاح العلوم ص 512
4) عبد القاهر الجرجاني" دلائل الإعجاز" ، مطبعة محمد علي صبح وأولاده بالأزهر، بدون ط ، ت ص 57
5) العمدة ج1/ ص 270
6) الإيضاح ص 183
7) أحمد مصطفى المراغبي "علوم البلاغة "، دار القلم ، بيروت بدون ط، ت ص 285
8) الديوان ص 97
9) الديوان ص 140

فهنا كناية عن عزّة النفس وعدم قبول الشيء إلاّ إذا كان راضيا عنه مهما بلغ من قيمة ، وفي نفس المعنى يقول :

وَأتـركُ الـثَّـوبَ يوماً وَهـوَ ذُو سَعَـةٍ   وَأَلـبَـسُ الـثَّـوبَ وهوَ الضَّيِّـقُ الخـَلَـقُ
إكـرامُ نفسي وَإنِّي لاَ يُوَ افِقُنِـي   وَلَـو ظَـمِئـتُ فَـحُـمْـتُ المشْرَبُ الرَنَقُ [1]

وقد كثرت الكناية في شعر ابن هرمة وتنوعت فمنها : ما كنى بها عن صفة وذلك مثل قـــــوله :

نَـكَّسَ لَـمَّا أتـَيْـتُ سَـــــائِـلَـه   وَاعـتـَلَّ تـَنـْكـيِـْسَ نَـاظِـمِ الخَـرَزِ [2]

فذكر الاعتلال والتنكيس وهما دليلا البخل ، فقد كنى عن بخل هذا الرجل الذي سأله ولم يعطه شيئاً ، وقد كنى عن صفة الكرم فقال :

إلى ذرا ذي حسبٍ ماجـد   حـمول المغارم فرّاجهـا
تحــلُّ الــوفـودُ بأبـوابه   فتلقى الغنـى قبل أرتاجهـا

فقوله : " حمول المغارم فراجها " كناية عن صفة وهي صفة الكرم وقد كنى عنها بذكر توابعها وروادفها من احتمال المغارم وتفريج الكرب ، وفي البيت الثاني إثبات آخر لصفة الكرم المتاصلة في هذا الممدوح فقد جعل الوفود تحلَّ بأبوابه فتلقى الغنى ، فان غنى الوفود تابع لكرمه وفيض جوده 0

ومثله قـــوله :

لاَ أمـْتِـعُ الـعُـوْذَ بالـفِـصَالِ وَلاَ   أبْـتَـاعُ إلاَّ قـَرِيْـبَـةَ الأجَــلِ
لاَ غـَنـَمِي في الحَـيَـاةِ مُـدَّ لَـهَـا   إلا دِرَاك الـقِــرى وَلاَ إبِـلِـي [3]

فالشاعر لا يمتع النوق بصغارها ، ولا يشترى إلاّ قريبة الأجل ، وليس لغنمه وأبله حظٌ في الحياة ولا يغتنيها إلاّ للقرى ، وهذه كلها دلائل كني بها الشاعر عن صفة الكرم التي يفتخر بها 0

---

1) الديوان ص 158
2) الديوان ص 109
3) الديوان ص 183

ومن عادة العرب المحمودة رفع النار في رؤوس المرتفعات ليهتدي بها السائرون ليلاً ، وفي ذلك يقول ابن هرمة :

فَقُلْتُ لِقَيْنَيَّ ارفَعَاهَا وَحَرِّقَا   لَعَلّ سَنَا نَارِي بآخَرَ تَهْتِفُ [1]

وفي هذا المعني قوله :

إذَا ضَلَّ عَنْهُم ضَيْفُهُمْ رَفَعُوا لَهُ   مِن النَّارِ في الظَّلْمَاءِ ألْوِيَةً حُمْرا [2]

وكذلك يبين ابن هرمة فضل الكلب في استدلال الضيف التائه ، وهذا دليل على الكرم حيث يقول :

وَمُسْتَنْبِحٍ نَبَّهْتُ كَلبي لِصَوْتِهِ   وَقُلْتُ لَه: فَقُمْ في اليَفَاعِ فَجَاوِبِ

فَجَاءَ خَفِيَّ الصَوتِ قَدْ مَسَّهُ الضَوى   بِضَرْبَةِ مَسْنُونِ الغَرارَيْنِ قَاضِبِ

فَرَحَّبْتُ وَاستَبْشَرتُ حَتَّى بَسَطْتَهُ   وَتِلْكَ التي ألْقَى بَهَا كُلَّ آئِبِ [3]

ومن صور الكناية عنده قوله :

قُلْ لِلَّذي ظَلْ ذَا لَوْنَيْنِ يَأكُلُني   لَقَدْ خَلَوْتَ بِلَحْمٍ عَادِمِ البَشَمِ

وقوله فيها :

إنِّي إذَ مَا امروءٌ خَفَّتْ نَعَامَتُهُ   إليَّ وَاستُحْصَدَت منه قَوى الوَذَمِ

عَقَدْتُ في مُلْتَقَى أوداجِ لُبَّتِهِ   طَوْقَ الحَمَامَةِ لا يبلى عَلَى القِدمِ [4]

فقوله : " ذا لونين" كناية عن صفة التلوين والنفاق وقوله : " لقد خلوت بلحم عادم البشم " كناية عن قوته ، إنَّه لا يمّكن أعدائه منه وقوله: "خفت نعامته "كناية عن سرعة الأساة والجهل ، وقوله: " واستحصدت قوى الوزم" كناية عن الحمق والغضب ، أما البيت الثالث فكلَّه كناية عن قدرة الشاعر على هزيمة أعدائه 0

وقد كني عن صفة الشجاعة قائلاً :

لاَ يَستَقِر ولاَ تَخْفى عَلامَتُهُ   إذَا القَنَا شَالَ في إطْرَافِهَا الحرَقُ

---

1) الديوان ص 153
2) الديوان ص 113
3) الديوان ص 64
4) الديوان ص 214

فِي يَومَ لاَ مَالَ عِنْدَ المَرءِ يَنفَعُـهُ   إلاّ السّنَانُ وَ إلاّ الرمحُ و الـدَّرَقُ

يَطعنُ بالـرّمحِ أحـيَاناً وَيضرُبهُم   بِالـسَّيْفِ ثـمَّ يُدانـيهم فـيَـعْـتَـنِـقُ [1]

وكنى عن الشجاعة أيضا في قوله :

وَإنِّي لَمَلآنُ الـعِنَانِ مُـنَـاقِلٌ   إذ ا مَا وَني يَـوماً ألـفُّ سَئُـومُ [2]

فقوله : " ملأن العنان" كناية عن الشجاعة ومجابهة المخاطر0

ومن صور الكناية عنده ما يكنى به عن موصوف ، مثل قوله :

كَأنّي مِن تَـذكُّرِ مَا ألاقي   إذَا مَا أظـلـَمَ اللّـيلُ البَـهِيـْمُ

سَلِيمٌ مَـلَّ منْهُ أقـرَبُوهُ   وَوَدَّعَـهُ المُدَاوي وَالـحَمِيـْمُ [3]

فكلمة (سليم) كناية عن موصوف وهو (الملدوغ) كنو عنه بالسليم تفاؤلاً بسلامته مما هو فيه ، ومن كنايات الموصوف قوله :

ومُكَاشحٍ لَوْلاكَ أصبْحَ جَانِحاً   لِلسِّلْمِ يَرْقى حَيَّتِي وَضِبَابي [4]

وكنى عن انتشار شعره وشيوعه ، فقال :

لأحْبُوَنَّكَ مِمَا أصْطَفِي مِدَحاً   مُـصَاحِباتِ لِعُمَّارٍ وَحُجَّاجِ[5]

كنى عن انتشار مدائحه برواية الحجيج والعمار لها 0

ومن صور الكناية عنده ما يكنى به عن النسبة وذلك مثل قوله :

سَألاعَن الجُودِ وَالمَعْرُوفِ أينَ هُمَا   فَقُلْتُ : إنَّـهُمَا مَاتَا مَعَ الحَكَمِ [6]

فقد جعل الجود والمعروف ملازمان للممدوح في حياته ومماته ، وقريب من ذلك قــــــوله :

ذَاكَ السَّريُّ الـذي لَوْلا تَدَفُقُهُ   بالعُرْفِ مَات حَليف المَجْدِ و الجُودِ [7]

---

1) الديوان ص 158
2) الديوان ص 204
3) الديوان ص 67
4) الديوان ص 278
5) الديوان ص 78
6) الديوان ص 281
7) الديوان ص 102

فقد جعل السري حليف للمجد والجود ، ومن كناياته أيضا قوله :

لدينكَ إنَّ المَجدَ أطلقَ رحلَـه   لـديكَ على خصبٍ خصيبٍ وَمَسْـرَحَ [1]

وقـــــوله :

شَبـَّتْ وَشَـبَّ العـَفَـافُ يـتـبـعُـهَـا   فلـَم يُـعَـب خِـدِنـُها ومَـنَـشَـؤُهــا [2]

وبعد فقد استخدم ابن هرمة الكناية استخداماً واسعاً في معظم أغراضه الشعرية ، مكنياً عن كثير من الأمور التي لم يشأ الإفصاح عنها 0

ج/ الاستعارة :

هي نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وهذا الغرض إمَّا أن يكون شرحاً لمعنى أو الإنابة عنه ، أو تأكيده والمبالغة فيه ، أو الإشارة له بقليل اللفظ [3] 0

وقريب من هذا قول عبد القاهر الجرجاني الذي عرَّف به الاستعارة فقال : " أعلم إنَّ الاستعارة في الجملة أن يكون اللفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا ، تدلّ الشواهد على إنَّه أختص به ، حيث وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم ، فيكون هناك كالعارية " [4] ، أمَّا السكاكي فيرى إن الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه ، ويقول في ذلك : " هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخصّ المشبه به " [5] ثم يأتي القزويني ويقرر إن الاستعارة من المجاز اللغوي لكونها موضوعة للمشبه به ، لا للمشبه ثم

---

1) الديوان ص 84
2) الديوان ص 49
3) الصناعتين ص 268
4) عبد القاهر الجرجاني " أسرار البلاغة " شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي –الطبعة الثانية مكتبة القاهرة 1967م ، ص123
5) مفتاح العلوم ص 477

يضيف بأنَّها من المجاز العقلي ؛ وذلك لأنَّ التصرف فيها أمر عقلي لا لغوي لأنَّها لا تطلق على المشبه إلاّ بعد إدعاء دخوله في جنس المشبه به [1]0

إمَّا صاحب دلائل الإعجاز فيري إن التشبيه كلما زاد إخفاء، ازدادت الاستعارة حسناً [2] ، فإذن الاستعارة ضرب من المجاز يقوم على نقل العبارة من غير ما وضعت له إلى شيّء آخر لا يطابقه كلّ المطابقة ، ولعلَّ الخيال يلعب دوراً مهماً في الاستعارة ؛ إذ يشكّل المعنى الجديد ، فقد تنبه إلى ذلك أبو هلال العسكري فقال[3] : " وفضل هذه الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة أنَّها تفعل في نفس السامع ما لا تفعله الحقيقة " 0

وذهب ابن رشيق [4]إلى : " إن الاستعارة أفضل المجاز ، وأول أبواب البديع ، وليس في حلي الشعر أعجب منها ، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ، ونزلت موضعها "0

وهي من أكثر الأساليب تأثيرا في النفس " والاستعارة يجمع ضروبها ، وتعدّد مذاهبها وشعوبها أعلى مرتبة من التشبيه ، وأقوى في المبالغة منه ، لما فيها من تناسي التشبيه وإدّعاء الإتّحاد بين المشبّه ، والمشبّه به كأنّهما شيء واحد يطلق عليه لفظ واحد " [5] وقد وردت الاستعارة في مواضع عديدة في شعر ابن هرمة ، وقد وردت مرة تصريحية ، ومرة مكنية ، وتظهر إمكانية الاستعارة في قدرتها على التشخيص والتجسيم ؛ وذلك لأنَّها تخلع مظاهر الحياة على الجماد ، وتجسم مظاهر الوجد والشوق والألم ، كما تضفي صفة الحياة على الطبيعة حتى كأنَّها تحسّ وتشعر، وتتجاوب مع الإنسان ، ويتجلى ذلك في قول ابن هرمة :

لَعبَ الزَّمَانُ بِهَا فَغيَّرَ رَسمَهَا   وَخَرِيْقَه يُغْتَالُ من قبْلِ الصِّبَا [6]

---

1) الإيضاح في علوم البلاغة ص 162
2) دلائل الإعجاز ، ص 61
3) الصناعتين ، ص 268
4) العمدة 1/ 435
5) أحمد مصطفى المراغبي "علوم البلاغة " بيروت دار القلم ، بدون تاريخ ، ص 260
6) الديوان ص 53

فقد شخّص الشاعر الزمن وجعله يلعب ويعبث بديار محبوبته ، ويغير هيئتها 0

ومـن استعاراته قـــــوله :

حَلَبتَ هَذى الـدُّهُورَ أشطـُرَهَـا   أبـْتـُرُ أخـْلاقـَهَا وَألـبـؤُهَـا [1]

فاستعار للدهر اشطر، وحلبها كما تحلب الناقة 0 وقد شخّص المدح وجعله يسير حـيـث يقـــول :

لأمْـدَحَـنَّ ابنَ زيدٍ إنْ سَلِمـتُ له   مدحاً يسيرُ إذا ما قلته عَـصَبا [2]

فاستعار للمدح صورة رجل يسير وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على الاستعارة المكنية 0

ومن صور الاستعارة المكنية عند ابن هرمة يقول :

أمْ الـمُخَـبِّرُ إنْ الغـَيْثَ قـَدْ وَضَعتْ   مِـنـْهُ العِشَارُ تـَمَامـاً غـَيـر إخِـدَاجِ

شـَقـَّتْ سَوَائِـفُـهَا بالفـَرْشِ مِن مـَلـَلِ   إلى الأعَارفِ مِـن حـَـزْنٍ وَأولاَجِ

حَتـَّى كـَأنَّ وُجُـوهَ الأرَضِ مُـلـْبَسَة   طـَرَائـِفـاً من سَدَى عَـصْبٍ وَدِيْـبَاجِ [3]

قد شبه المطر المنهمر بالناقة العشراء وحذف المشبه به وهو " الناقة " ويأتي بإحدى صفاته التي تدل عليه وهو" وضعت " أي إنَّ الغيث من ثقله ألقى بكلِّ ما به كما تلقي الناقة بولدها عند تمامه ، ثم يبين أثر هذا الغيث على الأرض فقد اكتست بأنواع من النباتات والزهور فبدت كأنها ثياب بديعة من العصب والديباج ، وفي ذلك استعارة مكنية في قوله : " وجوه الأرض ملبسة طرائق" إذا إنَّه استعار للأرض بعض صفات الإنسان على سبيل الاستعارة المكنية 0

وقد تتعاون الاستعارة مع التشبيه في إظهار الصورة عند ابن هرمة ، حيث يقـــــــــول :

إنِّـي لأطـْوِي رَجَالاً إنْ أزورَهُـمُ   وَفـَيـهُمُ عكـَرُ الأنعَـامِ وَالوَرَقُ

---

1) الديوان ص 52
2) الديوان ص 58
3) الديوان ص 67

طَيِّ الـثِّيابِ التي لَـو كُشِّـفَـتْ وجِدَتْ   فيها المَعَاوِزُ قي التَّفْتِيْش والخرقُ [1]

فـي هـذه الـصورة المعبّرة جمـع بـين التـشبيه ، والاستعارة المكنيـة فـي البيـت الأول حيث شبه الرجال المتروكين المهملين بـالثوب البـالي ثم حـذف المشبه بـه وأتـي بـي شـيء مـن لوازمـه وهـو" الطـي " وعبّـر بهـا عـن تركـه ، وإهمالـه لهـم ، أمـا تـشبيه التمثيل فهو تشبيه صورة تركه للرجال المعيبين بصورة الثياب الباليَّة المطويـة التـي لو كشفت لظهر ما بها من ابتذال ، وبدت عيوبها وكذلك قوله :

تَرَي الخَيْرَ يَجري في أسِرَّةِ وَجْهِهِ   كَمَا لألأتْ في السَّيْفِ جَرْيَةٌ رَونَق[2]

فقد شبّه الخير وانعكاسه على وجه الممدوح بالسيف اللامع ، فقد جعل الخير يضفي على وجه الممدوح حياة وشباباً ، فقد شبّه الوجـه السمح بالسيف المتلألـي ، وعمـد إلـى الاستعارة المكنيـة فـي قولـه :" تـري الخيـر يجـري " فشبه الخيـر بـشيء مـادي وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمـه وهـو" الجـري" وجعلـه دلـيلا عليـه ليظهر المعنوي في صورة حسيّة 0

ومن استعاراته المكنية قوله :

إذ أنْتَ لَـمْ تَـأخُذْ مِـن الـيـأسِ عـصْـمَـةً   تُـشَـدُّ بَـهَـا في راحـتَـيـكَ الأصَابعُ

شَربْـتَ بـطَــرْقِ الـمَـاءِ حَيثُ وجـَدَتـه   عـلَى كـَدَرٍ وَاسْـتَعْبَـدتْكَ المَـطَـامِعُ [3]

فقد شبّه العصمة بشيء مادي تشدّ بـه الأصـابع ، وكذلك شبّه المطـامع بالسيّد الـذي يستعبد مخدوميـه ، وحـذف المشبه بـه فـي كلّ منهمـا وأجـراه علـى سبيل الاسـتعارة المكنية ، فالمطامع تستعبد الإنسان كما يستعبد السيّد القويّ عبده الـضعيف ، ومـن استعارته اللطيفة قوله :

قَدْ عَلِمْ الـمَـعـرُوفُ إنـَّـكَ خِدْنـُـهُ   وَيـعـلـَمُ هـَذا الجُوْعُ أنـَّكَ قَـاتِـلُـهُ [4]

---

1) الديوان ص 158
2) الديوان ص 160
3) الديوان ص 140
4) الديوان ص 176

فقد شخّص الجود والمعرف وجعلهما رجلين يعلمان ، ويدركان فالمعروف يعلم إنَّ الممدوح خدنه ، ويعلم الجوع إنَّ الممدوح قاتله ، وأجرى ذلك على سبيل الاستعارة المكنيّة ، ومن استعارته أيضا قول :

أتَـاني وَأهْـلِـي بَاللّوى فوقَ مَـتْـعَـرٍ   وَقَـدْ زَجَـرَ اللَّـيْـلُ الـنَّجْوْمَ فَـوَلـَّت ِ[1]

حيث شخّص الليل وجعله يزجر النجوم كما يزجر الحادي الإبل، وقد شخّص الشباب وأدعى إنَّه ودّعه ، وأصبح راضياً من بالقليل حيث يقول :

وَودَّعَنــي الـشَّـبَـابُ فَـصرتُ منـهُ   كـَرَاضٍ بالصَّـغـيـْر ِ مِـن العَـظَيْـم ِ[2]

وقد جمع ابن هرمة بين الاستعارة التصريحية، والمكنية في قوله :

وعَـمـيِـْمَـةَ قـد سُقـْتُ فيهَا عَـائِراً   غـُفْـلاً وَمـنـهَـا عَـائـِرٌ مَـوَسُـــومُ

طَـبَّقْتُ مِـفصلَـهَا بغَيْرِ حَدِيْدَةٍ   فَـرَأى العَدُوُّ عنَـاي حَـيْـثُ أقـُومُ [3]

في بيته الأول يشبّه أبيات قصائده بالسهام الصائبة فمنها ما هو طائش لا يقصد به شخصاً بعينه، ومنها ما معروف يقصد به شخص بعينه، وفي ذلك استعارتان تصريحيتان ؛ يريد أن يقول أنَّ من أبياته ما يساق لعامة الناس ممن وقع في نفسه شيء منه وتمكن من حسه وقلبه وتأثر به ، كما إن من أبياته ما يسوقها لإنسان بعينه كأن يهجو أو يمدح أو يرثي ، وهو في جميع الأحوال قادرة على إصابة مفاصل المعاني بكلامه الصائب فيبهر الأعداء ، وفي قوله:" طبقت مفصلها " استعارة مكنية، حيث يشبه القصيدة بالذبيحة ويشبه نفسه بالجزار الماهر الذي يعرف كيف يصيب المفاصل ، ولو بغير حديدة 0

ومن استعاراته التصريحية قوله :

ألا إنَّ سَـلْمى اليوْمَ جَدَّتْ قُوى الحَبْلِ   وَأرْضَتْ بنَا الأعْدَاءَ مِن غـَيـرِ مَا دَخـْلِ[4]

---

1) الديوان ص 69
2) الديوان ص 221
3) الديوان ص 205
4) الديوان ص 188

فقد شبّه الموَّدة بالحبل وحذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية 0

ومن ذلك أيضا قـــــوله :

لَيْثٌ بَحجْر إذَا مَا هَاجَهُ فَزَعٌ   هَاجَ إليْه بِالْجَامٍ وَإسْـــرَاجِ [(1)]

فقد شبّه الممدوح بالأسد وحذف المشبه وهو " الأسد " وأقام المشبه به مقامه دليلا عليه ، وصرح به ذلك على سبيل الاستعارة التصريحية 0

وقال أيضا مشبها محبوبته بالشمس :

تَبَدَّتْ فَقُلتُ الشَمْسُ عَندَ طُلُوعِهَا   بِلَوْنٍ غَنِيٍّ الجلْدِ عَن أثَر الوَرْسِ [(2)]

فقد شبّه محبوبته بالشمس بجامع الإشراق والوضوح في كلّ وحذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية 0

هذا إن كان التشبيه مفردا ، وإن كان مركبا كتشبيه التمثيل فالاستعارة الناتجة استعارة تمثيلية فمن استعارات ابن هرمة التمثيلية قوله :

وَقَبْلَكَ مَا قَدَحْتُ زنَادَ كَابٍ   لأخْرجَ وَرْيَ آبيَةٍ صَلُوْدِ [(3)]

أراد أن يقول إنَّه لم يمدح قبله رجلاً شحيحاً لينتزع منه المكافأة انتزاعاً ، كما يقدح القادح الزناد الكابي أملاً في أن يخرج منه نارا، ولا نار ترجى من آبية صلود فالتشبيه تمثيل حذف المشبه وهو "الشاعر ، والبخيل الشحيح " ، وصرح بلفظ المشبه به وهو القادح مع الزناد الكابي ، فأصبحت الاستعارة تمثيلية 0

وبعد نخلص إلى إن التجسيم والتشخيص يسيطران على معظم صور ابن هرمة الاستعارية وإنَّه من خلالها استطاع أن يظهر جلّ المعاني ، وهذا دليل على براعته في تجسيم المفردات 0

---

1) الديوان ص 78
2) الديوان ص 133
3) الديوان ص100

المجـــــــاز :

وقد استخدم ابن هرمة المجازفي شعره ولكنّه بقلة فمن ذلك قوله :

إنَّ أيَادِيْكَ عـِنْدي غـَيْرُ وَاحدَةٍ   جـَلـَّتْ عـَنْ الوَصْفِ والاحْصَاءِ وَالعَدَدِ

وَلَـيْسَ منهَا يدٌ إلاَّ وأنْتَ بهَا   مُسْتَوجِب الشُّكْرِ مِنّي آخرالأبـَدِ [1]

يقصد بأياديك هنا " أفضاله " وهي مجاز مرسل علاقته السببية ؛ لأنَّ اليد سبب في الفضل فهي التي تمد العطاء والإحسان ، فالعلاقة بين المجاز " اليد " والمعنى الأصلي" الفضل" علاقته السببية لا علاقة المشابهة ، ومنه قوله :

قَدْ كنْتُ أحسبُنِي جَلداً فَضَعْضَعَنِي   قَبْرٌ بِحَرَّانَ فيهِ عَصمَةُ الدِّيْنِ [2]

فقد أسند الفعل" ضعضعني" إلى القبر وهو مكان الميت الذي تسبب في الضعضعة، وليس " القبر" ففي هذه الكلمة مجاز عقلي علاقته " المكانية " وهذا المجاز طريق من طرق البيان ، وهو مادة الشاعر المغلق 0

ومجمل القول في الصورة الفنية عند ابن هرمة إنَّ معظم صوره بدويّة خالصة لا تبعد كثيراً عن البيئة الجاهلية ، ولعلّ ذلك يرجع إلى ثقافة الشاعر البدويّة؛ فقد عكف على دراسة أساليب القدماء يستقي منها مادة شعره ، فحفظ أشعار القدماء محاولا ترسّم خطاهم ، بانياً شعره على منوالهم ، فظهر ذلك في صوره وأخيلته وطرق تعبيره ، ولعلّ الجديد في صور ابن هرمة الفنية كما قلنا من قبل هو قدرته على خلق علائق جديدة بين المشبه والمشبه به ، وكذلك اعتماده على تشبيه التمثيل أكثر من اعتماده على غير من التشبيهات المفردة ، وفتح بذلك باب التصوير الفني الدقيق لمن أتوا بعده ممن اهتموا بالصورة الفنية كابن المعتز، وابن الرومي، والمتنبي، وغيرهم كثيرون 0

1) الديوان ص 108
2) الديوان ص 237

الفصل الـرابع

البنـاء اللغوي

وآراء النقاد

أولاً : لغـــــة شعـــــره

ثانياً : الاحتجــاج بشعـره

ثالثاً : آراء النقاد في شعره

البنـاء اللغوي

أولا / لغة شعره :

تعدَّ اللغـة ركيـزة أساسية فـي الـشعر ، وهـي صـنو المعنـي وبهـا تـنـتقـل الأفكار والأحاسيس من العـقـول إلى الـقـلـوب ، إلى المـتـلـقـّيـن فتكتمل دائرة الإبانـة والإفهام ، وقد أهتمَّ بها علمـاء اللّغـة ، وجعلهـا الجـاحظ مدار التمـايز والتفاضـل بـين

الشعراء [1] ، الذين عملوا على رياضتها فكانت كساء معانيهم ، وبردها وتأنّفوا في انتقائها ، وسعوا في الملائمة بين مفرداتها ؛ وذلك بتوشيتها بضروب من البديع ، كالجناس، والسجع، والتكرار، وحينما تخلى الشاعر الفصيح عن هموم المجتمع ، وسخَّر موهبته لمصلحته الخاصة بالسير في ركاب السلطة ، ودخل في نسيج المجتمع الإسلاميّ أصناف من العجم ، والموالي "الذين لم يألفوا جزالة الفصحى ، وكانوا يطلبون شعراً شعبيّاً عاماً يقاربهم ويقاربونه" [2]، فاستجاب بعض شعراء العصر الأموي لهذا الطلب " وكان هذا نذيراً باستعلاء الرأي العام ، في إملاء أحكامه ومقايسه للشعر " [3]0

فبدأت مراعاة الشاعر لجمهوره ، التي بلغت غايتها في العصر العباسيّ فنظم بعض الشعراء شعراً ، حشدوا فيه الألفاظ السهلة ، حتىّ السوقيّة [4] وجدت لها مكاناً في نظمهم 0

ويقول ابن خلدون[5] : "من خالط العجم أكثر كانت لغته على ذلك اللسان الأصل أبعد لأنَّ الملكة إنَّما تحصل بالتعلّم" ويقول: " وصار أهل الأمصار كلَّهم من هذه الأقاليم أهل لغة أخرى مخصوصة تخالف لغة مضر"0

شهد القرن الثاني الهجري تطوراً واسع المدى في الأدب ؛ نتيجة لتطور الحياة العقليَّة والحضاريَّة في ذلك الوقت ، وقد عاش ابن هرمة في العصر الذي أوضحناه ، ومما لا شك فيه أنَّه نهل من المعين نفسه الذي نهل منه معاصروه ، برغم مما عرف عنه من أنَّه شاعر بدوي ، ربي في ديار بني تميم وعاش فترة صباه في المدينة ، وتردد على أنديتها وشارك في ندواتها ، واتصل بكبار رجال الدولة الأمويّة والعباسيّة ؛ ولابد أن يكون قد تناهى إلى سمعه ملاحظات النقاد

---

1) الجاحظ: الحيوان ص 3، 40
2) البهبيتي " تاريخ الأدب العربي " ص 285
3) المرجع نفسه ص 286
4) قال سلم الخاسر لأبي العتاهية : بعد أن اسمعه بعض شعره (لقد جودتها لو لم تكن ألفاظها سوقية) فرد عليه أبو العتاهية (والله ما يرغبني فيها إلا الذي زهدك عنها) في البهبيتي "تاريخ الأدب العربي" ص 386
5) ابن خلدون "المقدمة " دار الفكر بيروت ، ط3 ، 1996م ، ص 770، 771

والعلماء في البلاغة والبيان ، وبعد دراسة لغة شعره ، يمكن تفصيلها على النحو التالي :

1/ الألفاظ الجزلة :

هي تلك الألفاظ القوية التي تملأ الفم ، التي " تعرفها العامة ولا تستعملها في محاوراتها " [(1)]، والتي تناثرت في شعره، اقتبس عدداً منها من القران الكريم ومن هذه الألفاظ شطت بمعنى بعدت ،و يهماء بمعني الفلاة التي لا ماء فيها ، ولا يهتدي لطريقها ، والمعاوز بمعنى الثياب البالية ، والمرهق بمعني الذي يغشاه الضيفان ، العطبة بمعني القطعة من القطن أو الخرقة تؤخذ بها النار ، القرواح الفضاء الواسع غمر العطيات ، كريم كثير العطاء ،و الثجوج الماء الغزير ، والنشاح الماء القليل ، المرفد بمعنى العطاء والمعونة ، الشحط بمعني البعد ، قمن بمعي سريع الاستجابة واحور بمعني العقل الصافي ، وغيرها من الألفاظ الجزلة الفصيحة 0

وهذه الألفاظ اقرب إلى الألفاظ الغريبة الحوشية التي تجنبها شعراء العصر الأموي والعباسي ، واختاروا لغة المولدين السهلة ، أكان ابن هرمة يتكلفها ؟ أم أنها تصدر عن سجيّة وملكة لا يستطيع لها دفعاً ؟ ، وفي أخبار ابن هرمة ما يؤكد عنايته باختيار ألفاظه ، ومن ذلك ما يروى عنه إنّ رجلاً أنشده بيته :

باللهِ رَبِّكَ إنْ دَخَلْتَ فَقُلْ لَهُ   هَذا ابْنُ هَرْمَة "قائماً" بالبَابِ [(2)]

فقال للرجل : ما كذا قلت أتصدق؟ قال : فماذا ؟ قال : " واقفاً " ثم قال له : " ليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى " [(3)] ، وهذا الخبر يدل على دقة حسّ ابن هرمة بالألفاظ من حيث دلالتها على المعاني ، فقد حرص ابن هرمة على اختيار ألفاظ معبرة عن مقصوده بكلام فصيح وصياغة بليغة ، ومن ذلك قوله :

---

1) المرشد 2/ 13
1) الديوان ص 67
2) الصناعتين ص 67

لاَ أخْذُلُ الجَارَ بَلْ أحمي مَبَاءَتَهُ   وَلَيْسَ جَارِي كَعُشٍ بَيْنَ أعْوَادِ [1]

فالمباءة كلمة فصيحة تعني المنزل للقوم في كل موضع ، وقوله :

إذَا لَمْ تَرْضَ عَنِّي أوْ تَصِلْنِي   لَفِي حَيْنٍ أعَالِجُهُ مُتَاحِ [2]

الحين بالفتح كلمة فصيحة تعني الهلاك ، وأعالجه تعني أزاوله وأمارسه ، ومتاح نعني طويل و ممتد ، وقـــــــوله :

رَأيْتُكَ مُخْتَلاً عَلَيْكَ خَصَاصَةٌ   كَأنَّكَ لَمْ تَنبتْ بِبَعْضِ المَنَابِتِ [3]

مختلا فقير ، وخصاصة نعني الفقر وسوء الحال وهي كلمات فصيحة وردت في القرآن الكريم ، وكذلك قـــوله :

بَني لَكَ (عَبَّاسٌ) مَن المَجْدِ غَايَةً   إلي عِزٍّ قُدْمُوسٍ مِن المَجْدِ أصْيَدَا

وَشَيَّدَ (عَبدُ اللهِ) إذْ كَانَ مِثْلهَا   وَشَدَّ بِإطْنَابِ العُلاَ فَتَشَيَّدَا [4]

فكلمة " قدموس " تعني قديم ، وهي كلمة فصيحة ، أطناب هي مفرد طنب وتعني الحبل الذي تشدبه سردا ق البيت 0

وقد استعان العلماء بشعره للاستدلال به على معاني الألفاظ التي لم يعثروا عليها عند غيره من الشعراء ، ومن ذلك استعماله الفعل (ذرا) بمعني (طيّر) في قوله :

يَذْرُو حَبِيْكَ البيْضِ ذَرْواً يَخْتَلِي   غُلْفَ السَّوَاعِدِ في طِرَاقِ العَنْبَرِ [5]

وكذلك استخدم كلمة (السحاح) بمعنى السمين من الغنم في قوله :

وَبَصَّرْتَنِي بَعْدَ خَبْطِ الغَشُوم   هَذِي العِجَافَ وَهذِي السِحَاحَا [6]

كذلك استشهدوا به على بعض الصيغ التي تخالف الصيغ المطردة والقواعد العامة لإثباتها إلى جانب "الاشتقاقات "الشائعة ومن ذلك قوله :

---

3) الديوان ص 105
4) الديوان ص 86
5) الديوان ص 74
6) الديوان ص 92
1) الديوان ص 123
2) الديوان ص 81

وَكَـأَنَّمَا خُـضِبَـت بِحَمْضٍ مُوْرِسٍ   آبَاطُـهَا مِـن ذي قرُونِ أيَايِلِ [1]

فـقـد استخدم صيغة مفعل من الفعل الربـاعي اورس وابقل مـع إن الأشـهر صيغة فاعل فيهما ، حيث يقـــول :

لَـرُعْتُ بصَفْرَاءِ السُّحَالَـةِ حُرَّةً   لَـهَا مَرتَـعٌ بينَ الـنَّبـيطَـيْنِ مُبْقِلُ [2]

وقد علق الجوهري على ذلك قائلاً :" قالوا أبقل الرمث : إذا أربى وظهرت خضرة ورقه فهو باقل ولم يقولوا مبقل كما أورس فهو وارس ولم بقولـوا مورس وهو من النادر " ويقول صاحب الخزانة في ذلك أيضا : " قال بعض الرواة أبقـلت الأرض وأبقلهـا الله ، وبقل وجـه الغلام إذا حـزج وجهـه ، وقـال بعض علمـاء العربيـة أبقل المكان ومكان باقل ولا تعلمهم يقولون بقل المكان فهو مبقل وقد جـاءت عن العرب ما يرد عليهم ، قال ابن هرمة : لرعت بصفراء 000" [3] ، ومن ذلك قــــوله :

أنـصْبٌ للمنيــَّةِ تـَعْتَـرِيْـهِـم   رِجَـالي أمْ هُـمُ دَرجُ الـسّيُول ِ[4]

استعمل (نصب) بمعنى الشيء المنصوب ، والمعنى الأشهر والأعم لـه (الشر و البلاء) ومـن ذلـك قولـه تعـالى : " وَاذْكُـرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَـادَى رَبَّـهُ أَنِّـي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ " [5] أي مسني بشر [6] 0

2/ الأسلوب الرصين :

مال بعض الشعراء إلى استعمال تراكيب لغويَّة حديثة ، وأسرف البعض في ذلك حتى اقتربت لغة شعرهم من لغة الحياة اليومية وافـتـتـن شعراء كثيرون بهذا الأسلوب السهل كأبي الشيّص الذي" كان الشعر عليه أهـون من شرب الماء على

---

3) الديوان ص 194
4) الديوان ص 172
5) الخزانة ، ج1، ص 23
6) الديوان ص 192
7) سورة ص : الآية 41
8) الخزانة ج1 / ص 203

العطشان " [1] وربيعة الرقي الذي يشبّه أبو الفرج أسلوبه بأسلوب أبي العتاهية المفرط في السهولة [2] وأبي دلامة وأبي الشمقمق .

والحقيقة إنَّ الأسلوب المولّد كان نتيجة للتطور الذي حدث للمجتمع الإسلاميّ ؛ نتيجة لإشاعة مظاهر الترف والرقة فيه الأمر الذي أدى إلى إحساس الناس بالألفاظ فأصبحوا يميلون إلى الرقيق منها ويرفضون الألفاظ الغريبة التي يمجها ذوقهم الحديث ، وسنعرض بعض سمات الأسلوب المولد ؛ لنرى أ كان ابن هرمة استعمله في شعره أم لم يستعمله؟

جعل النقاد أول سمة من سمات الأسلوب المولد اللغة الشعبية السهلة، ومن خلال دراستنا لشعر ابن هرمة نجد ه قد اختار للغة شعره الأسلوب الجزل والتراكيب الرصينة ، وإن كان قد جنح إلى للسهولة في مواضع قليلة جداً , وقد نجد له بيتا أو بيتين في قصيدة غزلية رقيقة، ولكنه لا يصل إلى حد الإسفاف وذلك مثل قوله :

أرقْتُ وَغَابَ عَنِّي مَن يَلُومُ   وَلَكنْ لَمْ أنَمْ أنَا للهُمُومِ
أرقتُ وَشَفَّني وَجَعٌ بقَلْبي   لِزَيْنَبَ أوْ أُميمَةَ أوْرَعُومِ [3]

وهذا الأسلوب يجنح إلى الشعبية ، ولكنه لا يستعمله إلا نادراً على سبيل الظرف،ومن سمات الأسلوب المولّد أيضا الخروج على بعض القواعد اللغوية والنحوية، واستعمال بعض الاشتقاقات البعيدة عن المشتقات المألوفة مثل: "موتنني" والصحيح " أماتتني " مما دعا العلماء إلى استهجانه ومحاربته ، وكان من الطبيعي أن لا نجد في شعر ابن هرمة مثل هذا الخروج على قواعد اللغة والنحو ؛ لأنَّه آخر من يحتج بشعره في نظر النقاد ، وقد استشهد ابن جني في خصائصه ببيت ابن هرمة :

1) الأغاني ج15/ ص104
2) الأغاني ج 15/ ص 37
3) الديوان ص 221

وَأنْتَ مِن الغَوائِلِ حيْنَ تُرمى   وَمِن ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ[1]

في باب مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف مبيناً أنه إذا احتاج الشاعر إلى إقامة الوزن مطل الحركة وانشأ حرف من جنسها كقول ابن هرمة "بمنتزاح" يريد "بمنتزح" وهو مفتعل من" النزح" [2] ومثل هذا قوله :

اللهُ يعلمُ أنَّا في تلَفُّتِنَا   يومَ الفِرَاقِ إلى أحْبَابِنا صُوْرُ

وأنَّنِي حَوثُمَا يَشْرِي الهَوَى بَصَري   مِن حَيثُما سَلَكُوا ادنُوا فأنظُورُ[3]

قال :" أنظور" وهو يريد" أنظر" فاشبع ضمة الظاء فنشأت عنها الواو

ومن شواهد ابن هرمة في النحو قوله :

إحفظْ وَديعَتَكَ التي اسْتُودِعْتَهَا   يَوْمَ الأعَازِبِ إنْ وَصلتَ وَإنْ لَمْ [4]

ذكره السيوطي[5] في شرح شواهد المغني قائلا : يستشهد بالبيت على حذف مجزوم " لم"، وقدّره أبو حيان " إن لم تصل " بالبناء للفاعل ، وقدّره أبو الفتح "إن لم يوصل" بالبناء للمفعول 0

ومن سمات الأسلوب المولّد أيضا استعمال الألفاظ الأجنبية كالفارسيّة، والنبطيّة، والحبشيّة ، وغيرها مما شاع بين العرب واختلط بلغتهم الشعبية ، واستعمله الشعراء مجاراة للذوق العام كما فعل الطّرماح الذي يقول عنه صاحب الموشح كان يكتب ألفاظ النبط والآراميين ويدخلها في شعر ، إذ يقول: " اخبر أبو عمرو بن العلاء أنَّه رأى الطّرماح بسواد الكوفة وهو يكتب ألفاظ النبط ويتعلمها ليدخلها في شعره " [6]، وكان يسأل البدو ومن نشأوا في البادية عن بعض الألفاظ الآبدة ويسلكها في نظمه [7] وكان يوفق بين استخدامها أحيانا ، وأحيانا لا

1) الديوان ص 87
2) أبو الفتح عثمان بن جني" الخصائص "تحقيق محمد النجار، ط 2، دون تاريخ ج2/ص 316
3) الديوان ص 117
4) الديوان ص 201
5) السيوطي – شرح شواهد المغني ص 682
1) المرزباني- الموشح ص 325
2) الأغاني ج12/ ص36/ الموشح ص 326

يوفق ، ومن أجل ذلك رفض العلماء الاحتجاج بشعره وكذلك الكميّت [1] ؛ إذ كان يرجع إلى رؤبة الراجز البدوي فيسأله عن الغريب من الكلم فيخبره به فيكتبه ثم ينظمه في شعره [2] ، كذلك كان يرجع إلى جدتين له أدركتا الجاهلية فكانتا تصفان له البادية وشئونها وينقل وصفهما إلى أشعاره [3]

برغم الجهد المبذول منه رفض العلماء الاحتجاج بشعر وعدّوه مولـّداً أيضا كالطّرماح ، مع أنه لم يشترك معه في ظاهرة تعريب الألفاظ النبطيّة واستخدامها في شعره ، معنى ذلك إنَّ العلماء رفضوا الاحتجاج بشعر من أخطأته الفطرة اللغويّة ، وعدّوا الأسلوب المقلـّد للبدو القدماء من أسلوب المولـَّدين ، وهذه سمة أخرى لهذا الأسلوب صوّرها لنا ذو الرمة حين أنشده الكميّت بعض قصائده يسأله رأيه فيها فقال له : " إنـَّك لتقول قولاً ما يقدر إنسان أن يقول لك فيه أصبت ولا أخطأت وذلك إنَّك تصف الشيء فلا تجيء به ولا تقع بعيداً منه بل تقع قريباً "0

وأعترف له الكميّت بأنَّ مرجع ذلك أنَّه لا يصف شيئاً رآه بعينه وإنَّما يصف شيئا وصف له [4] ، فلا يشترط أن يكون الأسلوب سهلاً رخواً لكي يعدّ من أسلوب المولـّدين فكثيراً ما يكون قوياً جزلاً يحاكي فيه صاحبه الأسلوب العربي القديم و مع ذلك يوصف بأنَّه مولـَّد ؛لأنَّ صاحبه أخطأته فطرة التعبير البدوي- كما رأينا- ولهذا رفض العلماء أخذ اللغة عن الحضر سكان البراري الذين يتاخمون الفرس والروم ، وبلغ بهم التشدد أن رفضوا الأخذ حتى من أهل الحجاز ؛ لأنهم خالطوا الأجانب ففسدت ألسنتهم [5] وأيّاً كان الأمر فإن الشعراء المتحضرين كثرت أعدادهم في هذا العصر كثرة مفرطة ، كما وَجِدَ شعراء آخرون أمثال الفرزدق والأخطل،وذي الرمة ، وغيرهم ممن صدرت أشعارهم عن سليقة عربية سليمة ،

---

3) الموشح ص326
4) الأغاني ج12/ص 36
5) أغاني ساسي ج15/ ص 120
6) المصدر نفسه والصفحة
1) عبد الرحمن السيوطي " المزهر في علوم اللغة وأنواعها" تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، وآخرون، دار الكتب العربية بدون ط، وت ج1/ ص212

وفطرة بدوية صحيحة ، وكان ابن هرمة أحد هؤلاء الشعراء الذين نأوا بأسلوبهم الرصين عن أثار التوليد السالبة لأسباب نجملها قي الأتي :

1/ ارتقى بأسلوبه عن اللغة الشعبية 0

2/ لم يخرج عن القياس اللغوي وقواعد النحو والصرف0

3/ لم يدخل في شعره أي ألفاظ أعجمية0

4/ صدر شعره عن سليقة عربية ، وفطرة لغوية أصيلة 0

هناك بعض المولّدين استطاعوا تنقية شعرهم من الأخطاء واللحن، والتزموا فيه لغة رقيقة، يدعمها ذوق سليم يعرف كيف يسبك العبارات ويختار الألفاظ ، ويصوغ الأساليب في براعة ودقة ، وقد استطاع هذا الأسلوب الناصع الأنيق أن يفرض سلطانه على اللغة وكان ابن هرمة أحد الذين تاثروا به ، وصاغوا معانيهم على ألحانه العذبة فيقوله مادحاً :

وَقـلْ لـداود منك مـمـدحـــة   لهـازهـا مـنْ خـلـفها نغلُ
أروع لا يخلف العــدات ولا   تمـنـع مـن سـؤالـه العـلـلُ
لـكنه سـابغ عــطـيـتـه   يـدرك مـنه السؤّال ما سألوا
لا عـاجزٌ عـازبٌ مـروءته   ولا ضعيفٌ في رأيـه زلـلُ[1]

وقـــــوله :

وفي الشيبِ زجرٌ له لو كان ينزجرُ   وَبَـالـغٌ مِنه لـولا أتـّه حـجـرُ
أبيضّ وأحمرّ مِن قوديه وارتجعت   جـليّةُ الصبح ما قد أغفل السحرُ
وَللفتي مهلة ّ في الحبّ واسعـة ّ   مَا لَمْ يمتْ في نواحي رأسِه الشعرُ
قالت مشيب وعشق رحت بينهما   وَذاك في ذاك ذنبٌ ليس يغتفرُ[2]

وقــــوله :

لـيَعْلَمَ أنَّ الـبُعْدَ لم يُنْس ِذكـرَهَا   وَقَدْ يُذهِلُ النأيُ الطَويلُ وقَد يُنسي

2) الديوان ص 171
1) الديوان ص 118

فَـاَنْ سَكَـنَـتْ بالغَـوْرِ حـَنَّ صَبَابَةً   إلى الغَوْرِأوْ بالجَلْس حَنَّ إلى الجَلْسِ
تَبَدَّتْ فَـقُلتُ:الشَّمْسُ عندَ طُـلُـوعِهَا   بَلَـوْنِ غـَنِيِّ الحـلْدِ عَـن أثَـرِ الوَرْس
فَـلَـمَّا ارتَجَعْتُ الروحَ قُلتُ لصَاحبي   عـَلي مِـرْيَـةٍ مَا هَاهُنَا مَطْـلَـعُ الشَّمْس[1]

ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من سلاسة وعذوبة ، ولكنَّه مع أناقة في التعبير، ودقة في اختيار الألفاظ ، لكنه لا يشبه أسلوب الفحول المتقدمين ، إنما هو بين بين ، وقد أدرك أبو العتاهية ذلك حين سئل عن شعره فقال :" الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين أو مثل شعر بشار وابن هرمة فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري" [2] ومعنـي ذلك إن الشعر عنده ثلاثة أنواع شعر فحل، وشعر وسط، وشعر شعبي 0

وأمَّا ابن هرمة أقرب المحدثين إلى الشعراء الفحول ، من أمثال بشار ،وابو نواس وغيرهم، فلم يسرف في استخدام الأسلوب الجديد ، فكان أكثر التزاماً للأسلوب الجاهلي القديم ، فمثلا كان الجاهليون عند زيارتهم للربع يقولون :" قف" و" قفا " إن كانت الدار على سنن الطريق ، فإن لم تكن كذلك كانوا يقولون " عوجا " و "عرجا " و"عرجوا " وهذا مانجده عند ابن هرمة ، حيث يقـــــــول :

قِفَـا سَاعَةً واسْتَنْطِقَـا الرَّسْمَ يَـنْطقِ   بسُوقَـةِ أهْوى أوْ بيُرْقَـةِ عَــوْهَـقِ
تَمَاشَتْ عـلَـيْـهِ الـرِّيْحُ حَتَى كَأنَّـهُ   عـَصَائِـبُ مَلبـُوسٍ مَنَ العَصْبِ مُخْلِقِ[3]

وقــــــوله :

قِفَـا فَـهرِيقَـا الدَّمْعَ بالمَـنْـزِلِ الدَّرْسِ   وَلا تَـسْـتَـمِلاً أنْ يَطُـولَ بـهَـا حَـبْسي
وَلَـو أطـْمَـعَـتْـنَا الدَّارُ أوْ سَاعَفَـتْ بها   نَصَصْنَا ذَوَاتِ الـنّصِّ وَالعَـنَـقِ المَلْس[4]

فالشاعر في الأصل جاء إلى الزيارة واسترجاع الذكريات ، وسفح الدمع ، وهو يعلم إنَّه سيطول به المقام ؛ ولذلك طلب من صاحبيه أن لا يستملا من ذلك 0

2) الديوان ص 133
3) الأغاني ج 4/ ص 74
4) الديوان ص 155
1) الديوان ص 133

ومن ذلك قـــوله أيضا :

عُوْجَـا نـقَـضَّ الدمُوعَ بَـالوقـفَةْ   عَلى رسُـوم ٍ كَالبُـردِ مُـنْـتَـسَفَـهْ
بَـادَتْ كـمَا بَـادَ مَنــزلٌ خـلَـقٌ   بَيْنَ رُبى أرْيَمَ فَـذي الـحلَـفَـهْ [1]

وقـــــــوله :

عَـوْجَا عَلى رَبْعِ لَيْلي أُمِّ مَحْمُودِ   كَيْمَا نُسَائِلِه مِن دُوْنِ عَبَّوْدِ
عَنْ أمِّ مَحْـمُـوْد إذْ شَطَّ الـمَـزَارُ بِهَا   لَـعـلَّ ذَلِـكَ يشْـفِـي دَاءَ مَـعْـمُـوْدِ
فَـعَـرَّجَا بَعـدَ تَـغْـوَيِرِ وَقَــدْ وَقَـفَـتْ   شَمْسُ الـنَّـهَارِ وَلاَذَ الظِل بالعُودِ[2]

فابن هرمة يعلم إنَّ التعريج أشقَّ على الركب ؛ لأنــَّهم يغيّرون طريقهم إلـى طريق الربع ، مما يدل على إخلاصه لصاحبته ،لذلك قال في بيته الثالث : " فعرجا بعد تغوير" ، وإنَّ ابن هرمة لم يسر إلـى الربع متعمداً؛ لأنَّه يعلم إنّ ذلك مبالغة كاذبة من الشاعر؛ تنكب عنها بذوقه السليم 0

وكثيرا ما يلجا إلى أساليب القصر التي تسعفه في تقرير ما يريد تقريره كقوله :

فـما بـيـثرب منهم مَنْ أعاتبهُ   إلاّ عَوائد أرجوهـن مـن حَسَنَ [3]

وقــــــوله :

في يَومَ لاَ مَالَ عِنْد المَرءِ يَنفَـعُهُ   إلاَّ السّنَـانُ وَإلا الـرَّمحُ و الدَّرَقُ [4]

وأحياناً يقدم ما حقه التأخير حين يلزم الأمر كقول :

لَكُمْ سِقَـايَـتُـهَا قِدْمـاً وَنَـدْوَتُـهَا   قَدْ حَازَهَا والِدٌ منْكم لِمَولُوْدِ [5]

فقدم المسند على المسند إليه بقصد قصر المسند إليه وهو" السقاية " على المسند وهو " لكم " ، ومعنى ذلك إنّ السقاية شيء مقصور عليهم دون غيرهم من الناس ،

---

2) الديوان ص 151
3) الديوان ص 101
4) الديوان ص 230
5) الديوان ص 158
1) الديوان ص 102

وكذلك قدم الظرف " قـدماً " على المعطوف "وندوتها " ليقرر إنَّ هذا الأمر بالذات مثبت لهم منذ القدم ، وحسبهم ذلك فخراً 0

وقد ينّوع ابن هرمة بين الأسلوب الخبري والإنشائي وفق مقتضى الحال لأغراض بلاغية تعينه على وضوح فكرته وتقرير معناه كقوله :

وَكيف أمشي مع الأقوامِ معتدلاً وقَد رميتُ صحيح العود بالأبَنِ

ما غيّرتْ وجَـهه أمٌّ مقصّرة إذا القتام تغشى أوجهَ الهُجُـنِ[1]

فالبيت الأول إنشائي جاء بالاستفهام فيه لغرض بلاغي وهو إبراز شدّه أسفه وندمه على ما بدر منه ، ويستبعد بالاستفهام هذا قدرته على مواجهة الناس بعد تهجينه الممدوح ، ثم يقرر في البيت الثاني سلامة أصل الممدوح في أسلوب خبري ، تعاونت فيه الألفاظ لنقد ما قاله فيه وتبرئته مما رماه به 0

ثانياً / قضية الاحتجاج بشعره :

هذا التمكن من اللغة الفصحى وهذه السليقة العربية وهذا الإحساس الدقيق بالألفاظ وتوافقها مع المعاني ، كلّ ذلك جعل لشعر ابن هرمة أهمية كبيرة عند علماء البصرة والكوفة ، ولعلّ هذا التوفيق الذي أحرزه ابن هرمة يرجع إلى نشأته العربية الخالصة ، وانتسابه لقبيلة قريش ، التي شهد لها العرب بجودة اللغة وفصاحة الكلمة فهي اللغة التي نزل القرآن الكريم بها والتي امتازت بفصاحتها وسلامتها عن سائر لغات القبائل الأخرى وفي ذلك يقول الفارابي[2] :" كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانة عمّا في النفس " ، وكان ثعلب يقول: " ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتضجع قيس وعجرفية ضبة وتلتلة بهراء" [3] 0

---

2) الديوان ص 235

3) المزهر ج1 / ص 211

1) ابن جني ، الخصائص ج2/ ص 11

ومن أجل ذلك وثق العلماء في ابن هرمـة واستشهدوا بشعره ، ومعروف إنَّ هؤلاء العلماء اشترطوا حين أخذوا يجمعون اللغة ويضعون أصولها وقواعدها ألا يأخذوا شواهدهم التي يستنبطونها منها ويقيمونها عليها إلاّ من القبائل العربية التي لم تخالط الأعاجم ولم يفش اللحن في ألسنتها ومن أحل ذلك رحلوا إلى البوادي واخذوا مادتهم اللغوية من قيس وتميم وأسد ، وبعض قبائل كنانة وبعض الطائيين حرصاً على سلامة اللغة العربية ، ولم يكتفِ هؤلاء العلماء بأخذهم عن القبائل العربية الأصيلة ، فحسب بل أضافوا شرطاً آخر وهو ألا يأخذوا إلاّ من الشعر الجاهلي وعن القبائل التي عاش أبناؤها وشعراؤها في القرن الأول الهجري أو النصف الأول من القرن الثاني الهجري ، وكان أبو عمرو بن العلاء أميل إلى المذهب الأول ، ولذلك ختم الشعر العربي بذي الرمة [1] ، وكان تلميذه الأصمعي من أنصار المذهب الثاني ؛ ولذلك ختم الشعر بابن هرمة 0

ومعني ذلك إنّ أهمية شعره اللغوية ترجع لسببين :

الأول : إنَّه من قبيلة قريش

الثاني : إنَّه ممن عاش في النصف الأول من القرن الثاني الهجري فأصبح بذلك أهلاً لاستشهاد العلماء بشعره وجعله آخر الحجج 0

وللاستشهاد بشعره جانبان مهمان : جانب لغوي يتصل بألفاظ اللغة ودلالتها، وجانب فني يتصل بمعاني شعره ومبانيه 0

فأمَّا الجانب اللغوي فقد استعان العلماء بشعره للاستدلال به على المعاني التي لم يعثروا عليه عند غيره من الشعراء ، كما بينا سبقاً0

أمَّا الجانب الفني الذي يتعلق بمعاني شعره ومبانيه ، فقد كان يصوغ قصائده على النمط الجاهلي – كما بينا فيما سبق – فقد بناها بناء بدوياً خالصاً سواء في معانيها أو في أسلوبها ، فقد حذا حذو الشعراء الجاهليين في تعدد أغراض

2) الأغاني طبعة ساسي ج16/ ص 109

القصيدة وفي وصف الأطلال، والخروج إلى غرضه الرئيسي سواء أكان مدحا أم فخرا أم هجاء، وكما خلع على ممدوحيه الصفات التي خلعها الجاهليون على ساداتهم من صرامة، وشجاعة ،وشهامة ، وسماحة، ونفاذ بصيرة، ورأى صائب، وإغاثة الملهوف ، ونجدة المستصرخ ، وحماية الجار مع المزاوجة بين هذه المعاني القديمة، والمعاني الجديدة من رعاية الولاة والقادة لشؤون الأمة ، والدين الإسلامي إلى غير ذلك مما أوضحناه في حديثنا عن الأغراض والمعاني ، وننبه إلى إنّ المعاني الموروثة كانت أظهر وأكثر من المعاني الجديدة ، حتى إنّ الأصمعي قدّمه على ساقة الشعراء لقوله :

لاَ أمْتِعُ العُوْدَ بالـفِصَال ِوَلاَ   أبْتَاعُ إلاّ قَرِيْبَةَ الأجَل ِ[1]

فقد أعجبه فخره بكرمه على طريقة القدماء [2] 0

ثالثا / آراء النقاد في شعره :

النقد فن من الفنون القديمة التي عرفها العرب ، والتي ارتبطت بالأدب ؛ وأسهمت في نضجه ، والنقد يقصد به اصطلاحاً تناول الأدب ودراسته والنظر فيه ومناقشته واستخلاص عناصر الجمال وسمات القبح فيه ، ومحاولة إبرازها والإشادة بالمجيد من الشعراء وذمّ المسيء منهم [3] وكان له دور بنّاء في " تطور القصيدة العربيّة خاصة، وتبّدلها من طور إلى آخر حتّى وصلت مرحلة كبيرة من الكمال الفني " ولا شك إنّ تلك المراحل التي تنبّه فيها الشعراء الأولون إلى أخطائهم وصحّحوا تلك الأخطاء وثقفوا شعرهم ، بتلافي أسباب النقص ، والبحث عن أسباب الكمال ، الذي يتطلعون إليه ، ويمكن أن تعد خطوة من خطوات النقد الأدبي "[4] 0

---

1) الديوان ص 183
2) الأغاني طبعة دار الكتب العلمية ج5/ ص 264
3) بدوي طبانة " دراسات في الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث"، ط4 المطبعة الفنية الحديثة، 1956م ، ص 22،23
1) بدوي طبانة ص 45

ولم يكن النقد في بدايته علماً مؤسساً يُبنى على أصول وقواعد ونظريات علميّة ، تبحث في وجوه الجودة والرداءة ملتزمة بتلك القواعد، بل كان توجيهات وإرشادات ونصائح وذم في بعض الأحيان يتلقاه الشاعر من أفراد المجتمع الذين يسعى إليهم الشعراء ، أو يلتقون بهم ، كأهل يثرب وقريش التي استطاعت أن تملى أحكامها على الشعر ولغتها على الشعراء [1] " وكان ذلك عملا00اجتماعياً في ترقيق الألفاظ ، وتدقيق المعاني ، وترقية النقد "[2]، واتّسعت فكرة التوجيه وإسداء النصح ، لتكون مدرسة يتلقى فيها المبتدئ من الشعراء، أسس تجويد فنّه، وكانت تقوم على الاتصال بشاعر ، والتتلمذ عليه ،وهو ما يعرف بالروايّة "وكانت الرواية في الجاهلية في حقيقتها عبارة عن تنشئة أدبيّة" [3]

وقد أهتم النقاد بابن هرمة وشعره، وسعوا لبيان رتبته، وقيمة شعره فقالوا عنه :

1/ جرير(توفي 114هـ)

" قدم جرير المدينة فأتاه ابن هرمة وابن أبي أذينة فأنشداه ، فقال جرير: القرشي أشعرهما (يعني ابن هرمة)، والعربي أفصحهم " [4]

2/ مروان بن أبي حفصة (توفي 182هـ)

عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه قال : قلت لمروان بن أبي حفصة : من أشعر المحدثين من طبقتكم عندك ؟ لا أعنيك ، قال : الذي يقول :

لاَ أمْتِعُ العُوْدَ بالفِصَالِ وَلاَ أبْتَاعُ إلاّ قَرِيْبَةَ الأجَلِ [5]

3/ أبو العتاهية (توفي 211هـ)

---

2) مثل أم جندب وطرفة وخبر أهل يثرب ، مع النابغة وأحكام قريش على المعلقات وقصائد علقمة الفحل في : عز الدين الأمين "طلائع النقد العربي "، الطبعة الأولى ، بدون جهة 1965م ، الصفحات 10، 11، 12، 13، 18 ،23 0

3) احمد أمين " النقد الأدبي" مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، الطبعة لثالثة ،1963م ، ص 416

4) طلائع النقد ص40

5) الأغاني ج4/ ص 386

6) الأغاني ج5/ ص264

"000 الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين أو مثل شعر بشار وابن هرمة 000" (1)

4/ الأصمعي (توفي 216هـ)

"ختم الشعر بابن هرمة ، وهو آخر الحجج "(2)

وعن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمَّه قال : الحكم الخضري وابن ميادة ورؤبة وابن هرمة وطفيل الكناني ومكين العذري ، كانوا على ساقة الشعراء ، وتقدمهم ابن هرمة بقوله :

لاَ أمْتِعُ العُوْذَ بالفِصَالِ وَلاَ أبْتَاعُ إلاّ قَرِيْبَةَ الأجَلِ

قال عبد الرحمن : وكان عمي معجبا بهذا البيت مستحسنا له ، وكان كثيراً ما يقول أما ترون كيف قال ، والله لو قال هذا حاتم لما زاد و لكان كثيراً، ثم يقول : ما يؤخره عن الفحول إلا قرب عهده (3)

5/ ابن الأعرابي (توفي 231هـ)

" خُتِمِ الشعر بابن هَرْمَةَ " (4)

6/ الجاحظ (توفي 255هـ)

" لم يكن في المولّدين أصوب بديعاً من بشار وابن هرمة والعتابي " (5)

7/ ابن الجراح (توفي 296هـ)

" قدمه (يعني ابن هرمة) محمد بن داود بن الجراح على بشار وأبي نواس وغيرهما 000" (6)

8/ الخطيب البغدادي (توفي 463هـ)

---

1) الأغاني ج 4/ ص 74
2) تاريخ بغداد ج6/ ص 131
3) الأغاني ج5/ ص263- 264
4) الأغاني ج4/ ص 388
5) البيان والتبيين ج1/ ص 51
6) تاريخ بغداد ج 6/ ص 127

" شاعر مفلِق ، فصيح مُسهِب ، مجيد حسن القول ، سائر الشعر"[1]

9/ البكري (توفي 487هـ)

" وابن هــــــرمة من متقدمي الشعــــــراء " [2]

10/ عبد القادر البغدادي

" إنَّه شــاعـــــر مطـــبوع " [3]

11/ مصطفى هدارة

"أمَّا ابن هرمة وصنعته الشعرية فلا نستطيع أن نحكم عليها حكماً صحيحاً لأنَّ شعره الذي وصل إلينا قليل بل أقلّ من القليل غير أننا نلمح فيه النزوع نحو الصنعة والتفنن فيها سواء أكانت لفظية أو معنوية " [4]

12/ طه الحاجري

قال عن : " إنَّه شاعر يقصد إلى الصنعة قصدا دون التزام للحدود التقليديّة التي كان الشعراء يقفون عندها ، ولعلّ من أجل ذلك نشأت بعض الخصومات الأدبيّة بين طائفة من النقاد الذين كانوا بطبيعتهم حريصين على تلك التقاليد الشعريّة المأثورة كمصعب بن الزبير والمسوَّر بن عبد الملك المخزومي " [5]

hUDŽŦFQ|||Ɛ

---

1) تاريخ بغداد ج 6/ ص 126
2) سمط اللآلئ ص 398
3) خزانة الأدب ج1/ ص 204
4) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص 577
5) هدارة ص 577 نقلا عن محاضرات الحاجري المخطوطة

وبعد فقد وقعت الدراسة في أربعة فصول حيث خصص الفصل الأول لدراسة حياة الشاعر وبيئته وتناولت العصر الذي عاش فيه وأهم جوانب حياته 0

أمَّا الفصل الثاني فقد قسم إلى مبحثين وتمهيد تناول ديوان الشاعر ودار الطبع التي تولت طباعته ، وسلبيات الطبعة ، وقد وقف المبحث الأول على بناء أغراضه الشعريّة التي نظم قيها ، والمبحث الثاني تناول بناء المعاني التي دارت في شعره ، وفيها قد لاحظت :

* إنه كتب في معظم الأغراض الشعريّة التي كانت سائدة في عصره ،
* وإنه كان تقليديا في معظم موضوعات شعره

أمَّا الفصل الثالث فقد جعل للبناء الفني فقد تناول بناء القصيدة عنده ، والبحور التي نظم فيها شعره ، وموسيقاه الداخلية وصوره الفنية.

أمَّا الفصل الرابع فقد جعل للبناء الأسلوبي وتناول لغة شعره التي نظم بها ، وسمات أسلوبه ، وآراء النقاد في شعره ، وقضية الاحتجاج بشعره .

وخرجت الدراسة بالأتي :

1/ كان للظروف التي أحاطت بالشاعر منذ نشأته الأولى الدور الأبرز في تشكيل ثقافته ، وقد أسهمت البيئة في صنع الشاعر.

2/ كشفت الغموض الذي يحيط بشخصيته فهو مولّد دعي أدعياء من أصل عربي ، وتبرير اتصاله بالعلويين ، وتقربه للأمويين والعباسين

3/ بينت الفرقة الدينيّة التي ينتمي إليها ، واتجاهه السياسي من خلال شعره .

4/ أتخذ المدح وسيلة لكسب المال ؛ لمجابهة حياته اللاهية ؛ ولذلك مدح كبار رجال الدولة الأمويّة والعباسيّة .

5/ اشتملت أغراضه على مضامين ومعاني عديد ومتنوعة مابين الصفات المعنوية والحسيّة ، كالكرم، والشجاعة، والعقل ، وبعض القيم دينيّة كالعدل ، والعمل الصالح ، وحماية الدين والدفع عنه ، وإقامة أركان الدولة المسلمة

6/ تميّز شعره بعدة خصائص فنيّة ، فقد نظم في عدة بحور ، وقد جاءت قصائده على شكل بنائي واحد تركب من (المقدمة والتخلص والخاتمة) ، وقد استعان بالصورة الفنيّة لإبراز معانيه فاستخدم المجاز، و التشبيه، والاستعارة، والكناية ، كما قوّى موسيقاه الداخليّة بالجناس، والتكرار، والتطريز، بالإضافة إلى أنواع البديع الأخرى .

7/ تميّز شعره باستخدامه للألفاظ الجزلة ، والأسلوب الرصين حتى أصبح حجّة في اللغة ، وفي الوقت نفسه استطاع أن يطوّر شعره .

وقبل أن اختم دراستي أوصي دارسي الأدب بدراسة شعرائنا المغمورين دراسة شاملة ، شكلاً، ومضموناً، وكشف الغموض الذي يحيط بهم .

وأرجو أن أكون بهذا البحث قد أسهمت بنصيب متواضع في الكشف عن شخصية ابن هرمة ، وخصائص شعره الفنيّة، وان أكون قد وفقت في تقديم جهد أدبي ينال الرضا ويحوز القبول .

ملخص البحث

اهتمت هذه الدراسة بالكشف عن شخصيّة ابن هرمة ، وإبراز خصائص شعره الفنيّة ، فقد تناولت الدراسة في فصلها الأول عصر الشاعر وبيئته التي عاش

فيها؛ فقد كان للظروف التي أحاطت بالشاعر الدور الأكبر في تشكيل شخصيته في مستقبل أيامه .

ثم أفردت الدراسة الفصل الثاني لدراسة شعره ، فتناولت الأغراض التي نظم عليها شعره ، فقد كتب في معظم الأغراض التي كانت سائدة في عصره ، وتناولت الدراسة في المبحث الثاني المعاني والمضامين التي دارت شعره ، وقد لاحظت الدراسة إنَّه كان تقليدياً في معظم موضوعات شعره ، وأتخذ المدح وسيلة لكسب المال ، ومدح ببعض الفضائل المعنويّة والحسيّة ، وبعض القيم الدينيّة كحمايّة الدين والدفاع عنه ، وإقامة أركان الدولة المسلمة .

ثم تلاه الفصل الثالث الذي خصص لدراسة الجوانب الفنية حيث أفرد المبحث الأول لبناء القصيدة في شعره ، فقد جاءت معظم قصائده على شكل بنائي واحد تركب من المقدمة ، والتخلص ، والخاتمة ، وقد وردت في المبحث الثاني ملاحظات على موسيقى شعره وأوزانه وقوافيه ؛ حيث نظم ابن هرمة في بعض البحور وأغفل عن بعضها كما قوى موسيقاه الداخلية بالجناس، والتكرار، والتطريز ، وغيرها من أنواع البديع الأخرى ، وجُعل المبحث الثالث للصورة الفنيّة وإبراز دورها في تشكيل الصورة الشعريّة عنده ، فقد استعان ابن هرمة بالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز؛ لتوضيح معانيه .

أما الفصل الرابع فقد جُعل للبناء اللغوي ، فقد تناول الأسلوب واللغة التي نظم بها شعره فقد تميّز شعره باستخدامه للألفاظ الجزلة، والأسلوب الرصين ؛ حتى أصبح حجّة في اللغة ، وفي الوقت نفس استطاع أن يطور شعره.

Abstract

This study investigates the personality of the poet Ibraheem Ibn Harma and presenting the artistic characteristics of his poetry.

The first chapter deals with the age of the poet, and his environment in which he lived . The circumstances that had surrounded him has the greatest role in shaping his personality in the future, for he is a pretender of pretenders from an Arabic origin that has his own tongue and has exploited it for composing verses.

The second chapter studies his poetry and its purpos , with concentration on the most distinct characteristics of these purposes. He wrote in all purposes that was prevailed in his age. The second theme discusses the meanings and contents shaping his poetry , for he was a traditional in most of his subjects. He made the commending a means of earning money, So he praised the statesmen of both states the Umawia and Abbasia, also he praised some abstract and concrete virtues and some religious values such as protecting the religion , defending it and establishing the Islamic state .

The third chapter is devoted to the artistic aspects of Ibn – Harma's poetry. The first theme deals with the building of his poem . Most of the poems written in the one – building shape.

It consists of the introduction , delivering and the conclusion . The second theme represents observations on the music , meters and rhymes . Ibn –Harma's composed poetry in some metres and left out the others .The third theme covers the artistic image . The poet used the artistic image to represent his meaning through the use of figure of speech , simile and metonymy .

The fourth chapter discusses the building of style. It deals with the poet's style and the language of his poetry . Ibn –Harma's poetry distinguished by abundant utterances and sedate style , till he become a proof in language , at the same time he managed to illustrate his poetry.

ثبت المصادر والمراجع

1) القرآن الكريم

* إبراهيم أنيس

2) موسيقا الشعر، مطبعة لجنة البيان العربي ،ط3، 1965م

*ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني

3) الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت ، 1399هـ -1979م

* الآمدي –أبو القاسم بن الحسن بن بشر بن يحي(370هـ)

4) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر ط 4، 1960م

* أحمد أحمد بدوي (الدكتور)

5) أسس النقد الأدبي عند العرب ط نهضة مصر للطباعة ولنشر ، دون تاريخ

* أحمد أمين (الدكتور)

6) النقد الأدبي ،ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ط 3، 1963م

* أحمد أبو حاقة

7) فن المديح وتطوره في الشعر العربي ، دار الشرق الجديد ،ط 1، 1962م

* أحمد الشايب

8) أصول النقد الأدبي ، ط 2، دار النهضة المصرية ، القاهرة 1367هـ - 1946م

* أحمد شلبي (الدكتور)

9) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، دار النهضة المصرية القاهرة ، ط 8 ، دون تاريخ

* أحمد محمد الحوفي (الدكتور)

10) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، دار القلم بيروت ، دون تاريخ

* أحمد مصطفى المراغي

11) علوم البلاغة ، دار القلم بيروت دون ط ، ت
* الأصفهاني – أبو الفرج علي بن الحسن محمد الأموي (356هـ)
12) الأغاني ، تحقيق سمير جابر ،ط دار الكتب العلمية ط2 1992م ،
طبعة دار الثقافة دار الثقافة ، 1959م ج16، وطبعة ساسي
* إيليا حاوي
13) فن الهجاء وتطوره عند العرب ، دار الثقافة بيروت ، دون ط ، ت
* البخاري – محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي
14) صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى البقا ، دار ابن كثير بيروت ،ط3 ، 1407هـ - 1997م
* بدوي طبانة
15) دراسات في النقد العربي من الجاهلية وحتى نهاية القرن الثالث ، المطبعة الفنية الحديثة ط 4، 1956م
* البغدادي – عبد القادر البغدادي
16) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، شرح عبد السلام هارون ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2 1979م
* البكري – أبو عبيد الله عبد العزيز البكري (487هـ)
17) سمط اللألي ، تحقيق عبد العزيز الميمني ،ط لجنة التأليف والترجمة والنشر
* البهبيتي – نجيب محمد البهبيتي
18) تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، ط الخانجي ، القاهرة 1967م
* البيهقي - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي
19) شعب الإيمان دار الكتب العلمية ط1 ، 1410هـ
* الأتابكي – جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

20) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصوّرة من طبعة دار الكتب المصرية ، ط1 ، 1930م
* ثعلب – أحمد بن يحي ثعلب (200هـ - 291)
21) مجالس ثعلب تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط دار المعارف ، مصر ط2، 1956م
* الجاحظ – أبو عمرو بن عثمان بن بحر(255هـ)
22) البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، دار المعارف ، مصر دون ط ، 1963م
23) البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ط، دار الجيل، بيروت 1367هـ - 1946م
* الجرجاني – الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (471هـ)
24) أسرا البلاغة ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، ط2 مكتبة القاهرة 1967م
25) دلائل الإعجاز، مطبعة محمد علي صبح وأولاده بالأزهر ، دون ط ، ت
* الجرجاني – القاضي علي بن عبد العزيز (366هـ)
26) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ط3 ، دون تاريخ
* جرير – جرير بن عطية (114هـ)
27) ديوان جرير ، ط دار صادر بيروت ،طبعة دار الحيل بيروت ، دون تاريخ
*ابن جني – أبو الفتح عثمان بن جني
28) الخصائص ، تحقيق محمد النجار ، ط 2دار الكتب، مصر، دون تاريخ
* ابن حزم – أبو محمد على بن أحمد الأندلسي (456هـ)
29) جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ط دار المعارف مصر ، 1962م

* الحصري – أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري

30) زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق زكي مبارك ، طبعة الرحمانية ، دون تاريخ

* الحموي – أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (626هـ)

31) معجم البلدان ، دار الكتاب العربي بيروت ، مطبعة السعادة مصر 1906م

* الخطيب البغدادي – الحافظ أبو بكر أحمد بن علي (463هـ)

32) تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ط1، 1997م

* ابن خلدون – عبد الرحمن أبو زيد (732- 808)

33) المقدمة ، دار الفكر بيروت ط 3، 1996م

* ابن دريد- ابي بكر محمد بن الحسن (321هـ)

34) الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الحيل بيروت ط1 1991م

* ابن رشيق – أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (463هـ)

35) العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان ، الطبعة الأولى، مطبعة الخانجي القاهرة 2000م

36) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد مي الدين ، مطبعة حجازي القاهرة ط1 1934م

* الزبيدي- السيد محمد المرتضي (1205هـ)

37) تاج العروس في شرح القاموس ،عشرة مجلدات مصر 1307هـ

* الزجاج- أبو اسحاق الزجاج

38) الامالي ،دار احياء الكتب العربية ط1 ، القاهرة 1954م

* الزركلي – خير الدين

39) الأعلام في معرفة أشهر الرجال والنساء ، دار العلم للملايين بيروت الطبعة 15، 2002م

* الزمخشري – جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (38هـ)

40) أساس البلاغة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ط2، 1973م

* زهير- زهير بن أبي سلمى

41) ديوان زهير ، شرح الإمام العباس بن أحمد الشيباني ، القاهرة 1361هـ - 1944م

* سعد إسماعيل شلبي (الدكتور)

42) الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، حدائق القبة دون ط ، 1977م

*السكاكي – أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي

43) مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب بيروت ط 1، 2000م

* ابن سنان الخفاجي

44) سر الفصاحة ، مطبعة علي هجو وأولاده القاهرة ، دون ط ، 1996م * السيوطي – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ)

45) شرح شواهد المغني ، نشر لجنة التراث العربي ،دمشق 1966م

46) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،صححه محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البيجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب بيروت 1958م

* الشهرستاني

47) الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الفكر بيروت دون تاريخ

* شوقي ضيف (الدكتور)

48) الشعر الغنائي في الأمصار الإسلامية (المدينة) دار الفكر العربي القاهرة دون ط، 1949م

49) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، طبعة دار المعارف مصر ط6 دون تاريخ
* أبو الإصبع – أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن ظافر
50) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وإعجاز القرآن ، تحقيق حنفي محمد شرف ، مطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة دون تاريخ
*ابن طبا طبا – محمد أحمد بن طبا طبا (222هـ)
51) عيار الشعر ، تحقيق عبد الستار، ومراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب بيروت ط2 ، 1982م
* الطبري- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
52) تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت لبنان والتوزيع ط1، 1407هـ -1987م
* طه حسين (الدكتور)
53) حديث الأربعاء ، دار المعارف مصر 1965م
* ابن عبد ربه الاندلسي (327هـ)
54) العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرون ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1953م
* عبد الله الطيب المجذوب(البر وفسور)
55) المرشد إلي فهم إشعار العرب وصناعتها ، دار جامعة الخرطوم للنشر الخرطوم ، ط4 1991م
* أبو العتاهية – أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد (ت 211هـ)
56) ديوان أبو العتاهية ، نشر لويس شيخو ، دار صادر للطباعة والنشر 1964م
* عز الدين الأمين
57) طلائع النقد الأدبي ، 1385هـ - 1965م ، دون جهة
* ابن عساكر – أبو القاسم علي بن الحسين بن الحسن بن عبد الله (571هـ)

58) تهذيب بن عساكر ، تحقيق عبد القادر بدران ط روضة الشام 1330هـ
* العسكري – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل(395هـ)
59) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، علي محمد البيجاوي ، ومحمد أبي الفضل إبراهيم مطبعة عيسى الحلبي ط1 1952م
* وضع هذه المجموعة لجنة من أدباء الأقطار العربية
60) الغزل منذ نشأته وحتى صدور الدولة العباسية ، ط2 دار المعارف مصر1964 م
* القالي – أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي
61) ذيل الامالي والنوادر ، دار الكتب المصرية ، ط2 1926م
* ابن قتيبة – أبو محمد عبد الله بن مسلم (276هـ)
63) الشعر والشعراء ، دار المعارف بيروت 1964م
* قدامة بن جعفر
64) نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، نشر مكتبة الخانجي ، ط1 1948م
* القرطاجني – حازم
65) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب ط3، دار الغرب الإسلامي بيروت 1986م
* القزويني – جلال الدين محمد بن عبد الرحمن
66) الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الفكر 1924م
* القلقشندى – الشيخ أبو العباس أحمد بن علي (821هـ)
67) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، تحقيق إبراهيم الابياري ، القاهرة 1363هـ - 1944م
*ابن كثير – الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (774هـ)

68) البداية والنهاية ،ط مكتبة المعارف بيروت ، ط7 1988م

* المبرد – أبو العباس محمد بن يزيد

69) الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق محمد احمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، ط3 ، 1418هـ - 1997م

* محمد زكي العشماوي

70) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار النهضة بيروت دون ط ، 1984م

* المرزباني – أبو عبيد الله محمد بن عمران (383هـ)

71) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق علي محمد البيجاوي ، دار النهضة المصرية ، القاهرة 1965م

* المرصفي – سيد بن على المرصفي

72) رغبة الآمل من كتاب الكامل ،النهضة المصرية ،ط 1 1346هـ - 1928م

* ابن المعتز

73) طبقات الشعراء تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار المعارف مصر ط 4، 1956م

* المسعودي – أبو الحسن علي بن الحسين (364هـ)

74) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت دون تاريخ

* ابن منظور – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (160هـ)

75) لسان العرب دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دار صادر ، بيروت ط3 1994م

* ابن النديم – أبو الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب (385هـ)

76) الفهرست مطبعة خياط بيروت دون ط ، 1964م

* أبو نواس – الحسن بن هاني

77) ديوان أبو نواس ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1958م
* النويري – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (677-732)
78) نهاية الأرب في فنون الدب ،ط المؤسسة المصرية للتأليف والنشر
* الهاشمي –السيد أحمد الهاشمي
79) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب 1399هـ - 1979م
* هدارة – محمد مصطفى
80) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، دار المعارف مصر 1963م
* ابن هرمة – ابراهيم بن هرمة (176هـ)
81) ديوان إبراهيم بن هرمة ، تحقيق محمد جبار المعيبد مطبعة الآداب في النجف الأشرف 1389هـ - 1969م
* اليعقوبي – أحمد بن أبي يعقوب (292هـ)
82) تاريخ اليعقوبي ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت 1315هـ - 1956م

ثبت الموضوعات

الفصل الــرابع : البناء اللغوي